العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2022/01/23

20 جمادى الثانية 1443

السنة 44 العدد 12306

Sunday 23/01/2022

44th Year, Issue 12306

أسرار الربيع العربي

أميركا خططت لاحتواء الجهاديين فأحيتهم

ص7

توفيق شرف الدين

وزير داخلية تونس الذي يتآمر عليه الإخوان

ص8

مصطفى النافي

فنان تشكيلي مغربي يحوّل الفراغ إلى مادة

ص11

تناقض دولي بين المطالبة بمعاقبة الحوثيين والضغط لوقف عمليات استهدافهم

المواقف الدولية لا ترقى إلى حجم التهديدات الحوثية

عدن - وصف مراقبون سياسيون المواقف الدولية تجاه الأزمة اليمنية بأنها انعكاس لحالة الارتباك التي يتعاطى بها العالم مع التصعيد الحوثي، مشيرين إلى أن الإدانة الدولية والأممية للميليشيات الحوثية والمطالبة بمعاقبة الجماعة المدعومة من إيران مع استمرار الخطاب التقليدي حول ضرورة وقف التصعيد من قبل كافة الأطراف والضغط على التحالف العربي لوقف عملياته الجوية، مؤشرات على عدم جدية القوى الدولية الفاعلة في الملف اليمني في معاقبة الحوثيين ووضع حد لهجماتهم الإرهابية.

وشهد الموقف الدولي تحوّلا لافتا على صعيد تحميل الحوثيين مسؤولة استمرار الحرب في اليمن وفشل خيارات السلام التي طرحتها الأمم المتحدة عبر مبعوثها السابق إلى اليمن مارتن غريفيث "الإعلان المشترك".

وأدان مجلس الأمن الدولي، الجمعة، الهجوم الذي نفذته ميليشيات الحوثيين على العاصمة الإماراتية أبوظبي، وصوّت أعضاء المجلس بالإجماع على بيان يدين "بأشد العبارات الاعتداءات الإرهابية الشائنة التي استهدفت أبوظبي".

وبعد ساعات من هذه الإدانة، والتي كانت مسبوقة بموقف أميركي واضح ضد المتمردين المرتبطين بإيران، تغير الخطاب، حيث دعت الولايات المتحدة إلى "خفض التصعيد"، بينما أدان الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش "الضربات التي شنها التحالف بقيادة السعودية" ودعا إلى "تحقيقات فعالة".

ودعا أنور قرقاش، المستشار الدبلوماسي لرئيس الإمارات، السبت، إلى تكثيف الضغوط الدولية على الحوثيين بما يؤدي إلى إيجاد حل سياسي باليمن، وذلك عقب لقائه المبعوث الأميركي الخاص لليمن تيم ليندركينغ في أبوظبي.

ودعا قرقاش خلال اللقاء إلى "ضرورة ممارسة الضغوط الدولية المناسبة للوصول إلى وقف إطلاق النار وإيجاد حل سياسي للأزمة اليمنية ومنع الحوثي من مواصلة التلاعب بمستقبل اليمن والمنطقة".

واعتبر قرقاش أن "إعادة تصنيف الحوثي (من قبل واشنطن) كجماعة إرهابية تعزز من التوجه الدبلوماسي الدولي الضاغط باتجاه إيجاد حل للأزمة اليمنية".

أنور قرقاش

الأمر يحتاج إلى تحرك دولي لوقف النشاطات الإرهابية للحوثيين

وقال إن "الحوثيين يستخدمون ميناء الحديدة (اليمني) منشأة عسكرية للتمويل والتسليح وإدخال الصواريخ والطائرات المسيرة إلى اليمن لتهديد أمن دول المنطقة"، وإن "هذا الأمر في حاجة إلى تحرك دولي لوقف هذه النشاطات الإرهابية".

ويقلّل مراقبون للشأن اليمني من فاعلية الإدانات الدولية في الضغط على الحوثيين، مؤكدين أن ردع الجماعة الراديكالية المموّلة من إيران يحتاج لخطوات عملية تتجاوز حد الإدانة من قبيل فرض عقوبات اقتصادية وإدراج الجماعة مجددا في قائمة المنظمات الإرهابية في واشنطن وتوقف الضغط الذي يمارسه المجتمع الدولي على التحالف العربي لدعم الشرعية في اليمن بقيادة السعودية.

ووفقا للباحث السياسي اليمني ورئيس مركز فنار لبحوث السياسات عزت مصطفى إنه "من الواضح من خلال بيانات التنديد التي سارعت بإعلانها الدول من مختلف أنحاء العالم وكذا بيان مجلس الأمن حول الهجمات التي استهدفت الإمارات أن العمل العسكري والاستخباري سيمتد لمعاقبة المزيد من المتورطين في هذا العمل".

وأضاف مصطفى أن "بيان مجلس الأمن الذي امتاز بالوضوح في دلالاته يعبّر عن أن الإجراء الأممي الأخير هو مقدمة لمنح الغطاء والدعم الدولي لأعمال عقابية أكبر بحق الجماعة الحوثية ربما لم تكن تتوقعها الجماعة حتى في أسوأ الاحتمالات التي دارت في ذهنها؛ كما أن البيان يعد مقدمة تمهيدية تحيل إلى إمكانية إعادة إدراج الحوثيين في قوائم الإرهاب".

ويرى مدير مركز فنار أن المواقف الدولية التي أدانت الهجوم الحوثي على أبوظبي "تعطي تفويضاً للإمارات بملاحقة المتورطين في الاعتداء عليها الذي سيلاقي دعماً من العديد من الدول سياسياً وربما لوجستياً واستخبارياً".

ويؤكد محللون سياسيون أن المواقف الدولية يجب أن تكون أكثر وضوحا في تحميل الحوثي وحده المسؤولية عن استمرار الحرب في اليمن ومحاولة نقل التوتر إلى مدى جيوسياسي أوسع يتطابق مع أجندة طهران.

وتزامن الهجوم الحوثي على منشآت مدنية في أبوظبي مع زيارة وفد التفاوض الحوثي إلى العاصمة الإيرانية طهران ولقاء مسؤولين إيرانيين من بينهم الرئيس إبراهيم رئيسي، في مؤشر على الارتباط بين موعد وتوقيت الهجوم الحوثي والأجندة الخارجية الإيرانية التي تعتمد سياسة ابتزاز الإقليم والعالم لتحقيق مكاسب سياسية.

ويؤكد خبراء سياسيون أن المواقف الدولية مازالت لا ترقى إلى حجم التهديدات التي يمثلها التصعيد الحوثي في المنطقة، في ظل حالة من التناقض بين مواقف مجلس الأمن الداعية لمعاقبة الحوثيين وبين الدعوة لوقف هجمات التحالف العربي بقيادة السعودية.

الأمم المتحدة تنظر بعين واحدة لما يجري في اليمن

وفي تصريح لـ"العرب" يشير الباحث السياسي اليمني محمود الطاهر إلى أن "المجتمع الدولي ينظر إلى الحرب في اليمن من زاوية إنسانية بحتة، ويقلق من التقارير التي تروّجها وسائل الإعلام الإيرانية عن وجود ضحايا، لكنّي أعتقد أنها من باب الإدانات الدبلوماسية والرسائل بأهمية التسريع من وتيرة حسم الأمر في اليمن لصالح الحكومة الشرعية."

وعن السيناريوهات القادمة سياسيا وعسكريا يؤكد الطاهر أن "الإمارات انتزعت اعترافًا أمميًا بأن الحوثيين جماعة إرهابية، وستعود إلى جامعة الدول العربية بهدف حشد طاقات أخرى لإعادة زخم التحالف العربي وتقويته، بهدف القضاء على الإرهاب الجديد الذي بات يهدد الجميع".

وتابع "أعتقد أن الوضع ما بعد الهجمات الإرهابية على أبوظبي غير الوضع ما قبلها، ومحاولة بعض المنظمات الدولية الإيرانية أو الإخوانية في التأثير على المجتمع الدولي لإنقاذ الحوثيين لن تثني عن معاقبتهم ومحاسبتهم، لأنهم وفقًا للبيان الأخير أصبحوا جماعة إرهابية تهدد الأمن والاستقرار الدوليين".

قيس سعيد لماكرون: أطراف مناوئة للديمقراطية تجد آذانا صاغية في الخارج

تونس - سعى الرئيس التونسي قيس سعيد في اتصاله مع نظيره الفرنسي إيمانويل ماكرون لتوضيح حقيقة حملات التشويه التي تستهدف المرحلة الانتقالية وتجد آذانا صاغية في الخارج، في الوقت الذي تحتاج فيه تونس إلى تركيز جهدها حول معالجة القضايا الاقتصادية.

وأكد الرئيس التونسي أن الإصلاحات التي أعلن عن مراحلها ومواعيدها هدفها الحفاظ على الحرية وتحقيق العدالة والتصدي لكل من نهب أموال الشعب التونسي ومقدراته.

وأضاف أن ما يُشاع في بعض وسائل الإعلام وفي عدد من وسائل التواصل الاجتماعي لا علاقة له إطلاقا بالواقع، قائلا في هذا الصدد "للأسف تجد الكثير من الأطراف المناوئة للديمقراطية وللحرية وللعدالة آذانا صاغية في الظاهر ولكن هذه الآذان التي تُشيع الأكاذيب والمغالطات، مقابل مبالغ مالية كبيرة، هدفها الإساءة لتونس وللشعب التونسي".

وأشارت أوساط سياسية تونسية إلى أن الرئيس قيس سعيد دأب خلال اتصالاته مع مسؤولي مختلف الدول على توضيح صورة ما يجري في تونس، وذلك للرد على حملات تشويه سياسية وإعلامية منظمة لضرب الانتقال الذي تعيشه البلاد منذ الخامس والعشرين من يوليو، وتجد رواجا لدى وسائل إعلام ومنظمات خارجية.

وقالت هذه الأوساط إن قيس سعيد لا يريد أن يترك الفرصة لبعض المجموعات المناوئة لترويج مزاعم وافتعال تأويلات لأخبار أو وقائع من أجل البحث عن شرعية وهمية عبر الضغط الخارجي، ولذلك فهو يرد بشكل دائم على كل ما يتم نشره ويوضح موقفه ويكشف الخلفيات من وراء ذلك، حتى لا تتحول تلك المزاعم إلى حقائق توظف لاستهداف تونس.

وشدد قيس سعيد في الاتصال الهاتفي مع ماكرون على أن "السيادة هي للشعب مصدر كل السلطات، ولا أحد باسم شرعية مزعومة يمكن أن يُنصّب نفسه مُشرّعا، في ظل قوانين وُضعت على المقاس، لتفجير مؤسسات الدولة من الداخل ولا علاقة لها إطلاقا بإرادة الشعب التونسي".

ومنذ الخامس والعشرين من يوليو الماضي سعى الرئيس التونسي إلى الوقوف بقوة ضد فكرة أن تتحول بعض القطاعات إلى دولة داخل الدولة خاصة قطاع القضاء، الذي يرفض تدخل مؤسسة الرئاسة أو أيّ جهة أخرى في عمله، ويتمسك بأن يتصرف حسب مقاييس خاصة به، ما يهدد وحدة مؤسسات الدولة ويعيق عملها.

وقال قيس سعيد، الخميس، إن "القضاء حرّ ونعمل على أن يكون حرا، ولكنه ليس دولة أو حكومة"، وذلك ردا على موقف المجلس الأعلى للقضاء بشأن موضوع الاستقلالية.

وتابع "السلطة الترتيبية التي منحها القانون للمجلس الأعلى للقضاء ليست لتحديد المنح والامتيازات".

ومساء الأربعاء أصدر الرئيس قيس سعيّد مرسوما ينص على "وضع حد للمنح والامتيازات" المخولة لأعضاء المجلس الأعلى للقضاء.

وبالتوازي مع توضيح حقيقة الحملات السياسية والإعلامية ضد تونس، يحرص الرئيس قيس سعيد في اتصالاته مع نظرائه على بحث سبل استفادة تونس من فرص العلاقات الثنائية وخاصة في الموضوع الاقتصادي.

وبحسب بيان صادر عن الرئاسة التونسية، فقد تناول قيس سعيد وماكرون "قضايا تخصّ العلاقات التونسية – الفرنسية في المجال الاقتصادي، وكذلك التعاون بين البلدين في كافة الميادين".

الرئيس التونسي عمل خلال اتصالاته الخارجية على التوضيح والرد على حملات تشويه سياسية وإعلامية منظمة

من جانبه أكّد الرئيس الفرنسي على "دعم بلاده لتونس ومساندته لها، خاصة في المجال الاقتصادي"، وعبّر كذلك عن "تفهّمه لعديد القضايا والصعوبات التي تمر بها تونس". وفي سياق الدعم الخارجي الذي تحصل عليه تونس بفضل الاتصالات والعلاقات التي بناها قيس سعيد خاصة بعد الخامس والعشرين من يوليو، أعلنت ألمانيا أنها ستقدم قريبا مساعدة إلى تونس بقيمة مئة مليون يورو.

وخلال لقائه وزيرة المالية التونسية سهام بوغديري نمصية أوضح السفير الألماني بيتر بروغل "دفع قرض ترويجي بقيمة 100 مليون يورو من طرف بنك التنمية الألماني في الأيام المقبلة والذي تم الاتفاق عليه تعاقديًا في 2020".

وأورد أن "قرار الدفع اتخذ على ثقة من أن خارطة الطريق التي أعدها رئيس الجمهورية ستمهد الطريق للعودة إلى النظام الدستوري واستعادة المكتسبات الديمقراطية في البلاد".

واشنطن تحاصر شبكات الدعم الدولية لحزب الله: استراتيجية فعالة وبلا ضجيج

بيروت - تستمر الولايات المتحدة في تنفيذ استراتيجية طويلة الأمد لمحاصرة التمويلات الخارجية التي يحصل عليها حزب الله اللبناني المرتبط بإيران في مسعى لمحاصرته ووقف اعتماده على الدعم الذي يحصل عليه في شراء الأسلحة وتمويل سيطرته سياسيا واجتماعيا على لبنان.

وقالت أوساط لبنانية إن استراتيجية واشنطن تقوم على تتبع أنشطة الحزب في الخارج وشبكة داعميه خاصة في أفريقيا وأميركا اللاتينية، حيث استفاد من شبكة علاقات كانت بنتها إيران ما بعد ثورة الخميني في 1979. كما نجح في الاستفادة من وجود تقليدي للبنانيين في أفريقيا وبنى شبكات خاصة به لتهريب الأموال والاتجار بالمخدرات.

وأعلنت وزارة الخزانة الأميركية، الجمعة، فرض عقوبات جديدة ضد أفراد وكيانات مرتبطة بالحزب.

وقالت الوزارة في بيان على موقعها الإلكتروني إن العقوبات "استهدفت 3 لبنانيين و10 كيانات في إطار عقوبات تتعلق بالإرهاب الدولي"، وتطال كلاً من عادل دياب وعدنان عياد وجهاد عدنان عياد.

وأوضحت أن بعض الكيانات المستهدفة بالعقوبات تتخذ من زامبيا مقرا لها.

وبحسب الوزارة، فإن عدنان عياد عضو في حزب الله ورجل أعمال يدير شبكة دولية من الشركات مع عادل دياب، ممول الحزب، الذي فُرضت عليه عقوبات أميركية حديثا.

وأدرجت الوزارة أيضا في قائمة العقوبات ابن عدنان عياد، جهاد، وهو عضو في الحزب ومرتبط بشبكة أعمال والده.

وضمت قائمة الكيانات كلاً من شركات "الأمير للهندسة والإنشاءات والتجارة العامة"، و"غولدن غروب البحرية" و"إنشاءات" و"لاند ميتكس المحدودة" و"لاند ميتكس المساهمة".

كما شملت شركات "غولدن غروب للتجارة" و"توب فاشون جي. إم. بي إتش" و"جمول وعياد للصناعة والتجارة"، و"هامر ونائل للإنشاءات" و"حميدكو للاستثمار" (مقرهما زامبيا).

ولفتت الوزارة إلى أن "الميسرين الماليين المرتبطين بحزب الله، مثل عدنان عياد وعادل دياب، عملوا على مساعدته في الحصول على الأموال من خلال شبكات الشركات التي تعمل تحت ستار المؤسسات التجارية المشروعة".

وتابعت أن ذلك يوضح "كيف تمكّن حزب الله من الوصول إلى النظام المالي الدولي وجمع الأموال دعما لأعماله الإرهابية وأنشطته غير المشروعة".

ونقل البيان عن وكيل الوزارة لشؤون الإرهاب والاستخبارات المالية برايان إي. نيلسون قوله "الوزارة ملتزمة بعرقلة النشاط غير المشروع لحزب الله ومحاولات (الحزب) التهرب من العقوبات من خلال شبكات الأعمال (المشروعة)".

وقبل أيام، أعلنت واشنطن إدراج 3 ميسرين ماليين مرتبطين بحزب الله وشركة سياحية في لبنان على قائمة العقوبات.

وأدرجت الولايات المتحدة حزب الله على قائمة المنظّمات الإرهابية في العام 1997. وتوسعت دائرة هذه العقوبات لتشمل دولا أوروبية بارزة مثل ألمانيا وبريطانيا.

ولم تكتف واشنطن باستهداف نشاط الحزب وشبكاته داخليا وخارجيا بل سعت لعزله لبنانيا من خلال توجيه رسائل قوية إلى حلفائه من الأحزاب والكتل السياسية بأنها ستكون تحت طائلة العقوبات إذا تحالفت معه. كما تضغط على الحكومات اللبنانية المتتالية بأن تنأى بنفسها عن لعب دور المغطي أو الحامي لأنشطة مشبوهة للحزب.

ولم تقف العقوبات الأميركية على الحزب عند حدود رجال الأعمال التابعين له، أو الجهات التي تسهّل أنشطته غير المشروعة، بل طالت أسماء بارزة في الحزب بينها ابن أمينه العام، وعدد من نوابه في البرلمان.

تأجيل قمة الجزائر يكشف العجز

خيرالله خيرالله

ص5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2022/01/23
السنة 44 العدد 12306

المعارضة الجزائرية تحذر السلطة من خياراتها السياسية والاجتماعية

أحزاب تسعى لاستعادة التوازن في المشهد السياسي للبلاد

حذرت أحزاب سياسية معارضة في الجزائر السلطة بقيادة الرئيس عبدالمجيد تبون من الخيارات السياسية والاجتماعية التي تنتهجها في إشارة إلى النزعة الاستبدادية التي تتسم بها هذه الخيارات خاصة بعد ملاحقة العديد من الأحزاب وقادتها قضائيا في محاولة للتضييق عليهم.

الجزائر - حذر حزبا العمال والتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية السلطة من تداعيات الخيارات الاقتصادية والاجتماعية المنتهجة من طرف الحكومة، وشددا على ضرورة رفع القيود المفروضة على الحريات السياسية والإعلامية، ليكونا بذلك أول صوت محتشم يتصاعد في الآونة الأخيرة، بعدما بسطت السلطة نفوذها على المشهد العام في البلاد.

وخرج حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية المعارض عن صمته، حيث ندد في بيان له بما أسماه "الحملة الإدارية والقضائية الموجهة ضده ورئيسه محسن بلعباس"، في إشارة إلى الإنذارات التي وجهتها وزارة الداخلية والجماعات المحلية لقيادة التجمع من أجل الالتزام بتشريعات النشاط الحزبي والسياسي، فضلا عن المتابعة القضائية المفتوحة ضد أمينه العام محسن بلعباس.

> حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية يندد في بيان له بما أسماه الحملة الإدارية والقضائية الموجهة ضده ورئيسه

وأكد الحزب أن "هذه الحملة إشارة واضحة إلى انحراف استبدادي خطير وغير مقبول، الهدف منه معاقبة التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية على موقفه الصريح وغير المهادن، ووقوفه في صف الشعب في كفاحه السلمي من أجل تغيير جذري للنظام، كما يهدف هذا التآمر على الحزب محاولة منعه عبثًا من المشاركة في مبادرات مع بقية الطبقة السياسية المعارضة من أجل إقامة دولة القانون".

وأضاف أن "المحطات الانتخابية المفروضة بالقوة على الشعب الجزائري منذ عامين لم تحل الأزمة السياسية على الإطلاق، بل ازدادتها تعقيدا، حيث ورثت الجزائر بموجبها مؤسسات غير شرعية على كافة المستويات، مما يفاقم أكثر من أي وقت مضى أزمة الثقة لدى المواطنين".

وقاطع الحزب جميع الاستحقاقات السياسية والانتخابية التي نظمتها السلطة منذ تنحي الرئيس الراحل عبدالعزيز بوتفليقة، حيث تم انتخاب عبدالمجيد تبون خلفا له في قصر المرادية، وتم أيضا إجراء انتخابات تشريعية ومحلية، فضلا عن تعديل للدستور، وهي محطات قاطعها الحزب كلها وتمسك بضرورة التغيير السياسي الشامل في البلاد بمرحلة انتقالية.

واستنكر البيان الذي اطلعت عليه "العرب" ما أسماه بـ"الخيار الذي تبنته السلطة لتجريم العمل السياسي السلمي والقانوني. وأكثر ما يدعو إلى القلق وضعية حقوق الإنسان والحريات التي تثير استنكار المنظمات الدولية المدافعة عن حقوق الإنسان، حيث أصبح القمع وتوظيف القضاء اليوم المشهد الوحيد في مسرح الحياة السياسية الوطنية".

وذكّر التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية بـ"الإجراءات التي تم الشروع فيها لحل أحزاب سياسية شرعية، فيما يتابع الآلاف من المواطنات والمواطنين، منهم صحافيون ومحامون وجامعيون ومسؤولون سياسيون ونشطاء جمعويون ومواطنون عاديون بتهمة ارتكاب جرائم رأي، وسجن أكثر من 300 ناشط بشكل تعسفي".

سياسات السلطة تجهض الحلم بجزائر ديمقراطية

ولفت إلى أنه "يبدو واضحاً أن السّلطة ومن خلال انخراطها في عملية سياسية مسدودة وعجزها عن إنقاذ الوضع الاجتماعي والاقتصادي من الكارثة، قد اختارت الحل الأسوء، مما يعرض البلاد لأخطار جسيمة تهدد اللحمة الوطنية".

ووجّه حزب العمال اليساري انتقادات شديدة للحكومة على خلفية تدهور الأوضاع الاجتماعية والصحية، مما سمح بتفشي موجة جديدة من وباء كورونا بشدة في أوساط الشارع الجزائري، نتيجة فشل الحكومة في وضع استراتيجيات ناجعة وفعالية في هذا المجال.

وحذر من مخاطر "ضغوطات السياسة الاجتماعية والاقتصادية المنتهجة من طرف الحكومة، في ظل ارتفاع مؤشرات التضخم وتوسع دائرة الفقر والغلاء الفاحش وندرة مواد أساسية في الأسواق، وهي عوامل تدفع الى انفجار اجتماعي وشيك لا أحد يقدر أو يعرف نتائجه وتداعياته".

وأدانت محكمة في العاصمة منسق الحركة الاجتماعية الديمقراطية التي تمثل اليسار الجزائري فتحي غراس بعقوبة عامين حبسا نافذا، بعدما اتهم ببث منشورات تهدد السلامة والوحدة الوطنية وإهانة هيئة نظامية.

وتعكف وزارة الداخلية منذ عدة أشهر على مراجعة ملفات المجتمع السياسي والمدني من أجل ما تسميه "المطابقة مع التشريعات الناظمة"، وتم في هذا الشأن الإقرار القضائي بحل جمعية "راج" المعارضة، لأسباب إدارية وعدم التكيف مع القوانين، بينما يراه ناشطون أنه حل "سياسي".

وفي هذا الصدد قررت الغرفة الاستعجالية لمجلس الدولة بالعاصمة حكما بالتوقيف المؤقت لنشاط حزب العمال الاشتراكي المعارض وغلق مقراته بعدما رفعت وزارة الداخلية والجماعات المحلية في شهر ماي 2021 دعوى لدى القضاء الإداري ضد الحزب بعد إنذار وجهته له بسبب عدم تسوية وضعيته الإدارية.

وهو القرار الذي وصفه الحزب في بيان له بـ"السابقة الخطيرة والاعتداء الصارخ على التعددية الحزبية والحريات الديمقراطية في الجزائر"، وأكد على أن كفاحه في صفوف العمال وفي الأوساط الشعبية سيتواصل من أجل الحريات والعدالة الاجتماعية، وأنه سيواصل كذلك كفاحه العالمي والمعادي للرأسمالية ومن أجل الاشتراكية.

لكن في المقابل رفض مجلس الدولة طلبا آخر لوزارة الداخلية بحل حزب الاتحاد من أجل التغيير والرقي المعارض، وقالت رئيسته زبيدة عسول في منشور لها على فيسبوك إن "مجلس الدولة رفض دعوى وزارة الداخلية الاستعجالية بخصوص الوقف المؤقت لنشاط الحزب بسبب عدم التأسيس".

الهجرة والإسلام لازمتان تطبعان كل حملة انتخابية في فرنسا

باريس - تشكل الهجرة والإسلام لازمتان قديمتان تعودان عند كل حملة انتخابية في فرنسا، حيث أثار المرشح للرئاسة الفرنسية إريك زمور تصريحات شديدة اللهجة ضد "الاستبدال الكبير" و"المهاجرين المجرمين" جدلا واسعا، غير أن تلك التصريحات تأتي في سياق جدل حول الهجرة والإسلام راسخ في فرنسا أكثر منه في الدول الأوروبية الأخرى.

ويندرج النقاش حول هذين الموضوعين ضمن تاريخ فرنسا الاستعماري الإشكالي، الذي نتج عنه اندماج فوضوي للمجموعات الكبرى المتحدرة من أصول أجنبية، كما أنه نابع من مفهوم صارم للعلمانيّة، على ما أوضح خبراء.

وقال الخبير السياسي باسكال بيرينو إن "عنصر الهجرة حاضر بصورة خاصة في فرنسا، لأنه يحرك الذكرى الصعبة لحرب الجزائر" وما واكبها من قتلى وأعمال تعذيب، ما "ترك آثارا عميقة في اللاوعي الجماعي".

وعلى سبيل المقارنة، لفت الخبير إلى أن "ألمانيا لم تقاتل تركيا وبلجيكا لم تقاتل المغرب"، في إشارة إلى المجموعتين الكبيرتين المتحدرتين من أصل تركي ومغربي في هذين البلدين على التوالي.

وأوضح إيمانويل كونت الباحث في مركز الشؤون الدولية في برشلونة أن فرنسا واجهت أيضا "ضغطا ناجما عن الهجرة أكبر" مما واجهته القوى الاستعمارية الأخرى، وعانت من قصور في استقبال المهاجرين ولاسيما على صعيد الوظائف.

وإن كان المهاجرون استفادوا من "سوق مرنة" في بريطانيا، واعتُبروا "عمّالا مدعوّين" في ألمانيا، فإن فرنسا من جانبها حدّت من وصولهم إلى الوظائف الثابتة "اعتبارا من السبعينات والثمانينات" معطية الأفضلية لمواطنيها، على ما ذكر الخبراء.

وفي الوقت نفسه، أشار كونت إلى أنها حصرتهم في "غيتوات". فالضواحي التي شيدت في فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية فرغت من الطبقات الوسطى، ولم يبق فيها سوى الأكثر فقرا، ومعظمهم من المهاجرين أو أبنائهم، في هذه الأحياء التي خلت تدريجيا من المتاجر والخدمات العامة.

ومع حرمانهم من فرص مهنيّة، غرق البعض في الجريمة، فتحوّل المهاجرون عندها إلى مجرد "مصدر إزعاج" برأي قسم من المواطنين، وهي صورة نمطية غذتها "حملة سياسية" نُظمت ضدّهم.

ولفت الخبير السياسي جان غاريغ بهذا الصدد إلى أن فرنسا لديها "تقليد يميني متطرف يعود إلى أواخر القرن التاسع عشر، لدينا اليوم ورثته".

ففي 1972 قام جان ماري لوبن، وهو من قدامى حربي الهند الصينية والجزائر، بتأسيس الجبهة الوطنية.

وإن كانت ابنته مارين التي وصلت إلى الدورة الثانية من الانتخابات الرئاسية عام 2017 قبل أن يهزمها ماكرون، لطّفت خطابها، فإن المرشح زمور يعتمد خطًا أكثر تطرفا إلى اليمين، مضاعفا التصريحات البالغة الشدة تجاه الهجرة والإسلام.

وبموازاة ذلك، بات مسار اندماج الأجانب "أطول وأصعب تحت ضغط الإسلام المتطرف" بحسب ديدييه ليسكي رئيس الهيئة المكلفة تنظيم الاستقبال والاندماج في فرنسا.

باسكال بيرينو

عنصر الهجرة حاضر لأنه يحرك الذكرى الصعبة لحرب الجزائر

ويثير هذا الضغط صداما مع العلمانية التي أرساها قانون 1905 حول فصل الدين والدولة الذي حصر العقيدة ضمن الدائرة الخاصة.

وقال بويان تميمي عرب الباحث في الدراسات الدينية في جامعة أوتريشت إن "فرنسا هي الشرير العلماني" معتبرا أن مفهوم هذا البلد للعلمانية بالغ التشدد.

ولفت ستيفن فيلدينغ أستاذ التاريخ السياسي في جامعة نوتينغهام إلى أن الإسلام لم يُذكر إطلاقا في المملكة المتحدة رغم أن رفض الهجرة كان موضوعا محوريا في حملة بريكست عام 2016، موضحا أن الهوية الوطنية في بريطانيا هي مفهوم أكثر "مرونة" و"أقل تشددا" منه في فرنسا.

وفي النموذج البريطاني المصمم على شكل تعايش لمختلف المجموعات الواحدة بجانب الأخرى، تكون الديانات حاضرة في المساحة العامة، خلافا لفرنسا حيث يتعيّن على الأجنبي أن يندمج في النموذج الوطني ويتماثل معه.

وقال فيلدينغ "ثمة مسلمون في مناصب عالية في الحزب المحافظ، وصولا إلى حكومة بوريس جونسون، من غير أن يثير ذلك أي رد فعل".

وفي ألمانيا تم استقبال مليون مهاجر عام 2015 وسط موجة تضامن، ما تسبب بصعود قوي لحزب البديل من أجل ألمانيا المتطرف في بلد حيث كانت المحرمات المرتبطة بالماضي النازي تمنع حتى ذلك الحين ظهور حزب متطرف.

لكن في انتخابات 2021، ركز هذا الحزب حملته على وباء كوفيد – 19.

غوتيريش يحذر من بقاء مشكلة الصحراء المغربية دون حل

محمد ماموني العلوي

الرباط - أكد الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش أنه "حان الوقت كي يفهم أطراف النزاع في الصحراء المغربية الحاجة إلى الحوار والسعي نحو الحل، وليس فقط إلى الإبقاء على عملية لا نهاية لها"، وجاء ذلك عقب انتهاء جولة مبعوثه الخاص ستيفان دي ميستورا إلى المنطقة.

وقال غوتيريش في تصريح أدلى به مساء الجمعة إنه "يأمل في أن تتطور العملية السياسية مرة أخرى"، معتبرا أن الأمر يتعلق بـ"مشكلة مستمرة منذ عقود عدة في منطقة من العالم نرى فيها مشاكل أمنية خطيرة جدا".

ويرى مراقبون أن الجزائر هي المعنية بهذه الدعوة في ظل رفضها العودة إلى طاولة المفاوضات بالرغم من دعمها لجبهة البوليساريو الانفصالية.

واعتبر محمد لكريني أستاذ القانون والعلاقات الدولية في تصريح لـ"العرب" أن "هذه الدعوة من قبل غوتيريش لاستئناف المباحثات حول قضية الصحراء المغربية، هي رسالة مباشرة يحمّل فيها المسؤولية للجزائر باعتبارها طرفا معنيا بهذا النزاع، خصوصا وأن قرارات مجلس الأمن وتقارير الأمين العام الأممي تشير إلى هذا الأمر، فضلا عن الدعم اللامشروط الذي تقدمه الجزائر لجبهة البوليساريو".

وجاء تصريح غوتيريش بعد جولة مبعوثه الخاص الجديد إلى الصحراء ستيفان دي ميستورا إلى المنطقة حيث زار خلالها كلا من المغرب ومخيمات تندوف ونواكشوط وأخيرا الجزائر، حيث اطلع على وجهات نظر أطراف النزاع حول الصحراء المغربية.

وأكد المبعوث الجزائري المكلف بملف الصحراء عمار بلاني للمبعوث الأممي "ضرورة البدء فور توفر الظروف المواتية لذلك في مفاوضات مباشرة وبحسن نية وخاصة دون شروط مسبقة بين طرفي النزاع، بمعنى جبهة البوليساريو والمغرب كما هو معرّف في لوائح مجلس الأمن الدولي"، حسب ما جاء في بيان لوزارة الخارجية الجزائرية.

وترفض الجزائر والبوليساريو الجلوس إلى طاولة المباحثات، وقد سبق للأمين العام للأمم المتحدة أن دعا في أكتوبر الماضي الجزائر إلى العودة إلى مكانها حول المائدة المستديرة فور استئناف المسلسل السياسي بهدف التوصل إلى حل سياسي دائم ومتوافق بشأنه لقضية الصحراء المغربية، وذلك بما يتماشى مع قرارات مجلس الأمن التي تمت المصادقة عليها منذ سنة 2018.

أي الطرق نسلك لإرغام الجزائر والبوليساريو على العودة للمفاوضات؟

ودشن دي ميستورا جولته الأولى في المنطقة في الثالث عشر من يناير من المغرب الذي كرر له موقفه بضرورة "استئناف العملية السياسية تحت الرعاية الحصرية" للأمم المتحدة من أجل "التوصل إلى حل سياسي على أساس المبادرة المغربية للحكم الذاتي، وفي إطار مسلسل الموائد المستديرة، وبحضور الأطراف الأربعة" المغرب والبوليساريو والجزائر وموريتانيا.

وأعلنت الجزائر "رفضا رسميا لا رجعة فيه" للعودة إلى طاولة المحادثات بصيغة الموائد المستديرة. وفضلا عن المسؤولية الكاملة للجزائر في ملف الصحراء المغربية، تمت الإشارة إلى دورها الرئيسي في قضية الصحراء المغربية أربع عشرة مرة على الأقل في التقرير السنوي الذي وضعه غوتيريش أمام أنظار مجلس الأمن.

وعبّر محمد لكريني عن اعتقاده أن "الجزائر ستشارك في الموائد المستديرة المقبلة بعد جولة المبعوث الأممي الجديد إلى المنطقة، لأنها تعتبر طرفا معنيا بهذا النزاع الذي عمّر طويلا وكانت تكلفته كبيرة على المنطقة".

وعكس ما تحاول الجزائر الترويج له فإن قرار مجلس الأمن الأخير 2602 يشير إلى الجزائر بوصفها طرفا في النزاع ما يجعلها معنية بالانخراط في العملية السياسية تحت رعاية الأمم المتحدة من أجل تسوية قضية الصحراء.

ودعا مجلس الأمن الجزائر وباقي الأطراف إلى المساهمة الفعلية في نهاية المسلسل السياسي، كما تكرس هذه القرارات على غرار تلك التي صادق عليها مجلس الأمن منذ سنة 2007 مبادرة الحكم الذاتي باعتبارها حلا جديا وذا مصداقية للنزاع حول قضية الصحراء المغربية.

محمد لكريني

دعوة غوتيريش رسالة يحمّل فيها المسؤولية للجزائر

واللافت أن يربط الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش في تصريحه الأخير ملف الصحراء بارتفاع منسوب الإرهاب في منطقة الساحل، حيث أكد أن "الإرهاب ينتشر في منطقة الساحل، ومن مصلحة الجميع حل مشكلة الصحراء نهائيا".

ويشير مراقبون إلى أنه من المؤكد أن الأمم المتحدة تملك معطيات عن تسرب الفكر المتطرف إلى مخيمات تندوف، ومن المحتمل أن تشكل تهديدا على المنطقة واستقرارها، خصوصا مع نجاح المغرب في جعل منطقة شمال أفريقيا بمنأى عن تسرب العناصر الإرهابية نحوها، لاسيما من المنطقة العازلة في الصحراء المغربية.

وفي هذا الصدد شدد هشام معتضد الأكاديمي والخبير في العلاقات الدولية في تصريح لـ"العرب" على "وجود حسابات جيوستراتيجية وتطورات أمنية في المنطقة ساهمت في التعجيل بإصدار الموقف الأميركي المعترف بسيادة المغرب على صحرائه، خاصة تلك المرتبطة بتنامي دعم الجماعات الإرهابية في منطقة الساحل والصحراء تتطلب تشديد المراقبة ورفع حالة التأهب على مستوى هذه المنطقة لما تشكله من مرتع خصب للعديد من التحركات المشبوهة للكثير من التنظيمات والميليشيات".

وتم رصد التداخل بين انفصاليي البوليساريو والمجموعات الإرهابية وبات قائما بحسب مصادر أمنية، حيث أكد حبوب الشرقاوي مدير المكتب المركزي للأبحاث القضائية أن صفوف تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي قد باتت تضم "أزيد من 100 انفصالي من جبهة البوليساريو"، مشددا على أن هناك "تأطيرا داخل مخيمات تندوف وتلقينا عقائديا يقوم به أئمة المخيمات".

وأوضح المسؤول الأمني المغربي أن هذا "المعطى الثابت يحيل على انخراط عناصر من جبهة البوليساريو في المجموعات الإرهابية المصغرة، أو داخل تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، أو في صفوف تنظيم الدولة الإسلامية في الصحراء الكبرى".

العرب
الأحد 2022/01/23
السنة 44 العدد 12306

جولة اقتصادية تُمهد لتطبيع سياسي بين مصر وتركيا

وفد مصري يلتقي اتحاد الغرف والبورصات التركي لتعزيز العلاقات التجارية

تُمهد الجولة الاقتصادية التي قام بها رئيس اتحاد الغرف والبورصات التركي رفعت حصار جيكلي أوغلو في مصر لتطبيع سياسي للعلاقات بين أنقرة والقاهرة، حيث يسعى الطرفان لتطوير الاستثمارات المتبادلة وهي مساع يبدو أنها نابعة من تعليمات سياسية مباشرة.

تركيا تسارع لاتخاذ خطوات تستهدف تطبيع العلاقات

القاهرة - دعا رئيسا اتحاد الغرف والبورصات في تركيا رفعت حصار جيكلي أوغلو والاتحاد العام للغرف التجارية في مصر إبراهيم العربي خلال اجتماع عقد في أنقرة الجمعة إلى تطوير الاستثمارات المتبادلة بين البلدين.

وأكد حصار جيكلي أن الحوار بين البلدين جعل عالم الأعمال سعيدا، مؤكدا أنهم مستعدون لبذل قصارى جهدهم للمساهمة في هذه المرحلة، ويحاولون دائمًا الفصل بين السياسة والاقتصاد، قائلا "نحن كمستثمرين أتراك لم نوقف استثماراتنا في مصر إطلاقا. الشركات التركية لديها استثمارات تزيد عن ملياري دولار في مصر".

ويأتي هذا التطور بعد تعثر حدوث اختراق كبير في العلاقات السياسية وعدم جني ثمار من وراء اللقاءات الاستكشافية التي تمت في كل من القاهرة وأنقرة على مستوى وفدين من وزارتي الخارجية في البلدين خلال شهري مايو وأغسطس الماضيين.

محرم هلال

انتعاشة مرتقبة في قطاعات الصناعات الهندسية والمنسوجات

بسنت فهمي

القاهرة يمكنها الاستفادة من تجربة القطاع الخاص في تركيا

وحاولت تركيا التجاوب مع المطالب المصرية بشأن الحد من تحركات عناصر جماعة الإخوان على أراضيها وتقويض نشاطهم الإعلامي، غير أن القاهرة لم تقتنع بما اتخذته أنقرة من خطوات حتى الآن، حيث رفضت الأخيرة تسليم عدد من المطلوبين المدانين في جرائم عنف، كما تلكأت في سحب قواتها العسكرية من ليبيا.

وسعت أنقرة لخفض التوتر مع القاهرة في القضايا العالقة بينهما وأبدت تجاوبا نسبيا معها ضمن رغبتها في تصفير الخلافات الإقليمية، غير أنها اصطدمت بتشدد مصر التي اشترطت للتطبيع أن تؤكد تركيا حسن نوايا بصورة عملية وكاملة.

ولم تحل التعقيدات المترامية بين الطرفين دون الاستفادة من التراكمات الاقتصادية الجيدة التي تجنبت التأثر بما وصلت إليه العلاقات السياسية والأمنية من تدهور، وكأنّ هناك حرصا مشتركا على إبعاد الاستثمارات عن أية ارتدادات سلبية.

ومضى النسق الاقتصادي في اتجاه معاكس طيلة سنوات الخلاف وكأنه لا يعترف بالمستوى السياسي، وبقي بعيدًا عن التداعيات القاتمة ضمن تفاهم ملحوظ عززته حزمة من المصالح الاقتصادية التي حرص كل طرف على الاحتفاظ بها.

ورحب محرم هلال رئيس اتحاد المستثمرين المصري بتعزيز العلاقات بين مصر وتركيا بشرط مراعاة المصلحة المصرية، موضحًا لـ"العرب" أن اللقاءات الثنائية بين الغرف التجارية ورجال الأعمال خطوة أولى لعودة التطبيع بصورة كاملة بين البلدين.

وأضاف أن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان يحاول إصلاح أخطائه السياسية عن طريق رجال الأعمال، لأن مصر محطة مهمة لكسر عزلته في المنطقة العربية.

وأوضح هلال أن من أبرز القطاعات التي من المتوقع أن تنتعش في مصر جراء إزالة القيود في العلاقات بين البلدين هي الصناعات الهندسية وقطاع الغزل والنسيج، لافتا إلى أن الاستثمارات التركية في المناطق الصناعية الكبرى بمصر لم تتأثر سلبًا على مدار التوتر الحاد في العلاقات السياسية بين البلدين.

وكشف لـ"العرب" أن اتحاد المستثمرين "رهن إشارة من الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي أو مجلس الوزراء برئاسة مصطفى مدبولي لعقد لقاءات مع المستثمرين الأتراك لأنه يتحرك وفق المصلحة الوطنية على الصعيدين السياسي والاقتصادي".

وتؤكد تصريحات رئيس اتحاد المستثمرين، وهو من أكبر المنظمات الخاصة في مصر التي تضم جمعيات المستثمرين في المناطق الصناعية، أنه على صلة مباشرة وتنسيق تام مع النظام الحاكم، وأن تحركات الغرف التجارية ورجال الأعمال وتواصلها مع أي جهة في الخارج، وبينها تركيا، تنبع من تعليمات سياسية رسمية.

وما يدلل على التحسن الاقتصادي استمرار اتفاقية التجارة الحرة التي أبرمتها مصر مع تركيا عام 2005، ودخلت حيز التنفيذ بعد ذلك بعامين، وتلزم كل طرف بتخفيض الرسوم الجمركية جزئيًا وسنويا وصولاً إلى الإعفاء الكلي الذي تحقق عام 2020، ولا تزال قائمة ولم تتعطل، وهو ما عزز من عملية التبادل التجاري بين البلدين.

واستفادت تركيا من تلك الاتفاقية بشكل أكبر باعتبارها الأكثر قدرة على التصنيع والتصدير، خاصة أن السيارات الواردة من تركيا إلى مصر عن طريق مصانع الشركات العالمية تحررت من القيود الجمركية وأصبحت صفرية عملا بالاتفاقية.

وتصدر تركيا لمصر سيارات ملاكي تنتمي إلى علامات تجارية يابانية مثل تويوتا كورولا وهوندا سيفك، وسيارات إيطالية مثل فيات تيبو، وفرنسية مثل رينو ميغان.

وحسب البيانات الصادرة عن مجلس معلومات سوق السيارات "أميك"، ارتفعت مبيعات السيارات التركية في مصر أخيرا بنسبة تعدت 67 في المئة، بعد أن سجلت إجمالي مبيعات وصل إلى 30.2 ألف سيارة، مقارنة بنحو 18.1 ألف سيارة في 2019، أي قبل تنفيذ الاتفاقية.

ورغم استمرار العلاقات الاقتصادية بعد رحيل جماعة الإخوان عن الحكم في مصر في يوليو 2013، إلا أن التبادل التجاري مر بمراحل مختلفة بين التراجع والاستقرار حتى عاد للارتفاع العام الماضي، وسجل نحو 5.8 مليار دولار خلال الأشهر الـ11 الأولى من 2021، محققا نموا بنسبة 35 في المئة مقارنة بالفترة نفسها من 2020، حسب بيانات اتحاد الغرف والبورصات في تركيا.

وقالت بسنت فهمي وكيلة اللجنة الاقتصادية بمجلس النواب سابقًا والخبيرة في الشأن الاقتصادي الدولي إن العلاقات التجارية لا تعرف التخاصم لأنها قائمة على المصالح، إذ يترتب عليها مصير دول وشعوب وعمالة تتكسب العيش.

وأشارت لـ"العرب" إلى أنه من مصلحة البلدين التوافق لأن اقتصاديهما يتسمان بالقوة، ويجب أن تستغل مصر النهضة الصناعية التركية لنقلها إليها، كما أن السوق المصرية تتسع لاستقبال المزيد من الاستثمارات التركية، فضلاً عن مساعي القاهرة للنهوض بالقطاعات المختلفة والتي يمكن أن تكون وسيلة إمداد لأنقرة.

وذكرت أن تجربة القطاع الخاص في تركيا التي قامت على التشجيع رائدة لأنها تشمل التصنيع في كل القطاعات وبمكونات غالبيتها محلية، بينما تعثر القطاع الخاص بمصر خلال العقود الماضية ولم يجد دعمًا كبيرًا من الدولة ما دفعه إلى الاعتماد على الاستيراد، ومن ثم يمكن نقل تجربة أنقرة الاستثمارية إلى مصر.

ووفق أحدث نشرة تخص التجارة الخارجية الصادرة عن الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء في القاهرة، ارتفعت قيمة التجارة بين مصر وتركيا بنسبة 16.3 في المئة خلال الأشهر التسعة الأولى من العام الماضي لتسجل نحو 4.12 مليار دولار مقابل 3.54 مليار دولار خلال الفترة ذاتها من عام 2020.

ويصب الميزان التجاري بين البلدين في صالح تركيا بقيمة 1.23 مليار دولار مقارنة بنحو 1.03 مليار دولار خلال الفترة من يناير وحتى سبتمبر من 2020، ما يعني تراجع عجز الميزان التجاري بين البلدين بنسبة 16.4 في المئة.

وأظهرت النشرة ارتفاع صادرات مصر إلى تركيا في الفترة المذكورة بنسبة 33.9 في المئة لتسجل 1.54 مليار دولار مقابل 1.15 مليار دولار خلال نفس الفترة من 2020 لتستحوذ على 4 في المئة من إجمالي الصادرات المصرية في تلك الفترة.

السودان يسعى للتهدئة مع إثيوبيا حتى يتفرغ لحل أزمته الداخلية

أديس أبابا - يسعى السودان للتهدئة مع إثيوبيا من أجل التفرغ لحلحلة أزمته الداخلية التي تسبب فيها الانقلاب الذي نفذه قائد الجيش الفريق أول ركن عبدالفتاح البرهان في الخامس والعشرين من أكتوبر من العام الماضي.

وفي هذا الصدد التقى نائب رئيس مجلس السيادة السوداني الفريق أول محمد حمدان دقلو السبت في أديس أبابا بوزير الدفاع الإثيوبي أبراهام بلاي، في أول زيارة لمسؤول كبير من الخرطوم إلى الدولة المجاورة بعد عام من التوتر في منطقة حدودية متنازع عليها، وفق ما أعلنت شبكة "فانا" الإعلامية الإثيوبية ووكالة الأنباء السودانية.

وأوردت وكالة السودان للأنباء "سونا" أن الفريق أول دقلو سيبحث "العلاقات الثنائية بين البلدين الشقيقين وسبل دعمها وتطويرها بما يخدم مصالح البلدين في المجالات كافة".

زيارة للتخفيف من الضغوط

وأعلن مجلس السيادة الانتقالي في السودان أن دقلو "وصل إلى العاصمة الإثيوبية أديس أبابا صباح اليوم (السبت)" في زيارة رسمية تستغرق يومين، و"كان في استقباله بمطار بولي الدولي وزير الدفاع الإثيوبي أبراهام بلاي، ومدير المخابرات وعدد من المسؤولين في الحكومة الإثيوبية إلى جانب طاقم السفارة السودانية بأديس أبابا في مقدمتهم السفير جمال الشيخ".

وبعيد وصول نائب رئيس مجلس السيادة السوداني إلى أديس أبابا نشر رئيس الوزراء الإثيوبي آبي أحمد تغريدة رحب فيها بدقلو، معربا عن تقديره "للأواصر التاريخية العميقة التي تربط بين شعبينا الشقيقين والتي لا يجوز فصلها مهما كانت الظروف".

وتابع آبي أحمد "سوف نسعى ببذل قصارى جهدنا للحفاظ عليها ولتعزيزها بما فيه الخير لبلدينا ولأبناء شعبينا".

وأعلنت الخرطوم قبل أقل من شهرين أنها فقدت ستة جنود في منطقة الفشقة الحدودية الخصبة المتنازع عليها، متهمة "الجيش وميليشيات إثيوبية" بالوقوف وراء ذلك. لكن أديس أبابا نسبت ذلك إلى متمردين من تيغراي تقاتلهم منذ أكثر من عام في نزاع دفع عشرات الآلاف من الإثيوبيين إلى اللجوء إلى السودان.

وقد يُدرج هذا النزوح وأعمال العنف وقضية الحدود والمياه على جدول أعمال هذه "الزيارة الرسمية التي تستغرق يومين" حسب الوكالة التي أوضحت أن الفريق أول دقلو المعروف بـ"حميدتي" سيلتقي خلالها "بعدد من المسؤولين في إثيوبيا"، دون تسميتهم.

> نائب رئيس مجلس السيادة التقى بأديس أبابا وزير الدفاع الإثيوبي في أول زيارة لمسؤول سوداني بعد سنة من التوتر

وعلى الرغم من عدة جولات من المفاوضات لم يتمكن السودان وإثيوبيا اللذان يدور بينهما خلاف منذ أكثر من عشر سنوات على سد النهضة الذي بنته أديس أبابا على نهر النيل من التوصل إلى اتفاق بشأن ترسيم الحدود بينهما.

ويشكل سد النهضة الذي يفترض أن يصبح أكبر منشأة لتوليد الطاقة الكهرمائية في أفريقيا مصدر قلق للخرطوم والقاهرة اللتين يمر النهر من أراضيهما وتخشيان انخفاض إمدادات المياه.

وتأتي هذه الزيارة بينما يشهد البلدان دوامة من أعمال العنف، فالحرب الأهلية تتفاقم في إثيوبيا، بينما يشهد السودان تظاهرات يجري قمعها منذ انقلاب الخامس والعشرين أكتوبر وقتل فيها أكثر من سبعين شخصا.

وزير الخارجية الكويتي يحل بلبنان في أول زيارة منذ أزمة قرداحي

بيروت - بدأ وزير الخارجية الكويتي الشيخ أحمد ناصر المحمد الصباح زيارة إلى لبنان هي الأولى لمسؤول خليجي رفيع المستوى منذ الأزمة التي أثارتها تصريحات وزير الإعلام اللبناني السابق جورج قرداحي انتقد فيها تدخل التحالف العربي بقيادة المملكة العربية السعودية في اليمن.

وفي أكتوبر الماضي طردت الكويت والسعودية والبحرين دبلوماسيين لبنانيين وسحبت سفراءها من بيروت في أعقاب تصريحات أدلى بها وزير الإعلام اللبناني السابق جورج قرداحي تنتقد التدخل العسكري الذي تقوده السعودية في اليمن.

ودعا مجلس التعاون الخليجي في ديسمبر الماضي لبنان إلى منع جماعة حزب الله التي تدعمها إيران من تنفيذ عمليات إرهابية، وإلى تقوية جيشه وضمان أن تظل الأسلحة في أيدي مؤسسات الدولة فحسب.

وقالت مصادر رسمية لبنانية إنه من المتوقع أن يجتمع الشيخ أحمد ناصر الصباح مع الرئيس ميشال عون ورئيس البرلمان نبيه بري الأحد وسط توقعات بانفراج في العلاقات اللبنانية الخليجية.

ودعا عون وميقاتي إلى الحوار مع السعودية لحل الأزمة الدبلوماسية التي زادت من حدة انهيار اقتصادي يعاني منه لبنان ودخل عامه الثالث.

والجمعة أعرب عون عن أمله في ألا تستعمل بعض الدول بلاده ساحة "لتصفية خلافات إقليمية، وألا تدعم فئات منه على حساب فئات أخرى".

ويسعى عون على ما يبدو للنأي عن سياسات حزب الله التي أضرت بعلاقات لبنان مع محيطه العربي وخاصة الدول الخليجية وذلك خدمة للمصالح الإيرانية وتورط في التدخل في عدد من الساحات العربية خاصة سوريا واليمن.

وكان جبران باسيل رئيس التيار الوطني الحر وصهر الرئيس عون قد وجه انتقادات لحزب الله مقرا بفشل تحالفه مع الجماعة الموالية لإيران في بناء دولة لبنانية قوية.

وتأتي انتقادات جبران باسيل لحزب الله بسبب تراجع شعبية الحزب في الأوساط المسيحية ونتيجة تدهور علاقات البلد بمحيطه العربي وخاصة الدول الخليجية بما فيها دولة الكويت.

ومن المقرر أن تجرى الانتخابات النيابية في لبنان في الخامس عشر من مايو المقبل، ومن المتوقع أن تحتدم المنافسة مع توسع الغضب الشعبي بسبب الانهيار الاقتصادي والمالي الذي تعاني منه البلاد منذ أكثر من عامين، وتفاقم أوضاع الفقر بدرجة كبيرة.

العرب
الأحد 2022/01/23
السنة 44 العدد 12306

لماذا لم تعد مصر منزعجة من تداعيات الأزمة الليبية المستمرة

مسار الانتخابات يضبط التوتر في العلاقة بين القاهرة والقوى الفاعلة

التركيز على الانتخابات في ليبيا يطمئن مصر

مصر باتت مطمئنة إلى أن التغييرات على المشهد الليبي لن تضيرها بعد أن نجحت في تحييد الميليشيات غرب ليبيا، وحدت من غلواء نفوذ تركيا، وأمّنت حدودها الغربية، فيما باتت مواجهة القوى والمرتزقة على الأراضي الليبية مهمة الدول الغربية. وسعت القاهرة لتحويل المعركة الأمنية في ليبيا إلى معركة سياسية من بوابة الانتخابات.

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

تراجعت حدة التهديدات الأمنية القادمة من ليبيا على مصر مؤخرا، فتراجع معها مستوى الانزعاج والتوتر من التطورات التي أخذت شكلا سياسيا يتعلق بتحديد مصير الانتخابات المعطلة، وهو أمر لا يشكل قلقا كبيرا للقاهرة في الوقت الراهن، فهذه العملية شأن ليبي وإقليمي ودولي يمكن حلها بالحوارات والأدوات والتفاهمات السياسية أكثر من قعقعة السلاح وارتفاع صوت المدافع في غرب ليبيا وشرقها.

كشرت مصر عن أنيابها عندما كانت أجزاء كبيرة من منطقة شرق ليبيا المجاورة لحدودها تحت هيمنة جماعات إرهابية، ورفعت جاهزيتها العسكرية وقت أن أرادت الميليشيات الاحتكاك بها والاضرار بمصالحها، ووضعت خطها الأحمر في سرت – الجفرة عندما راودت تركيا طموحات سافرة بالاقتراب من هذه المنطقة.

تغير الكثير من هذه المعادلات، فلا المتطرفون يتحكمون في الشرق، ولا قادة الميليشيات عازمون على الاقتراب منه، ولا تركيا تريد إعادة فصولها القاتمة في مضايقة مصر التي أعادت ترتيب أوراقها الأمنية بما يضمن درجة عالية من تأمين الحدود الغربية، واتخذت من الإجراءات ما يردع القوى التي تفكر في الاعتداء عليها.

وأصبحت مسألة التدخلات العسكرية الخارجية وكثافة المرتزقة تمثل قلقا لدول غربية أكثر من مصر، حيث تأكدت قوى عدة أن هذه القضية سوف تكون لها ارتدادات على توازنات القوى العالمية، ويمكن أن تتحول إلى منغص دائم لجنوب أوروبا وحلف شمال الأطلسي، فالتهاون السابق أغرى روسيا وشجع تركيا على توسيع نفوذهما في ليبيا.

تجاوز تمركز القوات الأجنبية حدود الهموم المصرية التقليدية، وبات همّا لدى قوى كبرى وتتولى التعامل معه بطريقة شبه جماعية، بما يكسر حاجزا مهما سعت القاهرة لتحطيمه خلال الأشهر الماضية ولم تجد تجاوبا كافيا معها، إذ حال التقاعس أو التراخي الذي بدا عليه المجتمع الدولي دون ذلك في حينه.

تسبب وضع ملف المرتزقة على الطاولة الدولية في طمأنة القيادة المصرية، خاصة أن فلولا من هؤلاء بدأت ترحل عن ليبيا كنوع من الإيحاء بأن هذه الورقة لن تستمر طويلا في ليبيا، وأشار الزخم الذي شهدته الانتخابات المغدورة إلى أن غالبية القوى الليبية ترتاح إلى هذا الخيار وتقتنع أن الحرب لم تعد حلا للأزمة المستعصية.

> تغير الكثير من هذه المعادلات، فلا المتطرفون يتحكمون في الشرق، ولا قادة الميليشيات عازمون على الاقتراب منه، ولا تركيا تريد إعادة فصولها القاتمة في مضايقة مصر

عندما بدأ ملف التدخلات الخارجية يحتل أولوية لدى المجتمع الدولي وجدت القاهرة أن الأزمة في ليبيا يمكن تفكيك العقدة الكبيرة فيها، والتي مثلت على الدوام هاجسا كبيرا لها، لأنها لا تريد أن تكون كبش فداء، أو رأس حربة في مواجهة موزاييك من الميليشيات تتداخل فيها كل أنواع القذارة العسكرية.

كما أن التطورات السياسية في دول الجوار لم تعد داعمة للمتطرفين ومن يدورون في فلكهم داخل ليبيا، فالضربة التي وجهت إلى حركة النهضة في تونس حرمت التيار الإسلامي من أحد أهم الأبواب الخلفية التي اعتمد عليها طويلا، حيث سدت السطات الأمنية في تونس جانبا معتبرا من ثغرات اعتاد على استغلالها المنتمون إلى هذا التيار في ليبيا، وأوقفت زحف سيناريوهات تجرها إلى مستنقع شبيه بما يجري في ليبيا.

وأعادت الجزائر تصويب رؤيتها بما يخفف من تعاطفها أو تفهمها لخطاب الإسلاميين في ليبيا، وبدت على تناغم نسبي مع القاهرة، والذي تعزز مع سقوط حزب العدالة والتنمية المغربي في الانتخابات البرلمانية الأخيرة وفقدانه السيطرة على الحكومة، الأمر الذي أوجد ارتياحا لدى مصر، فالتغيرات التي حدثت في دول الجوار المغاربية ستكون لها انعكاسات سلبية على الحظوظ الأمنية والسياسية للإسلاميين في ليبيا. كان هؤلاء من أشد القوى الليبية سعيا لتعطيل مسار الانتخابات بذريعة الاعتراض على القوانين المنظمة لها تارة أو عدم اكتمال البنية اللوجستية اللازمة تارة أخرى.

بينما يعود السبب الرئيسي إلى عدم الثقة في الوجود داخل السلطة بعد إجراء انتخابات نزيهة، لذلك دفعت القاهرة نحوها كطريق وحيد يتكفل بكشف الوزن الحقيقي للإسلاميين في ليبيا، حيث ترى تقديرات مصرية أن وزنهم لا يتجاوز الـ15 في المئة، الأمر الذي لا يمكّنهم من الوصول إلى السلطة أو التحكم في مفاتيحها التشريعية.

سعت القاهرة منذ فترة لتحويل المعركة الأمنية إلى سياسية في ليبيا، وليتنافس المتنافسون، غير أن بعض القوى رفضت تسهيل الطريق أمام هذا الخيار لعجزها عن فهم الواقع الليبي أو تواطؤها مع قادة الجماعات المسلحة ومن يقفون خلفهم، وهو ما يفسر إصرار مصر مبكرا على اللجوء إلى التسوية السياسية لحل الأزمة الليبية.

على الرغم من الصعوبات التي تعتري العملية الانتخابية حاليا، لكنها أضحت واقعا يصعب التراجع عنه، وتعمل بعض القوى الدولية على إيجاد صيغة مناسبة لضبط الدفة في هذا الاتجاه ومنع النكوص عنه، ومثلت حوارات أجرتها المبعوثة الخاصة للأمم المتحدة ستيفاني ويليامز في كل من تونس وتركيا وروسيا ومصر مؤخرا جزءا من البحث عن وسيلة للخروج من المأزق وتأكيدا لعدم الرجوع إلى الحرب.

أضفى الوصول إلى هذه النقطة الكثير من معالم الارتياح في القاهرة لأن الصراع السياسي أخف ألما لها من الصراعات المسلحة، فهما كانت القوة الصاعدة في المشهد الجديد فلدى مصر من المرونة ما يمكنها من التعامل معها، الأمر الذي جعلها تضاعف من انفتاحها على القوى السياسية باختلاف أطيافها الفترة الماضية وتتخلى عن انحيازاتها نحو تيار أو شخصيات بعينها.

أسهم اللجوء إلى التغيير في ليبيا ودعم اللجوء إلى طريق الانتخابات في ضبط الخلل الحاصل في العلاقة بين القاهرة وقوى نشطة على الساحة الليبية، فطالما أن اللعبة ملتزمة بالضوابط السياسية وبعيدة عن العبث الأمني فلن يضيرها كثيرا صعود قوة ليست على وفاق تام معها، فالشعب الذي اختار هذه القوة أو تلك هو الوحيد صاحب الإرادة والقادر على التخلص منها.

يرفع الدخول في هذه المرحلة عن كاهل مصر عبئا أمنيا كبيرا مع تركيا تحديدا عندما كانت من أبرز المنغصات التي حاولت القاهرة التخلص منها بطرق مختلفة، فمع التقارب السياسي الظاهر بين البلدين لم يعد تواصل أنقرة مع قوى في شرق ليبيا، محسوبة تقليديا على مصر، مصدر إزعاج لها، ولم تعد زيارات المسؤولين في أنقرة إلى هذه المنطقة يفهم على أنه موجه تماما ضد المصالح المصرية.

أزال التقارب بين القاهرة وأنقرة الكثير من المحرمات في ليبيا، وأدى وضع المنافسة في إطار سياسي لتقليل منسوب الغضب والخلافات بينهما، ففي النهاية أصبحت معالم اللعبة واضحة وقواعدها ليست عصية على الفهم، ومن يملك المقومات الفارقة عليه أن يستقطب ما يريد من القوى التي يستطيع التعاون والتنسيق معها.

أحد أسرار الارتياح المصري لما يجري في ليبيا أن تركيا سوف تكون مضطرة للتخلي تدريجيا عن خيارها العسكري في المنطقة الذي أفضى إلى زيادة حدة الانزعاج المصري ورفع سقف الاستنفار، لأنه يخل بالتوازن الذي تريده القاهرة، وكان سيجبرها على اختيار طرق عنيفة لا تريد اللجوء إليها في هذه المرحلة، حيث تحاول تثبيت أقدام النظام في الداخل أولا قبل الاستعداد أو الشروع في مواجهات إقليمية.

تجارة المصالحة الفلسطينية في الجزائر

علي الصراف
كاتب عراقي

الموقف الشعبي الجزائري من القضية الفلسطينية، مثله مثل كل موقف شعبي عربي آخر، يدعم الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني، وينتصر لكل أشكال المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي، ويعتبر حل الدولتين على أساس الشرعية الدولية هو أقل الأقل في ما يتعين أن يُمكن.

السؤال الذي يواجه دعوة الرئيس الجزائري عبدالمجيد تبون لعقد ندوة حوار بين الفصائل الفلسطينية هو ماذا يمكن للجزائر أن تقدم لرأب الصدع بين هذه الفصائل مما لم تقدمه مصر، ومما لم تقدمه العشرات من الجهود التي نهضت بها دول أخرى؟

الجواب، لا شيء تقريبا. حتى الـ100 مليون دولار التي قدمها الرئيس تبون للرئيس الفلسطيني محمود عباس، كان غيره قدم أكثر منها، إلا أنها لم تكف.

هناك ثلاثة عوامل يحسن بالجزائر أن تنتبه إليها، في محيط هذه الدعوة، لكي يمكن أن تجعل منها دعوة تقصد عنوانها، لا عناوين أخرى في جوارها. أو بعبارة أخرى لكي لا تكون قصة "إياك أعني واسمع يا جار".

الأول، هو أن تحركها باتجاه القضية الفلسطينية لا يقصد المزايدة على أي أحد. أي أنه منهج قائم بذاته، يستهدف تقديم الدعم للفلسطينيين لكي ينهضوا بواجباتهم الوطنية على أساس استراتيجية وطنية واضحة.

بقول آخر، فإن الجزائر لا تقصد المتاجرة بالقضية الفلسطينية، كما ظل يفعل غيرها لعقود طويلة حتى انتهت بالإفلاس المشترك للمتاجرين وللقضية نفسها. كما أنها لا تقصد المتاجرة بهذه القضية في مواجهة المغرب، لكي تكسب من وراء ذلك شرعية مزيفة لسياسات استعداء ليس لها مبرر.

والثاني، هو أن نظام الرئيس تبون لا يريد أن يزايد بالقضية الفلسطينية على شعبه نفسه الذي ما يزال يطالب بالإصلاح ويرفض الاعتراف بشرعية المؤسسة الحاكمة القائمة.

القضية الفلسطينية كسلعة مزايدات داخلية أُستهلكت تماما. صحيح أن أنظمة طغيان عديدة ظلت تستخدمها كتعلة للاستبداد الداخلي لعدة عقود، إلا أن هذه السلعة سقطت من الاعتبارات الشعبية منذ أن افتضح أمرها كغطاء مهلهل لتلك الأنظمة التي ظلت ترفع شعار "كل شيء من أجل المعركة" حتى خسرنا كل شيء ولم نكسب المعركة.

وليس من المعقول أن يأتي الرئيس تبون من آخر الزمان لكي يعيد استخدام القضية الفلسطينية لغرض فاسد، بعد طول استخدام فاسد، حتى انتهى في كل مكان بفضيحة في أعين الناس كافة.

أما الثالث، فهو أن الدعوة لا تقصد أن تزايد بين الفلسطينيين على الفلسطينيين أنفسهم.

ما يتعين أن يكون حقيقيا وصادقا، هو أن تأخذ الدعوة إلى المصالحة بالاعتبار ليس قضايا الخلاف بين الفصائل الفلسطينية وحدها، وإنما ثلاث قضايا أهم:

أولا، ما إذا كان يمكن التوافق على خطوط مشتركة.

ثانيا، ما إذا كان يمكن لهذه الخطوط أن تتحول إلى أدوات تنفيذية.

ثالثا، ما إذا كانت تخدم صمود الشعب الفلسطيني نفسه، لا "صمود" منظماته عليه.

ولن يكون مفاجئا لأحد، من بعد ذلك، أن تكتشف الرئاسة الجزائرية أن الدعوة:

أولا، لم تأت بجديد على الجهود التي بذلتها مصر على وجه الخصوص.

ثانيا، أن تجد نفسها على شقاق مع الطرفين الرئيسيين في الانقسام الفلسطيني (فتح وحماس) في آن معا، لأن بعض تصوراتها لا تتناسب مع هذا، وبعضها الآخر لا يتناسب مع ذاك.

ثالثا، أن أصل العلة موجود في هذين الطرفين نفسيهما. فهما بدورهما يتاجران بالانقسام والمصالحة كما لم يتاجرا بأي شيء آخر. كما أنهما يسلكان المسلك الاستبدادي نفسه، ولا يستطيعان التخلي عنه. وكل منهما يتغطى بمفضوح أو مهلهل.

لقد سبق للطرفين أن وقّعا على اتفاق مصالحة. وظل المبعوثون المصريون "رايح جاي" بين رام والله وغزة، لكي يجمعوا كل الفصائل على اتفاق شامل. حتى انتهوا إلى القاهرة، فوقعوا اتفاقا يقضي بإجراء انتخابات لإعادة بناء مؤسسة السلطة الوطنية، ولكن لم يمض وقت طويل حتى "خوزق" الرئيس عباس الاتفاق وألغى الانتخابات.

الآن، من أين يمكن لندوة الجزائر أن تبدأ؟ أمن اتفاق جديد لإجراء انتخابات سوف يعود الرئيس عباس ليخوزقه مجددا؟ أم من استراتيجية وطنية لم يجد الطرفان سبيلا للتوافق عليها؟ أم من إعادة بناء شكلية لمؤسسة السلطة لتقاسم النفوذ والمصالحة بين فتح وحماس، وهي النظرية التي يدافع عنها الرئيس عباس لكي يكسب البقاء في السلطة؟

حديث أوساط الرئاسة الجزائرية عن "دعم المقاومة" يحتاج توضيحا من خارج الكلام الفارغ، يبدأ من التعريف ما هي المقاومة المقصودة؟

فإذا قيل شيءٌ أو آخر، فإنه سوف يصطدم بأحد ثلاثة: برفض طرف، أو باللاواقعية، أو بالمعايير المقبولة دوليا.

ثقة الجزائر بالرئيس عباس لا مبرر لها أصلا. فهذا الرجل ليس سوى ضابط أمن إسرائيلي، يدير مؤسسة فساد ورجال أعمال باعوا القضية الفلسطينية، ويريد أن يبقى في السلطة إلى الأبد، من دون أن يلاحظ أنه قاد قضية شعبه من فشل إلى فشل.

وحماس ليست حركة مقاومة. هذا عنوان منافق. لأنها تغطي بالسلاح استبدادا داخليا، لا يختلف عن أي استبداد آخر يتخذ من المقاومة غطاء. دع عنك أن هذه الحركة تنظيم أيديولوجي، وليس من العجب على الإطلاق أن شقيقه في أراضي 48 شريك في حكومة الائتلاف الإسرائيلي، مع نفتالي بينيت شخصيا.

> القضية الفلسطينية كسلعة مزايدات داخلية أُستهلكت تماما. صحيح أن أنظمة طغيان عديدة ظلت تستخدمها كتعلة للاستبداد الداخلي لعدة عقود، إلا أن هذه السلعة سقطت من الاعتبارات الشعبية

وبالنظر إلى أن كلا من هذين الطرفين يتاجر بالقضية الفلسطينية تجارته الخاصة، لحماية استبداده الخاص، على حساب مصالح الشعب الفلسطيني وعلى حساب قضيته الوطنية، فإنه سوف يُؤثر المتاجرة على تطبيق أي اتفاق.

وبطبيعة الحال، فعندما يأخذ كل منهما حصته من المال، فإنه سوف يوقع على أي وثيقة. وأستطيع أن أزود الرئاسة الجزائرية بعشرين نموذجا تم توقيعه من قبل، إلا أن الطرفين سوف يعودان ليجدا سبيلا لنقض الاتفاق، بانتظار أحد آخر صارت له مصلحة في أن يتاجر بالمصالحة الفلسطينية، فيدعوهما إلى ندوة مماثلة.

هناك شيء واحد صحيح يمكن للجزائر، كما يمكن لكل الدول العربية أن تفعله، هو أن تلجأ إلى منظمات المجتمع المدني الفلسطيني لكي تدعم صمود هذا الشعب على أرضه. ولكي يختار هذا الشعب بنفسه شكل المقاومة التي يراها صالحة له، من دون توجيه من أحد.

المنظمات الأهلية الفلسطينية، وليس عصابات السلطة في رام الله وغزة، هي التي يتعين أن تحظى بالدعم المباشر والمساندة المادية والمعنوية.

أنظر إلى فلسطينيي القدس، واسأل نفسك كيف تجعلهم يصمدون على أرضهم ويحافظون على منازلهم، وكيف يوفرون لأنفسهم عيشا كريما، ولأطفالهم رعاية صحية وتعليما مناسبا، وكيف نشتري منهم ما يصنعون وما يزرعون. ثم أنظر، على النحو نفسه، إلى فلسطينيي الضفة الغربية وغزة، بل انظر أيضا إلى المجتمع الفلسطيني في أراضي 48.

هؤلاء هم المقاومة، وهم الصمود، وهم المواجهة اليومية ضد الاحتلال.

الشعب الفلسطيني، لا منظمات التسلط والفساد، هو القضية الفلسطينية. فهل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم؟

كفّوا عما تتاجرون به، إلى تجارة صادقة.

تأجيل قمة الجزائر يكشف العجز

الشعارات التي يرفعها تبون تُجهض استضافة القمة العربية قريبا

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

خلاصة الأمر أنّ لا قمة عربيّة قريبا في الجزائر وذلك بعدما وجد الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربيّة حسام زكي، في ختام زيارته إلى الجزائر، إخراجا لائقا يبرّر التأجيل. القمّة، التي كان مفترضا انعقادها في آذار – مارس المقبل، مؤجلة عمليا إلى إشعار آخر. ليست مؤجلة بسبب انتشار جائحة كوفيد. ليست الجائحة سوى عذر وغطاء يكشفان العجز العربي بأبهى صوره. القمة مؤجّلة لأن ليس لدى العرب ما يتفقون بشأنه في الظروف الراهنة.

كان العدوان الحوثي على دولة الإمارات العربيّة المتحدة سببا كافيا لانعقاد قمّة عاجلة في الجزائر أو غير الجزائر لاتخاذ موقف ممّا ترتكبه الأدوات الإيرانيّة في المنطقة، خصوصا في العراق، لكنّ شيئا من ذلك لم يحدث. كان موقف مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة جريئا عندما أدان، بالأجماع، العدوان على الإمارات.

مؤسف أن النظام الجزائري الراغب في استضافة قمّة عربيّة ما زال يعيش في عالم آخر لا علاقة له بالعالم العربي الموجود حاليا. ما زال يعيش في عالم الشعارات

الجزائر نفسها ما زالت حائرة في اتخاذ موقف من عدوان موصوف على عاصمة دولة عربيّة. بالنسبة إليها، لم يحدث عدوان على الإمارات. تشبه حيرتها حيرة النظام السوري الذي سعت الإمارات لإعادة احتضانه عربيًا، لكن إيران لم تسمح لهذا النظام، حتّى، بإصدار بيان يندد بالعدوان الذي استهدف أبوظبي بواسطة صواريخ وطائرات مسيّرة معروفة المصدر.

نسي النظام أن سوريا تسمّي نفسها "الجمهوريّة العربيّة السورية". نسي أيضا أنّه اعتاش طويلا من التجارة بفلسطين ومن الاحتلال الإسرائيلي للجولان في العام 1967. نسي أن العرب وقفوا معه وساعدوه بكل ما استطاعوا لاسترداد أرضه المحتلّة.

لا يمكن للطريقة اللائقة التي اعتمدها الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربيّة إخفاء الواقع العربي المرّ الذي مفرّ من مواجهته في أيّ قمة. يعني هذا الواقع أوّل ما يعنيه أنّ لا فائدة تذكر من أيّ قمّة عربيّة إذا كان المطروح الابتعاد عن الوضوح. هناك عرب واضحون كل الوضوح وهناك آخرون يعيشون في الماضي.

لم يعد من مجال للتوفيق بين المستقبل والماضي في قمّة عربيّة لا تستطيع، على سبيل المثال وليس الحصر اتخاذ موقف لا لبس فيه من المشروع التوسّعي الإيراني وأخطاره على كلّ دولة عربيّة. أخطر من ذلك، لا يمكن لأيّ قمّة عربيّة أن تنعقد فيما الجزائر تصعّد مع المغرب هربا من الأزمة الداخليّة للنظام. هناك نظام جزائري يريد استضافة قمّة عربيّة بعدما قرّر قطع العلاقات الدبلوماسيّة مع المغرب مستندا إلى حجج واهية.

بين الحجج زيارات قام بها مسؤولون إسرائيليون إلى الرباط. المضحك المبكي في الأمر أن الجزائر تشكو أمرها إلى مصر. تريد من مصر تسهيل أمورها عربيًا. لا وجود لعقد مصريّة تجاه إسرائيل التي توصلت معها إلى معاهدة سلام في آذار – مارس من العام 1979. هذا كان قبل 43 عاما بالتمام والكمال.

هل غاب كلّ هذا التاريخ عن وزير الخارجيّة الجزائري رمطان العمامرة الذي يفترض أن تكون لديه خبرة طويلة في العمل السياسي والدبلوماسي. هل غاب عنه أن مصر خاضت حروبا من أجل فلسطين، ودفعت كثيرا من الدماء في هذه الحروب. لكنّ مصر لم تتاجر يوما بالقضيّة الفلسطينية، وامتلكت بفضل أنور السادات ما يكفي من الشجاعة كي تخوض حرب المفاوضات وتستعيد أرضها المحتلّة في العام 1967!

ثمة عالم عربي جديد، لا بد لأيّ قمة عربيّة التعاطي معه بعيدا عن الشعارات التي لا فائدة منها. مؤسف أن النظام الجزائري الراغب في استضافة قمّة عربيّة ما زال يعيش في عالم آخر لا علاقة له بالعالم العربي الموجود حاليا. ما زال يعيش في عالم الشعارات. ليس سرًا ما فعلته الشعارات بلبنان. في ظلّ الشعارات الكبيرة من نوع "المقاومة" و"الممانعة" قضت "الجمهوريّة الاسلاميّة" على لبنان وحوّلت بيروت إلى مدينة إيرانيّة على البحر المتوسّط. هل تجرؤ قمّة عربيّة على اتخاذ موقف مما يحدث في لبنان والقول إن العرب يقفون مع تطبيق كلّ القرارات الدوليّة المتعلقة بهذا البلد الصغير المظلوم الذي بات يتحكّم به "حزب الله". يأتي في مقدّم هذه القرارات تلك الصادرة عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة وتحمل الأرقام 1559 و1680 و1701.

هل تستطيع أيّ قمة عربيّة مقبلة الارتقاء إلى مستوى الأحداث بدل التخفي خلف الشعارات. هل تستطيع الارتقاء إلى مستوى القمة الأخيرة لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربيّة التي انعقدت في الرياض في كانون الأول – ديسمبر الماضي؟

في ما يتعلّق بسلوك إيران، "أدان المجلس الأعلى (القمّة الخليجيّة) استمرار إيران في دعم الجماعات الإرهابية والميليشيات الطائفية في العراق ولبنان وسوريا واليمن وغيرها، ما يهدد الأمن القومي العربي ويزعزع الاستقرار في المنطقة، ويعيق عمل التحالف الدولي لمحاربة داعش". دخلت القمّة الخليجيّة في تفاصيل العلاقة مع إيران وطالبت الدول الخليجيّة الست بان تكون طرفا في أيّ اتفاق في شأن ملفّها النووي.

امتدت الجرأة الخليجيّة إلى شمال أفريقيا. كانت الرسالة الخليجية إلى النظام الجزائري في غاية الوضوح وذلك بتشديدها على "مغربيّة الصحراء" من جهة وعلى الشراكة مع المغرب من جهة أخرى. وقال البيان "أكد المجلس الأعلى أهمية الشراكة الاستراتيجية الخاصة بين مجلس التعاون والمملكة المغربية، وتنفيذ خطة العمل المشترك، ومواقفه وقراراته الثابتة الداعمة لمغربية الصحراء، والحفاظ على أمن المملكة المغربية واستقرارها ووحدة أراضيها، مشيداً بقرار مجلس الأمن 2602 الصادر بتاريخ 29 أكتوبر – تشرين الأول 2021 بشأن الصحراء المغربية".

لن تتمكن أيّ قمة عربيّة أن تكون في مستوى الوعي الخليجي. لن تتمكن أي قمة عربيّة من طرح سؤال من نوع هل من دور عربي في السودان الذي يواجه أزمة داخليّة عميقة ولماذا ذهب وفد عسكري إسرائيلي إلى الخرطوم في هذه الظروف بالذات.

لا فائدة تذكر من أيّ قمة عربيّة، خصوصا اذا انعقدت هذه القمة في بلد مثل الجزائر يعجز النظام فيه عن القيام بالنقلة النوعيّة المطلوبة سياسيا مع ما يعنيه ذلك من مصالحة بين الشعب والنظام قبل التفكير في لعب أدوار على الصعيدين الإقليمي والعربي..

خفايا الروس والأميركان في المسألة اليمنية

فاروق يوسف
كاتب عراقي

لم تكن روسيا متحمسة لصدور بيان من مجلس الأمن يندد بالهجمات الإيرانية عن طريق الحوثيين على مواقع استراتيجية في دولة الإمارات. وهو ما تجاوزته حين وقعت على ذلك البيان.

ذلك موقف يكشف عن حقيقة أن روسيا لا ترغب في أن يعم الأمن والسلام في المنطقة الغارقة في الحروب الخفية والعلنية. ولأن روسيا طرف مستفيد من تلك الحروب فإنها تسعى بكل ما تملك من قوة إلى مد يد العون إلى إيران التي تدرك أن الروس لا يسعون إلى إبعادها من سوريا من أجل تمكين النظام من بسط سلطته على المناطق التي سقطت بأيدي معارضيه، بل من أجل أن تكون سيطرتها مطلقة على سوريا.

لا تبحث روسيا عن سلام في سوريا إلا من أن تعزّز بقاء قواتها هناك إلى أمد غير معلوم. وبذلك لن يكون السلام للسوريين بقدر ما هو ثمرة يضعها الجيش الروسي على المائدة ليذكّر من خلالها نظام الرئيس بشار الأسد بأنه مدين إلى روسيا ببقائه.

الروس الذين استفادوا من الخدمات الإيرانية يسعون لردّ تلك الخدمات لكن خارج سوريا، في مناطق لم تمتد إليها القبضة الروسية بسبب أن الولايات المتحدة لا تسمح بحدوث ذلك.

الولايات المتحدة وبريطانيا معنيتان بالملف اليمني بشكل مباشر. أما أن يكتفيا ببيان التنديد الصادر من مجلس الأمن فذلك معناه أنهما تقتربان من الموقف الروسي وتقاسمانه الرغبة في عدم ردع إيران من خلال الحد من النشاط العدواني الذي يمارسه ذيولها في المنطقة. وكما أرى فإن بيانا باهتا من ذلك النوع الذي صدر عن مجلس الأمن يمكن أن يشجع ذيول إيران الأخرى على القيام بنشاطات عدوانية مماثلة من غير أن تتعرض للعقاب الدولي.

ولو كانت روسيا ترى أيّ أهمية لذلك البيان لما وافقت على صدوره، ولكنها تعرف أنه مجرد نفخة هواء في فراغ لا يقيم فيه أحد. فالموقف الروسي الداعم لإيران في مختلف مشكلاتها مع الغرب لا ينظر بعين واسعة إلى مصير المنطقة في الوقت الذي تحاول روسيا فيه إقامة علاقات اقتصادية واسعة وقوية مع عدد من دول المنطقة التي تعاني من تداعيات السياسات الإيرانية العدوانية التوسعية.

ما يؤسف له أن روسيا الجاهزة للحرب مع الغرب بسبب متعلقات الاتحاد السوفييتي السابق كما في أزمة أوكرانيا لا تختلف معه كثيرا في ما يتعلق بالشرق الأوسط. وباستثناء إسرائيل فإن الاتحاد الروسي لا يتعامل بشكل مسؤول مع دول المنطقة. وهو إذ يستثني إسرائيل فإنه يعاملها كما لو أنها لا تقع ضمن الفضاء الأميركي. أما الدول الأخرى فإنه يسعى لإرباكها عن طريق إيران.

أفهم أن ورثة الشيوعية يسعون لإزعاج الغرب عن طريق إيران. تلك مسرحية روسية قديمة يُعاد عرضها. ولكن روسيا وهي تحاول استعادة مكانتها باعتبارها دولة عظمى وقطبا دوليا يقف بعناد في مواجهة القطب الآخر أو الأقطاب الأخرى ينبغي عليها ألاّ تفقد توازنها فتشجع العدوان المسلح على دول ذات سيادة من قبل عصابات كانت إلى يوم قريب تُصنف باعتبارها منظمات إرهابية.

روسيا تفعل ما تفعله الولايات المتحدة وبريطانيا اللتان تعرفان جيدا ما الذي حدث في اليمن، ولكنهما تبحثان عن حل للمشكلة عن طريق المفاوضات. وهو ما يعني أن التفاوض مع منظمة إرهابية تابعة للنظام الإيراني أمر جائز. وذلك ما يضعنا أمام مفارقة عجيبة. فالولايات المتحدة وبريطانيا هما أكثر الدول التي تملك مصالح في المنطقة، ولكن موقفهما من نشاط إيران العدواني من خلال ذيولها يشبه إلى حد كبير موقف روسيا التي تتمنى أن تكون لها مصالح في المنطقة من غير أن تفقد إيران باعتبارها آلة جارحة موجهة إلى الغرب.

ما يؤسف له أن روسيا الجاهزة للحرب مع الغرب بسبب متعلقات الاتحاد السوفييتي السابق كما في أزمة أوكرانيا لا تختلف معه كثيرا في ما يتعلق بالشرق الأوسط

لقد توقع الكثيرون أن تتخذ الولايات المتحدة إجراءات رادعة حين ضُربت الإمارات وهي دولة ليست طرفا في الصراع اليمني بعد أن تحرر الجنوب من الاحتلال الحوثي. ولكنها اكتفت كما روسيا بتوقيع بيان يندد بالقصف الإيراني عن طريق الحوثيين. أيمكن اعتبار ذلك الموقف جزءا من مفاوضات فيينا التي تتعلق بالنووي الإيراني؟ فإذا ما كان الأمر كذلك فعلينا أن نتوقع الأسوأ.

لقد رضي الإيرانيون بألاّ يقتسموا سوريا مع روسيا مقابل أن تقف سوريا معهم دائما. ذلك مفهوم. ما لا يُفهم فعلا أن يكون رد فعل الولايات المتحدة وبريطانيا إزاء ما فعله الحوثيون وهم يجتازون خطوطا حمراء.

روسيا تسعى لإرباك دول المنطقة عبر إيران

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2022/01/23
السنة 44 العدد 12306

هل ينجح بوتين في فرض شروطه ومنع انضمام دول جديدة إلى الناتو

تراجع حلف الأطلسي في أوكرانيا يعزز طموحات روسيا والصين

المفاوضات بشأن أوكرانيا تتعثر

معركة لي ذراع تدور رحاها بين دول حلف شمال الأطلسي والرئيس الروسي فلاديمير بوتين الذي يريد أن يحصل على تعهد من الناتو بمنع عضوية دول جديدة مثل أوكرانيا، وأي تراجع من الحلف سيعني تعزيز طموحات روسيا والصين لإجبار دول صغيرة على البقاء تحت مظلتيهما.

نيويورك - قبل اجتماع الجمعة بين وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن ونظيره الروسي سيرغي لافروف، كانت المحادثات بين روسيا والولايات المتحدة وأوروبا قد وصلت إلى طريق مسدود بشأن مطلب روسيا بأن يوافق حلف شمال الأطلسي (الناتو) على عدم السماح بقبول أي أعضاء جدد. ورفض إدارة بايدن وقادة أوروبا لمثل هذه الشروط يحمل في طياته خطر توفير مبرر للرئيس الروسي فلاديمير بوتين لغزو أوكرانيا.

وتعهد بلينكن بمواصلة المفاوضات مع روسيا بشأن الوضع المتوتر على الحدود الأوكرانية، مؤكدا أن الولايات المتحدة سترسل قريبا ردودا مكتوبة إلى روسيا للرد على مخاوفها، في حين انتقد لافروف ما وصفه بهيستيريا الغرب تجاه أوكرانيا مؤكدا أنه لا نية لدى موسكو لغزو جارتها.

وقال بلينكن عقب الاجتماع "إذا كانت روسيا تريد أن تبدأ في إقناع العالم بأن ليس لديها نية عدوانية تجاه أوكرانيا، فإن أفضل شيء للبداية هو عدم التصعيد". واتفق الجانبان على أنه يجب أن تسير المفاوضات في مناخ أقل انفعالا، وذلك على الرغم من تصريح لافروف بأنه لا يستطيع أن يقول ما إذا كانت المحادثات بينهما تسير على الطريق الصحيح أم لا.

وأشارت بلومبرغ إلى أنه يبدو أن الاجتماع جاء لكسب بعض الوقت من قبل الطرفين لمواصلة الجهود الدبلوماسية وسط تحذيرات متزايدة من الرئيس الأميركي جو بايدن بأن روسيا ربما تخطط لغزو وشيك لأوكرانيا بعد حشدها لنحو 100 ألف جندي بالقرب من حدود البلاد.

وذكر مقال افتتاحي لوكالة بلومبرغ للأنباء أنه رغم خطورة الموقف، سوف يكون الخضوع لابتزاز بوتين أمرا أسوأ. فلطالما اتهم بوتين الناتو بمحاولة "تطويق" روسيا بتوسيع نطاق الحلف عبر الامتداد حتى حافة أراضيها. وفي حقيقة الأمر، هناك حتى الآن خمس دول فقط من الدول الأربع عشرة المجاورة لروسيا أعضاء في الناتو، مما يغطي فقط 6 في المئة من الحدود الروسية.

ولم يضف الناتو سوى دولتين إلى عضويته خلال العقد الماضي هما مونتينيغرو (الجبل الأسود) في عام 2017 ومقدونيا الشمالية في عام 2020، ولا يمثل أي منهما تهديدا للمصالح الحيوية الروسية.

وصدر عن الناتو في عام 2008 وعد غير ملزم بإمكانية أن تصبح أوكرانيا وجورجيا ضمن أعضائه في نهاية المطاف، ولكنه لم يقدم لهما ما يعرف بخطة عمل للعضوية، وهي خطوة ضرورية لتعزيز عملية الانضمام. ورغم ذلك، يريد بوتين ضمانات مكتوبة بأن الحلف سوف يتخلى عن المزيد من التوسع وأنه سوف يحد من عمليات انتشار القوات والأسلحة في دول أوروبا الشرقية الأعضاء فيه. وأثناء الاجتماعات مع المسؤولين الأميركيين بهدف نزع فتيل تصعيد الموقف في أوكرانيا، ظلت روسيا على إصرارها بأنها تعتبر أي ذكر لتوسع الناتو أمرا غير مقبول.

> على بايدن دعم القيادات في فنلندا والسويد وتبني مقترحات لسرعة تمتع الدولتين بعضوية الناتو في حال قيام روسيا بغزو أوكرانيا

وفي مؤتمر صحافي للرئيس الأميركي جو بايدن يوم الأربعاء الماضي قال إن عضوية أوكرانيا في الناتو أمر "غير مرجح للغاية" على المدى القريب، في ضوء حجم المزيد من العمل الذي يتعين على أوكرانيا القيام به لتعزيز مؤسساتها الديمقراطية. كما ألمح إلى أن هناك اختلافا بين الدول الأعضاء الحالية بشأن هذا الأمر.

وذكرت بلومبرغ أن تصريحات بايدن ربما تعكس الواقع تماما، لكنها رغم ذلك تعتبر تصريحات غير مدروسة، إذ أنها تنقل صورة عن ضعف الحلف وتفككه في وقت يتعين فيه أن يكون حازما.

ووفقا لمعاهدة الباب المفتوح الخاصة بالناتو، تحظى الدول بالحق السيادي للسعي للانضمام إليه إذا اختارت ذلك. وترجع معارضة بوتين لتوسع الناتو إلى حنينه للاتحاد السوفييتي ورغبته في إعادة ترسيخ السيطرة الروسية على الدول السوفييتية السابقة.

وترى بلومبرغ أن منحه أي حق في إبداء الرأي بشأن حجم وشكل الناتو مقابل سحب قواته من على حدود أوكرانيا سيكون خطأ استراتيجيا كارثيا، إذ أن هذا سوف يمزق أوصال المصداقية الغربية؛ فتسليم أوكرانيا إلى مجال النفوذ الروسي والتخلي عن الدول أعضاء الناتو الواقعة في المحيط الروسي، مثل دول البلطيق، أمر أكثر خطورة أيضا.

وتقول بلومبرغ إن هذا سوف يؤدي أيضا إلى استقواء الصين وقيامها بتكثيف حملات الترهيب ضد الدول الأصغر لانتزاع تنازلات أمنية من الولايات المتحدة.

وذكرت الوكالة أنه يتعين على المسؤولين الأميركيين والأوروبيين التأكيد على أنه رغم أن الناتو لا يعزز بصورة نشطة ترشيح أوكرانيا للانضمام إلى الحلف، لن يتم إلغاء مثل هذه العملية بناء على طلب بوتين، وأن القرارات المستقبلية بشأن توسع الحلف سوف تعتمد على تصرفات روسيا تجاه الدول المجاورة لها.

وأكدت على أنه يتعين على بايدن دعم القيادات في فنلندا والسويد وتبني مقترحات لسرعة تمتع الدولتين بعضوية الناتو في حال قيام روسيا بغزو أوكرانيا.

واختتمت بلومبرغ مقالها بأنه ينبغي أن تكون الرسالة الموجهة لبوتين واضحة، وهي أن أي مزيد من التصعيد في أوكرانيا سوف يسفر عن ناتو أكبر وأفضل تسليحا.

جنرال إسرائيلي قضى حياته في حماية المستوطنات يصبح أبرز منتقديها

القدس - أمضى الجنرال المتقاعد يائير غولان جزءا كبيرا من حياته العسكرية في الخدمة في الضفة الغربية المحتلة لحماية المستوطنات اليهودية. لكنه أصبح اليوم واحدا من أكثر منتقديها صراحة.

وأصبح غولان الآن نائبا عن حزب ميرتس، حيث يعارض عنف المستوطنين ضد الفلسطينيين. وقد زعزعت تعليقاته التي كان من أبرزها وصفه الأخير للمستوطنين العنيفين بأنهم "أقل من البشر" التحالف الحاكم الحساس في إسرائيل، ووصفه خصومه بأنه متطرف. وهو أمني سابق ممن دقوا ناقوس الخطر بعد تقاعدهم، ورفعوا أصواتهم بعد خلعهم الزي العسكري، بشأن الحكم العسكري الإسرائيلي للفلسطينيين الذي دام خمسة عقود.

وقال غولان لوكالة أسوشيتد برس في مقابلة في مكتبه في الكنيست هذا الأسبوع "لا يمكن أن يكون لدينا دولة حرة وديمقراطية طالما أننا نتحكم في أشخاص لا يريدون أن نسيطر عليهم. أي نوع من الديمقراطية نبني هنا على المدى الطويل؟".

وبرز كصوت نادر في مجتمع يعتبر فيه الاحتلال حقيقة مقبولة إلى حد كبير وحيث نجح المستوطنون في دفع روايتهم من خلال قربهم من مقاليد السلطة، حيث ينتمي معظم أعضاء الكنيست الإسرائيلي إلى اليمين المؤيد للاستيطان.

وكانت حياة غولان العسكرية طويلة. وأصيب الجنرال المتقاعد البالغ من العمر 59 عاما أثناء القتال في لبنان وشغل مناصب رئيسية منها رئاسة القيادة الشمالية للبلاد وقيادة للضفة الغربية.

واكتسب سمعة باعتباره المنشق عن القرارات التي دفعته في بعض الأحيان إلى وضعيات حرجة. فعلى سبيل المثال، توصل إلى اتفاق غير مصرح به لإخراج بعض المستوطنين من مدينة الخليل بالضفة الغربية. وجرى توبيخه وتأخير ترقيته بعد أن سمح باستخدام غير المقاتلين الفلسطينيين كدروع بشرية أثناء مداهمات الاعتقال، وهو تكتيك حظرته المحكمة العليا في البلاد.

وفي نفس الوقت، سُمح له بتمرير الآلاف من السوريين الجرحى في الحرب الأهلية في بلادهم إلى إسرائيل لتلقي العلاج الطبي.

وبعد مقارنة ما رآه اتجاهات فاشية في إسرائيل الحديثة بألمانيا النازية جرى تجاوزه في الترقية إلى منصب القائد العسكري الأعلى. ويُعتقد أن خطابه هو الذي كلفه المنصب.

وبعد سنوات قليلة من تقاعده، انتخب عضوا في الكنيست وانضم في نهاية المطاف إلى حزب ميرتس، وهو حزب يدعم قيام الدولة الفلسطينية وهو جزء من الائتلاف الحالي برئاسة رئيس الوزراء نفتالي بينيت.

وكان ميرتس واحدا من الأحزاب القليلة التي جعلت إنهاء الاحتلال الإسرائيلي أولوية قصوى. ولكن منذ الانضمام إلى الائتلاف، الذي وافق على التركيز على القضايا الأقل إثارة للانقسام للحفاظ على استقراره، بدا أن معظم أعضائه يخففون من حدة انتقاداتهم. لكن الجنرال المتقاعد لم يلتزم بهذا التوجه، ففي وقت سابق من هذا الشهر أشعل عاصفة نارية عندما هاجم المستوطنين الذين تورطوا في تخريب المقابر في قرية برقة الفلسطينية بالضفة الغربية.

وقال غولان لقناة الكنيست "هؤلاء ليسوا بشرا، هؤلاء دون البشر. ويجب ألا يحصلوا على أي دعم".

وأثارت تصريحاته غضب بينيت وانتقادات من آخرين داخل التحالف. وأقر بأن اختياره للكلمات كان معيبا لكنه قال إنه متمسك بروح تصريحاته.

> يائير غولان قال إنه لا يستطيع تقبل فكرة أن شخصا يهوديا يحمل قيما يهودية يدعم سرقة أراضي شخص آخر

وتابع "هل تتمثل المشكلة في التعبير الذي استخدمته أم أن المشكلة تتمثل في الأشخاص الذين يحطمون القبور ويتلفون الممتلكات ويهاجمون الفلسطينيين الأبرياء؟".

وحولته مثل هذه التصريحات إلى رمز لما يصفه القوميون اليمينيون المتطرفون بالقوى الخطرة في الائتلاف الذي يرفض سيطرة إسرائيل على الضفة الغربية. وسعى الفلسطينيون لاسترداد المنطقة التي احتلتها إسرائيل عام 1967 لتكون قلب الدولة المستقبلية.

كما يتردد البعض في اليسار الإسرائيلي في احتضان الجنرال السابق، الذي يواصل الدفاع عن تحركات الجيش في الضفة الغربية.

ولطالما رأى غولان أن واجبه في المنطقة يتمثل في محاربة المسلحين الفلسطينيين بالدرجة الأولى، ولا يزال يعتقد أن معظم المستوطنين مواطنون ملتزمون بالقانون. ويعتبر المجتمع الدولي بأغلبية ساحقة أن جميع المستوطنات غير شرعية، ويرى الفلسطينيون والعديد من الإسرائيليين اليساريين أن الجيش هو المنفذ لاحتلال غير عادل.

ودعت منظمة "كسر جدار الصمت"، وهي مجموعة المبلغين عن المخالفات وتتكون من جنود إسرائيليين سابقين يعارضون السياسات الإسرائيلية في الضفة الغربية، إلى اتخاذ إجراءات وليس مجرد كلمات، ضد عنف المستوطنين.

ويعرف غولان جيدا كيف يبدو عنف المستوطنين وكيف تبدو سيطرتهم العنيفة على الشعب الفلسطيني. وقالت الجماعة في بيان إن هذا هو السبب في أن انتقاداته لها قيمة لكنها ليست كافية.

وقال غولان إنه يرى دائما أن السيطرة الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية مؤقتة. وأكد أن الانفصال عن الفلسطينيين هو السبيل الوحيد لإبقاء إسرائيل دولة ديمقراطية ذات أغلبية يهودية.

وفي 2006 أمر غولان بالإخلاء العنيف لمستوطنة عمونا في الضفة الغربية، والتي أقيمت على أرض فلسطينية مملوكة ملكية خاصة. وقال "لا أستطيع أن أتقبل فكرة أن شخصا يهوديا يحمل قيما يهودية يدعم سرقة أراضي شخص آخر".

وفي الأشهر الأخيرة، ومع تصاعد العنف بين المستوطنين والفلسطينيين في الضفة الغربية، ظهرت مقاطع فيديو لجنود يقفون متفرجين بينما ثار المستوطنون. وقال غولان إنه لم يكن سيسمح بمثل هذا الشيء تحت إمرته.

وتابع "هؤلاء الناس لا يقبلون جوهر إسرائيل ويلتزمون بالقانون فقط عندما يكون ذلك مناسبا لهم".

وليست تعليقاته على المستوطنين أول ما أثار استياء المؤسسة. ففي خطاب ألقاه في 2016 بمناسبة يوم ذكرى المحرقة في إسرائيل، قال غولان الذي كان آنذاك نائبا للقائد العسكري، إنه كان يشهد "عمليات مقززة" في المجتمع الإسرائيلي تذكره بفاشية ألمانيا في الحقبة النازية.

وأضاف أن هذه التصريحات جاءت بعد إطلاق جندي النار على مهاجم فلسطيني مقنع. واحتضن السياسيون القوميون الجندي بمن فيهم رئيس الوزراء آنذاك بنيامين نتنياهو. وقال غولان إن إطلاق النار لم يكن أقل من إعدام.

ويحتفظ غولان في مكتبه بصورة لنتنياهو وهو يصل إلى محكمة في القدس لمقاضاته بتهمة الفساد، وهو يتوعّد الشرطة والمدعي العام محاطا بمؤيديه من حزب الليكود.

وقال غولان إن الصورة تذكّر بما نذر نفسه لمقاومته وبمن نذر نفسه للدفاع عنهم. وأضاف "لقد خدمت البلد بالزي العسكري لسنوات طويلة، لقد وهبته حياتي فعلا". وقال مشيرا إلى الصورة "لم أعرض حياتي للخطر مرات لا تحصى من أجل هؤلاء الأشخاص".

استثناء في مجتمع يقبل الاحتلال

حقائق جديدة عن الربيع العربي.. أميركا خططت لاحتواء الجهاديين فأحيتهم

لعبة توزيع الأدوار بين القاعدة والإخوان تسهم في رواج دور المتطرفين

أسرار الربيع العربي بدأت تتفكك بعد مرور عشر سنوات على الثورات التي قادت الإسلاميين إلى الحكم، سواء من ناحية علاقاتهم بالولايات المتحدة أو علاقاتهم البينية خاصة بين تنظيم القاعدة وبعض فروع جماعة الإخوان المسلمين والشخصيات المحسوبة عليها، وهذا ما ترصده كتب جديدة لباحثين غربيين.

انفلات الجهاديين بعد دعم واشنطن للربيع العربي

هشام النجار
كاتب مصري

خرجت في الآونة الأخيرة بعض الحقائق لكتّاب وباحثين غربيين غيرت من الصورة النمطية التي رُويت بها بعض الأحداث الكبرى في العقد الماضي، ما يشجّع على النظر فيها لبلورتها وفق المعلومات الجديدة.

وفجر الكاتب جون روسوماندو مفاجأة مرتبطة بحقبة الربيع العربي في كتابه الذي صدر مؤخرًا "كيف خدع الإخوان المسلمون واشنطن في سوريا وليبيا" والذي وصف فيه سياسات الرئيس الأميركي الأسبق باراك أوباما بالفشل والسذاجة وإخفاء فشل سياساته بدلًا من إصلاحها.

وأكد أن المسؤولين في واشنطن كانوا على علم باتصالات جرت بين قادة من الإخوان والقاعدة خلال أحداث الثورات أو ما يوصف بالربيع العربي، وأن مستشار الأمن القومي جيك سوليفان أبلغ هيلاري كلينتون باتصالات بين شخصية إخوانية ليبية بارزة مع تنظيم القاعدة خلال انتفاضة فبراير 2011 التي أدت إلى سقوط نظام حكم العقيد معمر القذافي.

كشف روسوماندو أن سيدني بلومنتال، وهو صديق كلينتون ومستشارها، قد أبلغها أن جماعة الإخوان في مصر كان لها تواصل مع الجهاديين خلال الربيع العربي، لكن ذلك لم يمنع إدارة أوباما من الاحتفاء بأعضاء الإخوان ودعم تطلعاتهم في السلطة.

روسوماندو كشف أن سيدني بلومنتال مستشار كلينتون، قد أبلغها أن جماعة الإخوان بمصر تتواصل مع الجهاديين خلال الربيع العربي

ويدعم مضمون هذه الدراسة طروحات سابقة لأحد كبار الصحافيين المتخصصين في الكتابة عن تنظيم القاعدة وهو لورانس رايت الحاصل على جائزة بولتزر عام 2006 وصاحب أشهر كتاب في سيرة مؤسس القاعدة أسامة بن لادن "البروج المشيدة".

رصد رايت تواصلا بين عناصر من أجهزة المخابرات الأميركية وقادة من القاعدة خلال الفترة بين 2005 و2010 ما دفعه إلى تقديم طلبات بفتح تحقيق مع المشتبه بتورطهم في أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 مرفقة بقائمة أسماء محددة من الطرفين تشير لتورط تلك الأجهزة فيها.

لم يلق طرح لورانس رايت بشأن العلاقات التي ربطت المخابرات الأميركية بتنظيم القاعدة الرواج المطلوب داخل الأوساط البحثية على الرغم من قضائه ما يقرب من أربع سنوات بين أعضاء وقادة التنظيم حصل خلالها على وثائق كثيرة، وما يزيد عن مئتي ساعة تصوير فيديو وآلاف الصور الفوتوغرافية التي تثبت هذه العلاقة وتوثقها، ما مكّنه من صياغة تصور متماسك يتسق مع نشأة القاعدة في كنف المخابرات الأميركية ليس بدعمها فقط بل برعاية كاملة لمواجهة أعداء الولايات المتحدة وليس الروس فقط.

جددت المعلومات التي ضمنها جون روسوماندو دراسته الأخيرة مستندًا إلى رؤية كبار مستشاري الرئيس باراك أوباما ومنهم البروفيسور السابق في كلية رودس كوينتان فيكتوروفيتش وهو مدير قسم الانخراط العالمي في مجلس الأمن القومي بدءًا من يناير 2011 بشأن فرضية أن السماح للإسلاميين بدخول الحكومة يخفّف تشدّدهم ويبعدهم عن الإرهاب النقاش والجدل حول طبيعة العلاقة التي تربط أجهزة الولايات المتحدة بتنظيم القاعدة وليس فحسب بجماعة الإخوان وتنظيمها الدولي.

وطفا على السطح مجددًا تشكك باحثين في حقيقة انقلاب القاعدة ضد واشنطن بالنظر إلى العديد من الأسئلة التي سبق وطرحها لورانس رايت التي لم يجب عليها أحد حتى الآن والمتعلقة باتصالات قادة وعناصر القاعدة عبر القارات، وكيف لا تلتقطها أجهزة الأمن الدولية، فضلًا عن مؤسسات التنظيم الاقتصادية العملاقة ورؤوس أمواله الضخمة ولماذا لم تتعامل معها الأجهزة الأمنية للتضييق على مصادر تمويل التنظيم.

أرضية خصبة للقاعدة

الجدلية التي يعيدها البعض من الباحثين الغربيين بعد أكثر من عقد على أحداث ما عُرف بثورات الربيع العربي للصدارة تدخل في صلب الإشكالية التي شغلت المساحة الأكبر من تفكير الساسة الأميركيين وخطط واشنطن وسياساتها الخارجية خلال السنوات الماضية، والمتعلقة بكيفية التوفيق بين القيم الديمقراطية والمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة ليس فحسب بالشرق الأوسط بل في العالم كله.

إذا كانت هناك رواية أكاديمية وفكرية تبنّاها سياسيون أميركيون تقول إنه إذا جرى تمكين الأحزاب الإسلامية من السلطة سوف يقوض ذلك الجماعات الإرهابية مثل تنظيم القاعدة، فكيف يتحقق هذا الهدف الرئيسي وهناك علاقات قائمة بين الإسلام السياسي والسلفية الجهادية، وكلاهما (القاعدة والإخوان) تجمعهما أهداف جيوسياسية واحدة بعيدة المدى مع اختلاف في بعض التفاصيل والتوقيتات بشأن التخلص من النظام الدولي المعاصر القائم على دول قومية لتحل مكانه الأمة الإسلامية الموحدة بسلطة سياسية مشتركة.

من المنطقي مع وجود تقارب فكري وحركي بين الإخوان والقاعدة أن يستفيد الأخير من الأحداث وهو الذي حشد أتباعه في الشرق الأوسط من منطلق معاداة الولايات المتحدة بوصفها هي من تدعم وتقوّي الأنظمة العربية التي تسببت في بؤس وشقاء وقهر شعوب عربية وإسلامية.

صب تسلسل الأحداث في خانة الرواية التي روجها الجهاديون، وفي مقدمتهم قادة وأعضاء القاعدة، وهو التنظيم الذي استغل المناخ العام الذي ساد الشرق الأوسط والمنطقة العربية بعد عقود طويلة من فشل موجة الثورات القومية العلمانية التي اندلعت في بدايات خمسينات القرن الماضي في تحقيق أحلام الشعوب، ما وفّر أرضية خصبة للقاعدة وغيرها من تنظيمات التطرف واعتبرت الولايات المتحدة التي تدعم الأنظمة والحكومات بالمنطقة العربية رأس الأفعى والسبب وراء كل مشكلات المجتمعات العربية الاقتصادية والاجتماعية.

وعلى الرغم من تأخر استفادة القاعدة بعض الوقت من أحداث ثورات الربيع العربي بالمقارنة مع الإخوان، إلا أن نتائج تلك الانتفاضات الشعبية النهائية التي أزاحت أربعة رؤساء عرب ظلوا طويلًا بالسلطة في كل من تونس ومصر وليبيا واليمن، قد تقاطعت مع النتائج التي وضعها قادة القاعدة نُصْبَ أعينهم وهم يخططون لتوجيه ضربات إلى الولايات المتحدة.

وكان أسامة بن لادن يتصور أن استهداف الولايات المتحدة عبر عمليات موجعة سيجبرها على التراجع نتيجة خروج الأميركيين للشوارع مطالبين حكومتهم بالانسحاب من الدول ذات الأغلبية المسلمة، وسحب قواتها من المنطقة العربية، ما يؤدي إلى تمكين المقاتلين الجهاديين من مواجهة الأنظمة الاستبدادية من دون دعم أميركي لها.

إذا كانت تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر أثبتت سوء تقدير زعيم القاعدة الذي لم يتوقع أن تخوض الولايات المتحدة حربًا ردًا على الهجمات، فقد أثبتت تداعيات الانتفاضات العربية سوء تقدير واشنطن التي توهّمت وروّجت لتحول ديمقراطي في أعقابها بينما فتحت الباب واسعًا أمام هيمنة لا تقتصر على الإسلام السياسي وتنظيم الإخوان إنما تشمل القاعدة وفصائل السلفية الجهادية.

وأعطى فك الارتباط الأميركي مع المنطقة بعد الانتفاضات الشعبية على الأنظمة المدعومة من الولايات المتحدة فضلًا عن صعود مجمل تيار الإسلام السياسي إلى إعطاء القاعدة طاقة أمل جديدة في العودة، لذلك عبّر أسامة بن لادن وقتها عن سعادته في نجاح من سمّاهم بالثوار في إسقاط الأنظمة الاستبدادية الحاكمة في تونس ومصر وليبيا.

ووجه بن لادن أتباعه لضرورة دعم هذه الثورات راسمًا تصورًا يتواءم مع تصورات جماعة الإخوان لتصب المتغيرات في المشهد بالنهاية في مصلحة الإسلاميين الذين سعوا في السابق لتغيير الأوضاع وإزاحة الأنظمة الحاكمة وان اختلفت الوسائل، أما وقد تحقق الهدف فعلى الإسلاميين والجهاديين انتهاز الفرص والبناء على ما تحقق بمنع الدخول في أنصاف الحلول واعتبار المرحلة التي تلت إسقاط الحكام العرب مباشرة مجرد مرحلة انتقالية قصيرة تليها مرحلة تمكين لعموم الإسلاميين.

وروجت جماعة الإخوان لذلك تحت شعارات التحلي ببعض المرونة وادّعاء توافق الحكم الإسلامي مع القيم الديمقراطية وبالإفصاح عن جانب من التفاهمات والتنسيق مع القوى الغربية والولايات المتحدة، وعبّر قادة القاعدة عنها تحت شعار نهاية الهيمنة الأميركية في الشرق الأوسط وأن ما جرى من تحولات دليل دامغ على ضعف الغرب.

فرص مراحل الفوضى

لم تلبّ طريقة التغيير الثورية الرغبة الأميركية الرئيسية المتعلقة بجذب الشعوب باتجاه التغيير السلمي الذي يخصم من فرص رواج أدبيات القاعدة وهو ما أشار إليه السيناتور الأميركي الراحل جون ماكين بعد الإطاحة بالرئيس المصري حسني مبارك عندما اعتبر الثورة المصرية دليلًا على نبذ الشعب للقاعدة التي تعتقد أن الطريق الوحيد للتغيير يمر عبر العنف.

ولم تصمد الرواية والرؤية الأميركية طويلًا ولم يطل انقياد الانتفاضات الشعبية لقيم القومية والديمقراطية وعاد السلفيون وهم السند الجماهيري وأرضية التجنيد للقاعدة لاعتناق تصورات الكفر بالديمقراطية بعد أن شاركوا في الحكومات في عقب موجة الثورات، وذلك نتيجة لحالة عدم الاستقرار الأمني والسياسي التي ضربت المنطقة والتي صبت في مصلحة القاعدة ودفعت به من الهامش للصدارة.

بدأ تنظيم القاعدة الذي لم يكن له أيّ دور في المظاهرات ولا في صياغة المطالب الشعبية في اتخاذ خطوات للمشاركة بفاعلية في منتصف عام 2011، ليتضاعف حضوره بعد فشل الإخوان وفي خضم الدمار الاقتصادي والمجتمعي والفوضى الأمنية التي لحقت بدول الربيع العربي.

إذا كانت الفرص التي جرى منحها للإسلاميين من خلال تصدير جماعة الإخوان كواجهة وغض الطرف عن علاقاتها الفكرية والحركية مع تنظيم القاعدة قد تم توفيرها في بداية أحداث ثورات الربيع العربي عن قصد وسابق تدبير وتخطيط من قبل القوى الغربية والنخب الأميركية، فإن ما توفر للقاعدة من فرص في أعقاب الثورات كان خارج نطاق السيطرة بعد انفلات الأوضاع وشيوع حالة الفوضى وعدم الاستقرار ما أتاح للقاعدة المضي قدمًا بأهدافه العملياتية على أنقاض الفشل الإخواني بعد اشتداد حدة الصراعات الطائفية والسياسية وغياب الأمن وازدياد البطالة والفقر وضعف مؤسسات الدول وانتشار الفساد وتضاعف نفوذ الميليشيات.

في جميع الأحوال يتأقلم القاعدة ويحاول الاستفادة من أوضاع تبدو متناقضة، فلم يجر إقصاء كامل للتنظيم أو تهميش لحضوره مع بدايات تمكين الإسلاميين تحت مزاعم أن المرحلة هي لمن يعتنق القيم الديمقراطية والتغيير السلمي، حيث تأكد أن تنظيم القاعدة كان ضمن من يجري تدجينهم بغرض الاحتواء وتحويل عنفه وتطرفه للداخل المحلي.

في حال صعود جماعة الإخوان وقوّتها يثبت تنظيم القاعدة متانة علاقاته معها ومدى تأثر زعيم ومؤسس التنظيم بأفكار الإخوان والتقارب الشديد بين أفكار وأيديولوجيا وأهداف الجماعتين، وهو ما أثبتته الوثائق التي صادرتها السلطات الأميركية أثناء عملية قتل بن لادن في مجمع أبوت آباد في باكستان في مايو 2011 التي نشرتها لاحقًا.

إذا كانت تفجيرات 11 سبتمبر أثبتت سوء تقدير القاعدة فقد أثبتت تداعيات الانتفاضات العربية سوء تقدير واشنطن

وفي حال فشل الإخوان يجد القاعدة أيضًا فرصته سانحة عبر طرح اسمه كبديل أكثر قدرة على جلب الثأر لأعضاء الإخوان ولعموم الإسلاميين في مواجهة أجهزة الدول ومؤسّساتها، فضلًا عمّا تشهده فصائل السلفية الجهادية من حضور ورواج في ظل الحروب الأهلية وحالة الاستقطاب الداخلي، مع حرص العديد من الأطراف على توفير المال والسلاح لجبهات التمرد وللجماعات الأكثر تطرفًا.

العرب
الأحد 2022/01/23
السنة 44 العدد 12306

حقوقي يقوّض المشروع التمكيني للإسلاميين

توفيق شرف الدين

وزير داخلية تونس الذي يتآمر عليه الإخوان

• شرف الدين يرى أن قرارات الإقامة الجبرية التي اتخذت بحق بعض السياسيين لم تأت عبثا وتستند إلى نصوص قانونية

• تولي شرف الدين لحقيبة الداخلية ما يزال يثير حفيظة حركة النهضة الساعية بكل قوتها للتغلغل في مفاصل الدولة

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

يتابع التونسيون حركات وسكنات وزير الداخلية توفيق شرف الدين باعتبارها تمثّل محرارا للوضع العام في البلاد، فالرجل القادم من قطاع المحاماة والذي يعد صديقا شخصيا للرئيس قيس سعيد، تحول إلى رقم صعب في المشهد السياسي، وإلى أحد عناوين المرحلة الحالية التي دشنها سعيّد بجملة تدابيره الاستثنائية المتخذة في الخامس والعشرين من يوليو الماضي، والتي يصفها أنصاره بالحراك التصحيحي، ويرى فيها معارضوه انقلابا على الشرعية والدستور.

حلفاء النهضة وفي طليعتهم حزب «قلب تونس» بزعامة نبيل القروي، خاضوا مساومات تحت الطاولة، بين فريق الأغلبية النيابية والمشيشي، للاتفاق على عزل شرف الدين بعد أسابيع قليلة من منح الحكومة ثقة البرلمان

قد تدفع أغلب الاستنتاجات إلى إدراك موقع شرف الدين في قلب الأحداث المسجلة في البلاد خلال العامين الماضيين، لاسيما وأنه يحظى بعلاقة متميزة مع الرئيس سعيّد، تشكلت كطالب لديه في كلية الحقوق، ثم كمرافق له في قطاع التدريس، وكمنسق لحملته الانتخابية في مدينة سوسة، وسط شرق البلاد في أكتوبر 2019. وقد توطدت من خلال التوافقات الحاصلة بينهما فكريا وسياسيا، وفي قراءتهما المشتركة لواقع البلاد ورؤيتهما للتحولات التي تمر بها والتحديات التي تواجهها.

وقف التغلغل في الدولة

عندما أُعلن عن استقالة حكومة إلياس الفخفاخ في منتصف يوليو 2020 بدفع مباشر من حركة النهضة وحلفائها داخل مجلس نواب الشعب، اختار الرئيس سعيد الدفع بوزير الداخلية آنذاك هشام المشيشي إلى رئاسة الحكومة، انطلاقا من ثقته به كأحد أبرز الموالين له والمقربين منه، وقرر أن يكون له دور مهم في ترشيح بعض الأسماء للمناصب السيادية، وخاصة في ظل التجاذبات التي كانت قد بدأت تخرج للعلن لتشير إلى صراع على الصلاحيات بينه وبين رئيس البرلمان وزعيم حركة النهضة راشد الغنوشي.

من بين الأسماء التي تولى سعيّد ترشيحها لعضوية الحكومة كان هناك شرف الدين الذي تم تكليفه بحقيبة الداخلية، وهو ما أثار حفيظة تيار الإسلام السياسي وخاصة حركة النهضة الساعية بكل قوتها للتغلغل في مفاصل الدولة ضمن مشروع للتمكين كان يستهدف بالأساس أجهزة الأمن والجيش والقضاء، كما أزعج عددا من حلفائها المعلنين وفي طليعتهم حزب "قلب تونس" بزعامة المرشح الرئاسي نبيل القروي، ولكن المساومات التي دارت تحت الطاولة، بين فريق الأغلبية النيابية والمشيشي، أدت إلى اتفاق حول خطوات لاحقة، منها عزل شرف الدين بعد أسابيع قليلة من منح الحكومة ثقة البرلمان.

وخرجت صورة اللقاء الذي جمع تحت قبة البرلمان كلا من رئيس الحكومة المكلف المشيشي والغنوشي والقروي وزعيم ائتلاف الكرامة سيف الدين مخلوف، والتي تمت قراءتها على أنها تحمل مؤشرات على انقلاب مبكر على خيارات مؤسسة الرئاسة، وبعد ساعات نالت الحكومة ثقة 134 نائبا من أصل 217، لكن بعد أن تعهد المشيشي لقيادة الأغلبية البرلمانية، بأن يطيح بوزير الداخلية في أول فرصة مناسبة، وبأن يراقب بنفسه عن كثب كل ما يدور داخل تلك الوزارة التي كان مشرفا عليها قبل ترشيحه لرئاسة الحكومة.

لكن محاولة شرف الدين تنفيذ سياسات مستقلة عن خيارات رئيس الحكومة المتحالف مع الإخوان، كانت قد بدأت تنذر بأزمة حكومية وسياسية قد تدفع بالبلاد إلى نفق مظلم، فيما كانت حركة النهضة قد اتجهت للضغط على المشيشي من أجل المبادرة بتعديل وزاري للإطاحة بوزير الداخلية، وهو ما كان يراقبه الرئيس سعيد عن قرب، ليتسع بون الخلافات بينه وبين رئاستي البرلمان والحكومة المتحالفتين ضده.

في الخامس من يناير الماضي، كان قرار وزير الداخلية شرف الدين بإدخال تغييرات في عدد من الوظائف الأمنية الحساسة واستبعاده مسؤولين محسوبين على حركة النهضة من مواقعهم، كافيا لإسراع المشيشي بإقالته من منصبه، وقد قال حينها "لا يمكن أن أسمح بأي إرباك للمؤسسة الأمنية، ولا بد من احترام إطاراتها وقياداتها"، وأضاف "سأتصدى لأي عملية إرباك خاصة خلال هذه الفترة، والإقالات التي حصلت كانت بإمكانها أن تتسبب في اختراق أمني"، مردفا أن "البناء الأمني في وزارة الداخلية متماسك ولا أسمح بأي إرباك له خاصة في هذا الظرف الذي تعرفه البلاد".

وأعلن المشيشي أنه تم تعليق وإلغاء جميع برقيات الإقالة التي وقعها شرف الدين، نافيا بشدة أن تكون إقالة وزير الداخلية تحت أي ضغط حزبي، لكن الوضع العام كان يشير إلى سيطرة حركة النهضة على مفاصل الحكومة، وهو ما ساعدها على إجبار المشيشي على إدخال تعديل وزاري جديد للإطاحة بوزراء آخرين اعتبرتهم الحركة محسوبين على رئاسة الدولة، وقد شمل هذا التعديل 12 حقيبة، ليحظى بثقة الأغلبية البرلمانية.

ولكن وبدل أن يتجه الوزراء الجدد إلى مكاتبهم، اتجهت البلاد إلى أزمة سياسية طاحنة بعد أن رفض الرئيس سعيد دعوة الوزراء إلى قصر الرئاسة لأداء اليمين الدستورية أمامه، مؤكدا أن من بينهم من تلاحقهم شبهات فساد.

توجه المشيشي بمراسلتين إلى رئاسة الجمهورية، طالب فيهما بمدّه بقائمة أسماء الوزراء الذين يتحفظ عليهم سعيد، لكنه لم يتلق أي رد، وفي ظل غياب المحكمة الدستورية المخولة بالبت في الخلاف بين رأسي السلطة التنفيذية، اختار المشيشي ترحيل أزمة تعطل أداء اليمين الدستورية للوزراء إلى الهيئات القضائية، حيث راسل في خطوة أولى المحكمة الإدارية التي أجابته بعدم الاختصاص، ثم الهيئة الوقتية لمراقبة دستورية القوانين.

وفي أول تعليق رسمي له على أزمة اليمين الدستورية، اعتبر الرئيس سعيد أنه بالرجوع إلى نص الدستور، فإن رئيس الدولة غير ملزم بأجل محدد لدعوة الوزراء إلى أداء اليمين الدستورية، كما تحدث عن الخروق التي عاينها في مسار التعديل الوزاري وصولا إلى التصويت عليه في البرلمان، معتبرا أنها "حكومة على المقاس"، وفي رده على الاتهامات التي طالته بتعطيل دواليب الدولة بالتمسك برفض أداء الوزراء الجدد اليمين الدستورية، قال سعيد إنها مردودة على أصحابها، مؤكدا أن مؤسسات الدولة تعمل.

وحول اليمين الدستورية، قال سعيد إنها "ليست مجرّد إجراء شكلي، بل الأهم هو محتواها والآثار التي يجب أن تترتّب عليها"، مؤكدا أنه على العهد مع الله والشعب، مضيفا "لا أقبل بالحنث في اليمين التي أديتها ولا بخرق أحكام الدستور".

دوامة الصراع

دخلت البلاد في دوامة الصراع السياسي والحكومي، وكان لقرار إقالة شرف الدين من وزارة الداخلية الدور الأبرز في ذلك، بل السبب الذي سيكون لاحقا وراء الإطاحة بالحكومة وتعطيل البرلمان، في أبريل 2021 قرر سعيد تعيين شرف الدين رئيسا للهيئة العليا لحقوق الإنسان والحريات الأساسية برتبة وزير، خلفا لتوفيق بودربالة، وهو ما اعتبره المراقبون المحليون رسالة مهمة مفادها أنه لن يتخلى عن أصدقائه المقربين وخاصة عندما يتعلق الأمر بمن ينسجم معهم فكريا وعقائديا ويحمل معهم نفس التصور للوضع العام في البلاد.

عرفت البلاد جملة من التجاذبات الملحّة وخاصة في ما يتصل بالصلاحيات الأمنية، حيث اعتبر الرئيس سعيد أن موقعه كرئيس منتخب للجمهورية، يمنحه صفته القائد الأعلى للقوات المسلحة بما في ذلك القوات المسلحة الأمنية، وهو ما رفضه المشيشي الذي اعتبر أن قيادة القوات الأمنية من صلب اختصاصه كرئيس للحكومة يستند إلى الأغلبية البرلمانية الخاضعة لسيطرة الإسلام السياسي، وهو ما أزعج الرئيس سعيد حيث كان يرى أن الإخوان في طريقهم إلى التغلغل في أجهزة الدولة لأهداف أيديولوجية وحزبية يمكن أم تؤدي إلى إرباك أجهزة الدولة ككل.

كان واضحا أن المواجهة بين رئاسة الدولة ورئاسة الحكومة الخاضعة لسيطرة رئاسة البرلمان قد بلغت أشدها، ولم يعد هناك مجال لإبقاء الوضع على حاله، بينما كان الرئيس سعيد يخطط لإحداث التغيير وفق رؤيته لمستجدات الأحداث في بلاده التي كانت تحت تأثير خطر داهم، وفق تقديره، بما دفع به إلى اعتماد المادة 80 من الدستور والتي تتيح له اتخاذ تدابير استثنائية سارع إلى تنفيذها فعلا من خلال حل الحكومة وتعليق مهام وصلاحيات مجلس النواب ورفع الحصانة عن أعضائه.

وفي التاسع والعشرين من سبتمبر الماضي أعلنت الرئاسة التونسية تكليف نجلاء بودن بتشكيل الحكومة الجديدة، لتصبح أول امرأة في تاريخ البلاد تتولى هذا المنصب الرفيع، فيما كانت كل المؤشرات تدل على الاتجاه نحو تعيين شرف الدين وزيرا للداخلية، وذلك لجملة اعتبارات من بينها ثقة الرئيس في صديقه المحامي، ورغبته في تأمين الجهاز الأمني وتحصينه من مؤامرات الإخوان، وإدارة الحكم المحلي بالتوجه نحو بسط نفوذ الدولة لتجاوز حالة الانفلات المربكة التي عرفتها البلاد خلال السنوات الماضية.

بعد أيام من ذلك التاريخ تحول سعيّد إلى وزارة الداخلية، وقال إنه قام بتلك الخطوة ليطمئن التونسيين بأنّ هناك وطنيين لا يزالون ثابتين وصادقين مؤتمنين على الدولة وعلى فرض احترام القانون. وأشار إلى أنّه سجّل بيانات كل من يريد التسلّل إلى مفاصل الدولة وإلى وزارة الداخلية على وجه الخصوص "هناك من تسلّل وهناك من يسعى إلى التسلل ولكن ليتأكّد أنّه سيبقى في التسلّل فإن تهيّأ له أنّه حقق هدفا فهذا الهدف الذي يتهيّأ له لن يُحتسب وسيلفظه التاريخ وستلفظه تونس"، مضيفا أنّ هناك من تعمّدوا تفتيت الدولة وذلك بالنسبة إلى بعض الإدارات، وأفاد بأنه واثق من أنّ وزارة الداخلية ستتصدى لهؤلاء بكلّ قوّة حتى "يتمّ إبقاء المتسلّلين في مزبلة التاريخ".

وأضاف قائلا "تسلّلوا في ممرّات عديدة ويحاولون اليوم التسلّل ولا فرق بينهم وبين أبي سلول كبير منافقي يثرب، هؤلاء سيبقون في التسلل وسيبقون مع ابن سلول وسنتصدى لهم في إطار القانون ولكن ليعلموا أنّ أي محاولة للمسّ من وزارة الداخلية أو لضربها من الداخل فستواجه بأكثر مما يتوقعون وعليهم أن يمتثلوا للقانون ولقرارات وزير الداخلية ولرئيس الدولة"، مبينا أنّه لا مجال لأيّ كان لتوظيف وزارة الداخلية لتحقيق مآرب شخصية مشدّدا على أنّ وزارة الداخلية هي وزارة كلّ التونسيّين، كما لا مجال للمسّ بحيادية المرفق العمومي للأمن.

وبحسب أغلب المحللين، فإن وزارة الداخلية بما تمثله من أهمية قصوى في هيكلية الدولة، كانت تحتاج إلى إدارة قادرة على التصدي لمحاولات التغلغل الإخواني وللتجاذبات الحزبية والعقائدية التي أضرت بالأجهزة السيادية، وجعلتها عرضة للخطط العبثية من قبل الأطراف المراهنة على التلاعب بمصالح الدولة الوطنية، وهو ما دفع بالرئيس إلى وضع كامل ثقته في شرف الدين.

حسم الهواجس

منذ أن تولى وزارة الداخلية، قام شرف الدين بإقالة عدد من المسؤولين وإحالة آخرين على التقاعد، وإدخال تعيينات جديدة في مناصب قيادية أفرزت تلقائيا الإطاحة بشخصيات جدلية مقربة من الإخوان، كما قرر في أواخر ديسمبر الماضي وضع نائب رئيس حركة النهضة ووزير العدل الأسبق نورالدين البحيري والقيادي الأمني المحسوب على الحركة فتحي البلدي تحت الإقامة الجبرية، وأكد لاحقا أن تلك القرارات هي قرارات إدارية ويمكن اتخاذها لمجرد وجود هواجس ومخاوف تتعلق بأشخاص أو مؤسسات ويمكن أن تشكل خطرا على الأمن العام.

يقول شرف الدين إن قرارات الإقامة الجبرية لم تأت عبثا وتستند إلى نصوص قانونية وبمقتضى أبحاث عدلية جارية حول تهم وشبهات جدية، وتابع أن الأمر الذي اتخذ بسبب قرار الإقامة الجبرية، هو تقديم شهادات جنسية وجوازات سفر بطريقة غير قانونية لأشخاص "لن أصفهم وسأترك ذلك للأبحاث القضائية". وهو يؤكد أن القرار الإداري بالوضع تحت الإقامة الجبرية كان يستوجب الطعن فيه لدى المحكمة الإدارية من طرف معارضيه، وعدم الاتجاه إلى المغالطات والمزايدات السياسية، وأردف أن بعض الأطراف حاولت جرّ المؤسسة الأمنية إلى التجاذبات السياسية، وارتكاب جرائم تتعلق بمحاولة تحريض الأمنيين على العصيان، وهو ما يستوجب التتبع القانوني والقضائي.

جزء مهم من الشارع التونسي يعتبر أن شرف الدين مؤهل لقيادة معركة الإصلاح داخل وزارة الداخلية بعد سنوات من محاولات استهدافها من قبل الإخوان وبعض التيارات الحزبية التي سعت إلى إدخال المؤسسة الأمنية وسلطات الحكم المحلي تحت ضغط التجاذبات اليومية بما يهدد بوضع البلاد على حافة الانهيار.

قد يكون كتب على شرف الدين أن يكون عرضة لتآمر الإخوان عليه سواء وهو في حكومة المشيشي، أو وهو في حكومة بودن، حيث ينظرون إليه كعدو لمشروعهم العقائدي ولطموحاتهم التمكينية، ويستعدون لشن حملات ممنهجة عليه، لكنه بالمقابل أمام فرصة كبيرة للإصلاح بالاعتماد على المشروعية السياسية التي تدار من خلالها البلاد حاليا.

العرب
الأحد 2022/01/23
السنة 44 العدد 12306

امرأة حديدية تعادي البيروقراطية والمحسوبية

رشا راغب

في مهمة رئاسية لردم الفجوة بين الحكومة والشباب

أحمد حافظ
كاتب مصري

مع وصول الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي إلى الحكم منذ نحو ثمانية أعوام واجه أزمة ثقة بين الدولة والشباب، فكل منهما لديه فكره ورؤيته وطموحاته وصارت هناك حالة من اللايقين بين الطرفين، فالسلطة لا تستطيع التسويق لنفسها وسياساتها المرتبطة بتمكين الشباب وهم لا يثقون بالقدر الكافي ولا يتفاءلون بأن القادم أفضل.

حاول السيسي أن يبرهن على إيمانه بقدرات وإمكانيات الشباب واختيار قيادات منهم قبل أن تصل الدولة إلى مرحلة الشيخوخة وتعجز عن تجديد الدماء بين صفوفها، لكن لم تكن هناك مؤسسات أو جهات لها مصداقية تسوّق لهذه السياسة.

الشباب الذين ينتمون إلى عائلات ذات نفوذ سياسي اعتقدوا أنهم ضمنوا مواقعهم في المناصب القيادية، وكانت صدمتهم حين تقدموا للأكاديمية أن عليهم أولا خلع الرداء السياسي

كان عام 2017 نقطة تحول في علاقة السيسي بالشباب عندما تم تنظيم المؤتمر الوطني للشباب، ومن بين توصياته إنشاء أكاديمية وطنية لتأهيل وتدريب الشباب، لتصبح هذه خطوة لقياس نوايا السلطة في مسألة التمكين والاستفادة من قدراتهم.

صدر قرار بتكليف رشا راغب بإدارة الأكاديمية، ووقتها لم يكن الكثير من المصريين يعرفون عنها شيئا سوى معلومات قليلة كانت متاحة على شبكة الإنترنت.

حصلت راغب على دكتوراه في التسويق من الأكاديمية العربية للعلوم المالية والمصرفية عام 2007، وتولت مناصب ومهام عديدة في مؤسسات إقليمية ودولية، وكانت مسؤولة عن تطوير الأعمال بالوحدة التنفيذية للمعونة الإنمائية التابعة لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي في مصر، وعملت مستشارة تنموية بالجامعة العربية.

قالت عن نفسها "تمحورت خبراتي العملية وأبحاثي العلمية حول تنمية الإنسان، والدولة التي تسعى لأن تكون قوية وراسخة عليها أولا أن تهتم بالشباب وبناء الإنسان وتطويره عن طريق التعليم والتعلم والتدريب، لأنه ثروة البلاد الحقيقية".

وسبق أن تقلدت منصب نائب رئيس جامعة إسلسكا الأوروبية للتخطيط الاستراتيجي وتطوير الأعمال في أفريقيا والشرق الأوسط، قبل أن تصبح عميدة لجامعة إسلسكا الدولية بأوغندا، وشغلت منصب مديرة العلاقات الإقليمية والدولية ورئيسة مركز المشروعات الصغيرة والمتوسطة بالأكاديمية المصرفية في الأردن، وتقلدت منصب مستشارة تطوير الأعمال مع شركة ماكينزي العالمية، ومستشارة لوضع وتنفيذ برنامج لريادة الأعمال ببعض المؤسسات الماليزية.

منبر الفعاليات الرئاسية

صارت راغب تطل على المصريين في الفعاليات الرئاسية، مثل المؤتمرات الشبابية، لتتحدث عن تأهيل قيادات الدولة في جميع المؤسسات الحكومية دون استثناء، وأنه لن يتم تصعيد قيادة إلى الدرجة الأعلى أو تكليفها بأي منصب قبل أن تخضع لتدريبات ومعايير صارمة المطلوب تجاوزها بكفاءة.

لم تفلح الخطوة في ترميم علاقة الشباب بالسلطة كثيرا لأسباب مرتبطة بأن هذا الكيان، أي الأكاديمية، في النهاية صنيعة النظام، وله شروط بعينها في الشباب الحالم بالتمكين داخل دولاب الدولة والوصول إلى مناصب قيادية دون اكتراث بالنفوذ المالي والعائلي ودائرة العلاقات التي اعتادت أنظمة سابقة منحها أولوية على حساب الكفاءة.

بعدها نجحت راغب (49 عاما) في أن تمحو البعض من مخاوف الشباب عندما تم الإعلان عن أول برنامج تدريبي لتأهيل وتدريب الفئات الشبابية من مختلف محافظات الجمهورية للوصول إلى أهم عينة منهم ليكونوا في مناصب قيادية، وتوزيعهم على مؤسسات حكومية، ومكاتب كبار المسؤولين، منهم عدد من الوزراء والمحافظين.

هيأت الخطوة شريحة كبيرة من الشباب لخوض التجربة على أمل اختبار مصداقية السلطة وقياس مدى واقعية ما يروج له، لكن أغلبهم تعرضوا لصدمة جراء الشروط والمعايير والاختبارات الصارمة التي أقرتها راغب على المتقدمين للالتحاق بالأكاديمية التي فتحت أبوابها أمام كل الفئات للاختبار، وهذه كانت أزمة بالنسبة إلى الكثيرين.

ارتبطت الأزمة بالشباب الذين اعتقدوا أنهم ينتمون إلى عائلات ذات نفوذ سياسي أو من المؤيدين للنظام، واعتقدوا أنهم بذلك ضمنوا مواقعهم في المناصب القيادية، وكانت صدمة هؤلاء أن الشباب الذين تقدموا للأكاديمية كان عليهم أولا خلع الرداء السياسي.

وتم فقط استبعاد أصحاب الميول المناوئة للدولة ولم تتم تنحية المعارضين العقلانيين لمبررات وأهداف وطنية، لم تكن هذه النقطة تمثل لهم أزمة في عملية القبول بالأكاديمية، لأن رشا راغب أعلنت أنها ليست بحاجة إلى موالين للسلطة بل إلى رجال دولة.

خط ساخن للاتصال بالرئيس

يقول أحد الصحافيين المصريين لـ"العرب"، وهو ممن لديهم دائرة علاقات قوية بأجهزة الدولة، إنه استعان بشخصيات كبيرة يفترض أن لها ثقلا ونفوذا في الحكومة للعبور إلى الأكاديمية، لكنه فشل مرتين، حتى تراجع عن الفكرة.

ويؤكد الصحافي الذي طلب عدم نشر اسمه أن الشخصيات البارزة التي تحدث معها للتوسط له في الوصول إلى هذا الكيان بإدراج اسمه ضمن المقبولين فوجئت بإصرار رشا راغب على أن يخوض التدريبات والاختبارات المؤهلة للمرحلة الأولى والثانية والثالثة، مستبعدة تماما هوية المتحدثين لتبلغهم بأن الوساطة عندها خط أحمر.

ما يعزز مثل هذا الكلام أن أكاديمية تدريب وتأهيل الشباب عندما تُعلن عن قبول دفعة جديدة يتقدم إليها الآلاف، والمفاجأة باختيار بضع عشرات منهم، ونادرا ما يصل من تنطبق عليهم الشروط إلى مئة شاب، مع استبعاد كل الباقين وجميع الاختبارات تكون إلكترونية برقم سري، يحصل عليه الشاب قبل الامتحان مباشرة، لتجنب الواسطة.

انعكست هذه السياسة بشكل إيجابي على علاقة الشباب بالحكومة، وتحديدا الطامحين إلى التمكين والقيادة، ففي كل دفعة جديدة يتم الإعلان عنها لا يتطلب أن يكون المتقدم مدعوما من جهة بعينها، بل يخوض الاختبارات المؤهلة بقدراته الشخصية، وعندما ينجح تتولى الأكاديمية أمره، كقيادة مستقبلية مدفونة يجب استثمارها.

لدى راغب ضوء أخضر من السيسي لتفعل ما تشاء، المهم أن تخرج قيادات دولة بالمعنى الحرفي، فكريا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا، وحتى لغويا. فالشباب يخوضون اختبارات في كل شيء، لا مجرد إجابات عن أسئلة عامة، حتى أن الموظفين الكبار بالدولة الذين ترغب المؤسسات العاملين فيها أن تستعين بهم كقيادات لا يصلون إلى هذه المكانة قبل الخضوع للتأهيل والتدريب.

تتناغم راغب فكريا وسياسيا مع السيسي في مسألة رفض الوساطات والمحسوبيات، لأنه يرى أنه عندما يقبل بذلك ويأتي مسؤول فاشل في منصب حيوي، سيوجه إليه الناس سهام الاتهام، لأن الغضب يتجه لرأس السلطة نفسه، باعتباره من سمح بوصول هؤلاء إلى قمة الهرم الوظيفي.

ذكر اللواء أحمد العزازي رئيس الشعبة الهندسية بالمنطقة الشمالية العسكرية في الإسكندرية أنه عندما كلفه الرئيس بهدم الكبائن (غرف فندقية) المخالفة بحي المنتزه على شاطئ الإسكندرية وجد أن أصحابها من الشخصيات النافذة بالدولة، وخشي أن يصطدم بهم، حتى رفع الأمر إلى السيسي لأخذ رأيه، وقال "فوجئت بالرئيس يقول لي، لو وجدت مبنى منهم عليه اسم عبدالفتاح السيسي اهدمه"، وبالفعل تم هدم المنطقة بالكامل، رغم ثقل نفوذ أصحابها.

تعد راغب من الشخصيات القليلة في الدولة التي لديها صلاحية الاتصال بالسيسي مباشرة، فتتحدث وتتشاور معه وتبلغه بما تفعل تفصيليا، أيّ أنها تملك خطا ساخنا للاتصال بالرئيس، ومدعومة منه ولا سلطان لأي جهة أخرى مهما بلغ نفوذها.

رئيسها المباشر اللواء عباس كامل رئيس جهاز المخابرات العامة، وهي بطبيعتها امرأة حديدية وصارمة في قراراتها، لا تقبل الخطأ، ولا تتنازل عن تطبيق رؤيتها، تفعل ما تشاء، وفق الصلاحيات الممنوحة لها، وبحكم طبيعة إدارتها لملف الشباب بحوزتها صلاحيات غير محدودة للاستفادة من طاقاتهم وتصعيد الكفاءات منهم.

الأكثر من ذلك أن السيسي أسند إلى هذه المرأة الحديدية سلطة مباشرة على تدريب وتأهيل كل من يُنتظر تصعيدهم لمناصب قيادية حتى في بعض المؤسسات السيادية من خلال الأكاديمية التي صارت أكبر من مجرد كيان لاكتشاف الشباب القياديين، بل لتحديد مستحقي القيادة بالحكومة نفسها.

لا تفضل الظهور الإعلامي كثيرا، حتى لا يفهم البعض أنها تقوم بتلميع صورتها سياسيا، أو تضع نفسها في خانة المدافعين عن النظام، فهي تفضل العمل في صمت دون ضجيج، ويظهر نفوذها في استقبالها مسؤولين كبارا بمكتبها، كالمحافظين أو الشخصيات التي تشغل مناصب مرموقة، باعتبارها المسؤولة عن ملف مستقبل قيادات الدولة المصرية.

تخرج في الأكاديمية التي تترأسها شباب تولوا مناصب قيادية كنواب ومساعدين للوزراء والمحافظين وهم في مرحلة الثلاثينات من العمر، بحيث يكتسبون خبرة العمل على الأرض، ويتم تصعيدهم لاحقا إلى الدرجة الأولى في الحكومة، وهذه سياسة لم يعرفها المصريون، حيث وصل دولاب الدولة إلى مرحلة غير مسبوقة من الشيخوخة.

وبحكم أن راغب نجحت إلى حد كبير في المهمة الموكلة إليها، وصار الناس يشاهدون شابا في منصب نائب محافظ، أو مساعد وزير، تغيّرت الصورة الذهنية السلبية عن كون الأكاديمية أنشئت كنوع من الدعاية السياسية.وأصبحت هذه السيدة مسؤولة عن تنظيم كل الفعاليات الرئاسية التي لها علاقة بالشباب، مثل المؤتمرات الدورية للشباب ومنتدى شباب العالم في نسخته الرابعة التي عقدت مؤخرا في شرم الشيخ.

مسألة رفض الوساطات والمحسوبيات تتناغم فيها راغب فكريا وسياسيا مع السيسي

راغب تطل على المصريين في المؤتمرات الشبابية، لتبشّر بتأهيل قيادات للمؤسسات الحكومية دون استثناء

حلقة وصل مهمة

بمرور الوقت صارت راغب حلقة الوصل المهمة وخط الاتصال بين النظام والشباب في مصر وبلدان أخرى باعتبار أن السيسي يريد تكوين رأي عام دولي إيجابي عن مصر، ويسعى لتمكين الشباب والاستماع إليهم والاقتراب من أفكارهم وطموحاتهم، إلى درجة أنه كلفها بتدريب الشباب في دول أفريقية ليكونوا قادة في بلدانهم.

محاولة ترميم علاقة الشباب بالسلطة لم تفلح كثيرا، لأسباب مرتبطة بأن هذا الكيان، أي الأكاديمية، في النهاية صنيعة النظام، وله شروط بعينها في الشباب الحالمين بالتمكين داخل دولاب الدولة

لم يكن طريق راغب مفروشا بالورود كما يعتقد البعض، فقد اتهمتها قوى سياسية معارضة بأنها تنتقي الشباب المؤيدين للسلطة للمشاركة في المؤتمرات الرئاسية وتستبعد المناوئين للحكومة، وفي كل مرة يُقام منتدى شبابي تكون هناك حالة من الريبة في توجهات الحاضرين، لكن لم يسبق لها التعليق على ذلك أو الظهور للدفاع عن نفسها وتبرير موقفها، لأن المنتمين إلى الأكاديمية والذين تخرجوا فيها من الطبيعي أن يكونوا متناغمين مع الحكومة فهم جزء منها وينفذون برامجها.

لا يزال الكثير من الشباب يعتقدون أن تقريب السلطة للمسافات بينها وبينهم أبعد من مجرد إنشاء كيان مثل الأكاديمية لأنهم بحاجة إلى تغيير سياسة الحكومة عموما في التعامل معهم، وفسح المجال لهم كي يعبروا عن أفكارهم وطموحاتهم بحرية دون تضييق أو مطاردات أمنية، واحترام أحلامهم والتعاطي معها بواقعية والكف عن تضييق الخناق على الأحزاب وتصدير المؤيدين للسلطة، لأن المعارض مصري وله كامل الحقوق.

ولأن مطالب الشباب دائما تكون بلا سقف أو غير محدودة من الصعب أن تواجه رشا راغب تعقيدات بالغة في مهمة تقريب وجهات النظر بين الحكومة والفئات الشبابية، لأن هناك أدوارا أخرى يجب على باقي المؤسسات القيام بها، ففي ما يتعلق بالخطاب الرسمي الموجه إلى الشباب هناك مسؤولون يفتقدون الحد الأدنى من الحنكة، وآخرون ليسوا مؤهلين للاضطلاع بمهمة امتصاص غضب هذه الشريحة الثائرة بطبيعتها على كل ما يخالف أفكارها ورؤيتها، وهي إشكالية دائما تنغص علاقة السيسي بالشباب.

وإذا كانت راغب نجحت إلى حد بعيد في تغيير الصورة النمطية عن السلطة في نظر شريحة من الشباب، وإظهار النوايا الطيبة للنظام بأنه يسعى للتمكين والاعتماد على الكفاءات منهم ليكونوا قادة المستقبل وأصحاب القرار داخل أكبر مؤسسات الدولة، فالطريق أمام الحكومة نفسها لا يزال طويلا لتكريس الصورة الإيجابية، طالما أنه يتم التعويل على كيان واحد، مثل أكاديمية الشباب، لوصول علاقة السلطة معهم إلى مرحلة الرضا الكامل، لأن طموحات وآمال هذه الفئة أبعد من التمكين الوظيفي.

العرب
الأحد 2022/01/23
السنة 44 العدد 12306

أنظمة شمولية ناعمة يقودها مجتمع متقدم بلا معارضة

لا مكان للفرد في الحاضر والمستقبل (لوحة للفنان عمر فهد)

حسام الدين محمود فياض
باحث وأكاديمي سوري

يعتقد معظم رواد مدرسة فرانكفورت أن المجتمع الصناعي المتقدم قد استطاع "أن يكسب كثيرا من الأرض التي كان على الحرية الجديدة أن تزدهر عليها. لقد امتلك هذا المجتمع أبعاد الوعي والطبيعة التي لم تتلوث في الماضي إلا نسبيا. لقد صاغ بدائل تاريخية في صورته، ولبّن من التناقض الذي أصبح يتحمله بهذه الصورة. وخلال هذا الغزو الديمقراطي – الشمولي للإنسان والطبيعة، أمكن غزو المسافة الذاتية والموضوعية المتاحة لعالم الحرية". (هربرت ماركيوز: فلسفة النفي).

سعى المجتمع الصناعي المتقدم جاهدا بكل قواه، لتفريغ المجتمع من كل أشكال النقد، بهدف السيطرة عليه وتطويعه في خدمة تحقيق أهدافه وغاياته المتمثلة بالسيطرة والتسلط على الإنسان والطبيعة. فوسائل الاتصال الجماهيري المحصنة بالتكنولوجيا التي يمتلكها هذا المجتمع على سبيل المثال، لا تجد أيّ عناء يذكر في تحويل المصالح الخاصة إلى مصالح تهم كل أفراد المجتمع من ذوي الحس السليم. حيث يبدو أن كل شيء عقلاني ولا يشوبه أيّ تناقض أو خلل.

المجتمع الصناعي المتقدم سعى جاهداً بكل قواه لتفريغ المجتمع من كل أشكال النقد، بهدف السيطرة عليه وتطويعه

ويشرح هربرت ماركيوز سبب هذه السيطرة أن طاقات المجتمع المعاصر (الفكرية والمادية) الحالية أعظم بكثير مما كانت عليه في السابق، وهذا معناه أن هيمنة المجتمع على الفرد أكثر بكثير من السنوات الماضية، لقدرة هذا المجتمع على استخدام التكنولوجيا وترشيدها في سبيل السيطرة على أفراده من خلال تحسين مستوى معيشتهم وجعلهم أسيرين لها بكل ممارستهم اليومية. (هربرت ماركيوز: الإنسان ذو البعد الواحد).

قدم المجتمع الصناعي المتقدم لأفراده مبررات منطقية للقضاء على كل أشكال النقد، من خلال التقدم التقني الذي يرسخ دعائم كاملة من السيطرة والتنسيق، فالنظام يقوم بدوره بتوجيه التقدم من خلال خلق أشكال للحياة والسلطة التي تبدو وكأنها منسجمة مع نظام القوى المعارضة، حيث يتم إبطال كل محاولة للاحتجاج باسم الآفاق المستقبلية أو باسم تحرر الإنسان. لذا يصبح المجتمع المعاصر قادرا على الصمود دون أيّ تبدل اجتماعي، أي دون التحول بالمعنى الكيفي الذي يؤدي إلى قيام مؤسسات تختلف اختلافا جوهريا عن الحالية تساعد على قيام طراز جديد للحياة الاجتماعية. مما يضع عراقيل حقيقية أمام عملية التغيير الاجتماعي. (المرجع السابق نفسه، ص 28).

ولأن الرأسمالية المتقدمة، قد استطاعت اليوم أن تجدد نفسها من خلال تطوير نظام وأسلوب الاستغلال، فلم يعد الاستغلال والسيطرة يرتبطان على نحو ما كان عليه في الماضي (أي الشعور بالمعاناة)، لأن مثل هذا الشعور يمكن تعويضه الآن عن طريق مستوى الرفاهية الذي لم يسبق له مثيل.

فعلى سبيل المثال، تستخدم الأنظمة الرأسمالية مقدارا مقننا من التسامح الذي يتطلّبه النظام الديمقراطي مع القوى المعارضة، الذي يؤدي إلى تورط هذه القوى في اللعبة البرلمانية، وبهذا تصبح المعارضة مندمجة داخل منظومة المجتمع القائم، وبالتالي يجردها تماما من سلاحها الوحيد، ألا وهو القدرة على رفض النظام القائم. وبنفس هذا السياق يساعد هذا التسامح أيضا على الترويج لسائر البرامج الإصلاحية السلمية التي تتوهم إمكانية الوصول إلى تغيرات جذرية دون اللجوء إلى العنف الثوري، لذا نجد أن هذا التسامح الحذر الذي تمنحه المجتمعات الرأسمالية، يصبح أداة ناجحة لتحديد القوى الراديكالية المعارضة للنظام، فالشعب يتسامح مع الحكومة، والحكومة تتسامح مع المعارضة داخل إطار شمولي يتخذ من الديمقراطية ستارا لممارساته القمعية.

والدليل على ذلك، أن النظم السياسية الراهنة التي تتخذ الشكل الديمقراطي، فإن هذا لا يؤخر ولا يقدم شيئا لموقفها الأساسي، فما الديمقراطية إلا واجهة تحكم من ورائها صفوة ما لحساب مصالح معينة، أو ما هي في الحقيقة إلا نوع من الطغيان الذي يرتدي الرداء الديمقراطي من خلال الأغلبية. وما الالتزام بالقرار الديمقراطي إلا نوع من الالتزام الزائف، ذلك أن الالتزام الحقيقي لا يمكن أن ينبع من إرادة تم تخريبها والسيطرة عليها. (أنطوني دي كرسبني وكينيث مينوج: أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة).

هذا ما دعا ماركيوز إلى توضيح مدى التزييف الذي أصاب مفهوم النقد في هذا المجتمع من خلال إقامة المقارنة بين نقد المجتمع الصناعي في مرحلة تكوينه، وبين وضعه الراهن للدلالة على الوضع الذي تردى إليه. ففي النصف الأول من القرن التاسع عشر على سبيل المثال كان النقد يمارس عمله بصورة جلية متوسطا بين النظرية والممارسة، بين القيم والوقائع، بين الحاجات والأهداف. فالبرجوازية والبروليتاريا كطبقتين كبيرتين متعارضتين في المجتمع قد وعتا الدور التاريخي للنظرية وراحتا تستخدمانه في عملهما السياسي.

أما في الوضع الحالي نجد أن البرجوازية والبروليتاريا على الرغم من أنهما الطبقتان الرئيستيان في العالم الرأسمالي، إلا أن العالم قد شوه بنيتهما ووظيفتهما إلى حد عدم القدرة على النظر إليهما كعامل للتحول التاريخي. ففي القطاعات من المجتمع المعاصر توجد مصلحة قوية لتوحيد خصوم الأمس بهدف الحفاظ على مؤسسات المجتمع الصناعي المتقدم من جهة وتدعيمها من جهة أخرى. (هربرت ماركيوز: الإنسان ذو البعد الواحد، مرجع سبق ذكره، ص 29).

إن البنية الطبقية للمجتمع الصناعي والصراع الطبقي بين الطبقات، كما صوّرها ماركس لم تعد تعتبر قسمات هامة للمجتمعات الغربية الحديثة، لأن هذه المجتمعات سعت إلى توحيد الخصمين السابقين في المجالات الأكثر تقدما للمجتمع المعاصر، لأن من مصلحتها الإبقاء على مقاليد السيطرة والهيمنة التي تستحوذها باسم التقدم والارتقاء (توم بوتومور: مدرسة فرانكفورت). أي أن الطبقة المعارضة، والمتمثلة بالطبقة العاملة لم تعد موجودة لأنه تم استيعابها واسترضاؤها، ليس من خلال الاستهلاك فقط، وإنما أيضا من خلال عملية الإنتاج المرشدة ذاتها. (المرجع السابق نفسه، ص 82).

ونتيجة لغياب عوامل التغير الاجتماعي في هذا المجتمع تم القضاء على أيّ محاولة بناءة للنقد مما أدى به إلى تقوقعه في مجال التجريد فقط. الأمر الذي أدى إلى تحطيم حقيقي للأرض المشتركة بين النظرية والممارسة. لكن السؤال الذي يطرح نفسه وبقوة. إذا كانت عوامل التحول غائبة (أي التغيير الاجتماعي)، فهل هذا نقد حاد للنظرية؟

يشرح ماركيوز هذا الطرح من خلال إصراره على أن التحليل النقدي، المواجه لوقائع متناقضة على أرض الواقع الاجتماعي، ما يزال يعتبر أن التغير الاجتماعي ضروريّ وملح أكثر من أي وقت من الأوقات، فهو ضروري للمجتمع برمته أي لكل عضو من أعضائه، بسبب أن الإنتاجية الصناعية ووسائل التدمير (الموجهة لحماية المجتمع من الأخطار الخارجية) تنمو بوتيرة واحدة، مما جعل البشرية مهددة بدمار شامل، والفكر والأمل والخوف رهن بإدارة السلطات القائمة، فهذا الوضع يعتبر ناتجا عن عقلانية المجتمع المعاصر التي توجه تقدمه وتطوره، إلا أن هذه العقلانية تبدو في مبدئها لا عقلانية. (هربرت ماركيوز: الإنسان ذو البعد الواحد، مرجع سبق ذكره، ص 30).

فإذا كان أفراد المجتمع يقبلون أن يكون مجتمعهم على هذا الحال خاليا من أي حركة نقدية، فهذا الوضع لا يزيد من عقلانية المجتمع ولا يقلل من قابليته للنقد. لأن التمييز بين الوعي الحقيقي والزائف، لم يفقد شيئا من دلالته. لكن هذا التمييز بحاجة إلى الإثبات والبرهان. وعلى كل إنسان أن يكتشفه وأن يبحث عن الطرق التي ستقوده من الوعي الزائف إلى الوعي الحقيقي. والإنسان لا يستطيع فعل ذلك إلا إذا شعر بالحاجة إلى تبديل نمط حياته، أي إلى نفي الإيجابي الذي يؤدي إلى الرفض. وقد سعى المجتمع الصناعي بكل ما يملك من قوة إلى قمع هذه الحاجة، بتناسب مطرد مع قدرته على إنتاج الخيرات وتوزيعها، ومع قدرته على استخدام الإنجازات العلمية التي تم التوصل إليها في مجال الطبيعة في غزو الإنسان من خلالها. (المرجع السابق نفسه، ص 30).

من خلال هذا العرض السريع لقدرة الإنجازات العلمية في السيطرة على المجتمع الصناعي وجعله مجتمعا بلا معارضة، نجد أن النظرية النقدية فقدت كل السيطرة على أن تبرر عقلانيا ضرورة تجاوز هذا المجتمع. وهذه نتيجة طبيعية لأن الفراغ قد أصاب بنية النظرية بالذات، وكما نعلم أن تطور المقولات النظرية في عصر ما يأتي كرد فعل تتلاحم فيه حاجة الرفض والنقض والهدم مع قوى اجتماعية حقيقة وفعالة، لذا نجد أن المجتمع الصناعي الحديث سعى إلى إفراغ المجتمع من كل عناصر القوى الاجتماعية الرافضة لسياساته وتوجهاته من خلال التقدم والتطور الذي بلغه بأساليب عقلانية.

يدلل ماركيوز على هذا الوضع من خلال الرجوع إلى الماضي لرصد وضع المقولات النظرية في المجتمع الأوروبي في القرن التاسع عشر، ليبين كيف كانت هذه المقولات النظرية في جوهرها مفاهيم سالبة ومعارضة تحدد التناقضات الحية للمجتمع الأوروبي. فمقولة "المجتمع" بالذات تعبّر عن الصراع الحاد بين الدائرة الاجتماعية والدائرة السياسية، وتشير إلى المجتمع بوصفه نقيضا للدولة. وهذا الأمر ينطبق على مقولات كثيرة في هذا المجتمع مثل: الفرد، الأسرة، الطبقة. (المرجع السابق نفسه، ص 30 – 31).

وهكذا لم تعد هناك أيّ معارضة بين الحياة الخاصة والحياة العامة، بين الحاجات الفردية والحاجات الاجتماعية. فالتقنية تفسح المجال لتأسيس أشكال من الرقابة والتلاحم الاجتماعي أكثر نعومة وفاعلية في آن واحد.

بذلك يكون المجتمع الصناعي قد أحكم إغلاق كل أبواب النقد الاجتماعي التي يمكن أن يتعرض لها للمحافظة على السوية التي يرى أنها مناسبة لتطوره والتقدم بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى حتى لو كان هذا على حساب حرية الفرد والمجتمع، أي "مجتمع بلا معارضة".

القيادة الأخلاقية منظومة للنهوض المعرفي وقاعدة للبناء

فادي محمد الدحدوح
باحث فلسطيني

تعد القيادة المؤثرة المنبثقة من منظومة تربوية سليمة هي المحرك الفعال لنهضة الأمم والشعوب وتقدمها، والإدارة الأكثر فاعلية للتغيير وصناعة المستقبل، لما لها من آثار إيجابية في دفع حركة المجتمع وبنائه والارتقاء به، وفي ظل الأزمات العالمية المتصاعدة. ومع تقدم الثورة المعلوماتية نلحظ في منظومة القيادة والإدارة بأن هناك نقصا في القيادة الأخلاقية منتشرا في جميع قطاعات المجتمع الإنساني، مما استوجب على المؤسسات، وتحديدا التربوية، مواجهة هذه التحديات بكفاءة وفاعلية كأيسر طريق يحقق الأهداف وذلك من خلال إعداد القيادات الناجحة والقادرة على التغيير والابتكار، لحل المشكلات واتخاذ القرارات في المواقف المناسبة بناء على قاعدة تعزيز السلوك الأخلاقي في منظومة العمل والعلاقات.

القيادة الأخلاقية تعد بوابة نجاح استراتيجية مركزية لأيّ مؤسسة تنشد النمو وتحقيق الغايات، فهي قيادة تحقق العدالة والشفافية، وتشجع العمل الجماعي المشترك، والمشاركة في صنع القرار، والاهتمام بالمرؤوسين وتعزيز نموهم، والتخلي عن المفهوم التقليدي للقيادة والمستندة إلى الوصاية والهرمية وسلطة المركز، وذلك وفق إطار أخلاقي إنساني يتزامن فيه الارتقاء بأداء المؤسسة ونوعية إنتاجها مع الاعتناء بالأفراد وتطويرهم وتحفيزهم وتعزيز دورهم.

وتتعاظم أهمية القيادة الأخلاقية في المؤسسات كونها تتعامل مع الإنسان وتحاول صياغة شخصيته صياغة سليمة وإيجابية تنمّي فيه الخلق القويم، وترسّخ فيه القيم السامية، والشعور بالمسؤولية عبر منظومة منبثقة من قيم راسخة من المنهج التربوي الإسلامي الأصيل، كما أنها تقوم بصياغة القرارات التي تنعكس على حاضر المجتمع ومستقبله، والتي يمتد تأثيرها إلى أجيال عديدة.

وأبرزت الكثير من الدراسات المحلية والعالمية أن المنهج والنموذج المثالي المناسب للقيادة في المجتمعات هو القيادة الأخلاقية، فهي عملية تأثير يمارسها القادة لحث الآخرين على تحقيق الأهداف المنشودة من خلال الالتزام بسلوكيات تتميز بسمات أخلاقية، مثل المصداقية والأمانة والعدالة والإيثار والرحمة، بالإضافة إلى تشجيع مثل هذه السلوكيات عن طريق مناقشة القضايا الأخلاقية وتوضيح التوقعات الأخلاقية واتخاذ القرارات الأخلاقية ودعم المعايير الأخلاقية، قاصدين بذلك تعديل السلوكيات الأخلاقية في العمل وتحسينها وتعزيزها، ومن أهم ما يبرز في هذا الاتجاه هو تنمية الأفراد وتدريبهم ورعايتهم ضمن إطار أخلاقي، إضافة إلى تعميم القوى الإيجابية في المؤسسة وتقليص الجوانب السلبية، والعمل على مواكبة التغيرات وتوظيفها لخدمة المؤسسة والعاملين فيها.

كما تنظر العديد من الدراسات إلى القيادة الأخلاقية على أنها أبعد من كونها مجموعة مفاهيم ومعارف، بل وتشمل احتراما وأخلاقا يعيشهما القائد مع ذاته ليدعم العاملين معه على تحمل المسؤولية بقلوب راضية وعقول مفتوحة، وأن يضع لنفسه ميثاقا أخلاقيا ملزما، وأن يحكم بالمنطق على الأمور، وهذا يتحقق من خلال قيادة أخلاقية تتسم بالعديد من السمات.

ومن هذا المنطلق فإن أبعاد القيادة الأخلاقية ترتسم من خلال ثلاثة مكونات تتمثل بالدرجة الأولى في الخصائص الإدارية وتركز على مجالات اتخاذ القرارات الإدارية بموضوعية، وتطبيق القوانين والنظم بعدالة وشفافية، وإدارة بأسلوب يتفق مع ظروف الموقف، وإتاحة الفرصة للمرؤوسين لتنفيذ مهامهم، وتشجيع إنجازات المرؤوسين وتحفيزهم، مع دعم العمل بروح الفريق، ثم تنبثق في الدرجة الثانية الخصائص الشخصية التي تركز على مجالات تطبيق الإنصاف والعدالة في توزيع الواجبات والأعمال مع تحري الصدق، والوفاء بالوعود المقطوعة والاعتراف بالأخطاء، ووضع نظام يكافئ الملتزم ويعاقب من ينتهك المعايير الأخلاقية، والعمل على رفع تقارير عن الأعمال بأمانة وصدق وتقبل نقد الآخرين، ثم في الدرجة الثالثة الخصائص المرتبطة بالعلاقات الإنسانية وتركز على مجالات التعامل مع الآخرين، فيجب تحري التقدير والاحترام والتواضع والاهتمام بإشباع حاجاتهم وتقديرها بشكل موضوعي ومراعاة ظروفهم ودعمهم والوقوف إلى جانبهم.

لا شك بأن الأخلاق ركيزة إسلامية أساسية لسعادة الإنسان، وهي كذلك ركيزة في العمل القيادي والإداري، إذ تقوم على أساس قوي متين راسخ وقاعدة صلبة. وكما ترتقي الأمم بالأخلاق فإن المؤسسات على مختلف نوع نشاطها تزدهر وترتقي وتتطور إذا توافرت وسادت فيها القيم والمبادئ والأخلاق، ويعد توافر السلوك الأخلاقي مكونا رئيسا في القيادة، حيث أن السلوك الأخلاقي ضروري لنجاح الفرد كقائد في المؤسسة، وأن النماذج متعددة الفاعلية التنظيمية والقيادة أكدت بأن الاهتمام بالقضايا الأخلاقية يعد أحد العناصر الأساسية للقيادة المؤثرة والفاعلة في عملية التطوير والتقدم والرفعة.

أهمية القيادة الأخلاقية تتعاظم في المؤسسات كونها تتعامل مع الإنسان وتحاول صياغة شخصيته صياغة سليمة وإيجابية

ص10 وص13 تنشران كاملتين على الموقع الإلكتروني بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الثقافية اللندنية

فنان تشكيلي مغربي يحوّل الفراغ إلى مادة واللون الأسود إلى فضاء

مصطفى النافي: التجربة محطة وليست هدفا والفنان مغامر عالمي

يندرج اسم الفنان التشكيلي المغربي مصطفى النافي ضمن قائمة الموجة الجديدة في الفن التشكيلي المعاصر، فقد زاوج بين التكوين الدراسي وانخراطه في القضايا الجمالية للفكر والثقافة، وهو كذلك مهتم وباحث في سيكولوجية رسوم الأطفال. هذه الاهتمامات المتعددة تطل عليها "العرب" في حوارها مع الفنان، الذي مثّل فرصة لإزاحة بعض الغموض عن عمله وفنه.

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

يتميز العمل التشكيلي لمصطفى النافي (مواليد 1954 بالقنيطرة)، بأنه لا يكتفي بالاشتغال بالمادة باعتبارها سطوحا ذات أحجام وأشكال، بل يشتغل أيضا بالفراغ في مفهومه الأعم الذي يتجاوز انعدام اللون والشكل والمحتوى ليدل على غياب المادة، إذ يحفز طاقة الفراغ ويسخر انحسار المادة حيث يحل اللامادي مثلما تحل الظلمة حيث ينحسر الضوء والعكس.

● **العرب:** بعد غياب طويل تقيمون اليوم معرضا برواق مينضار MINE D'art بالدار البيضاء وسابقا أقمتم معرضا بمراكش تحت عنوان "فراغ متعدد" برواق دار الشريفة بمراكش، هل يمكن القول إن مصطفى النافي استطاع إقناع القائمين على هذه المعارض بجدوى الفن باعتباره حقا في الحياة، أطرح السؤال لأنكم منعتم في أوقات سابقة من عرض لوحاتكم واعتبرتم ذلك انتهاكا لهذا الحق؟

مصطفى النافي

اهتمامي الرقي بالتشكيل المغربي ضمن الحداثة العالمية فقد أصبح متجاوزا أن نشتغل في دائرة إقليمية ضيقة

■ كل الأجناس الإبداعية لا تحيا ولا تستمر وتتطور إلا بلقائها وتواصلها مع المتلقي، عن طريق العرض واللقاء لتقديم منجزاتها وإبداعاتها وهذا حق من حقوقها لإثبات ذواتها والانخراط والمساهمة في بناء المجتمع والرقي بالذوق العام والمحافظة على الموروث الثقافي والفني محليا وكونيا. أما بخصوص عودتي إلى الساحة التشكيلية المغربية بعد غياب دام أربع سنوات فهو غياب عن العرض محليا فقط، مع العلم أن العمل بمرسمي سواء بالمغرب أو أميركا لم يعرف أي توقف أو غياب. صحيح كان هناك إقصاء وليس منعا من طرف بعض القيمين على الشأن التشكيلي بوزارة الثقافة، لكن وبعد رجوعي إلى المغرب بعد فترة بأميركا، قمت بعرض جديد لأعمالي بقاعات خاصة وليست تابعة للوزارة.

كما أن التواصل ظل قائما مع النقاد والمهتمين بالفن التشكيلي المغربي وكانوا فعلا من أسباب عودتي إلى بلادي بعد عرضي بأميركا وتجربة البندقية بإيطاليا، حيث كانت تجربة فريدة بتحويل أعمالي المنجزة من أساند خشبية إلى زجاجية.

الفن فلسفة ومغامرة

● **العرب:** نبقى في هذا المستوى ونعود إلى صيف 2018 عندما اخترتم حرق مجموعة من لوحاتكم احتجاجا على ما أسميتموه الفوضى والمحسوبية وإقصاء طال كل الفنانين الجادين، هل ضياع ذلك المجهود الفني والنفسي والبدني والمادي الذي بذلتموه لأجل إبداع تلك اللوحات، يوازن الخطوة التي قمتم بها سواء على المستوى الإنساني كفعل احتجاجي وعلى المستوى الفني بحرمان المشهد التشكيلي من تلك اللوحات التي لن تتكرر أبدا؟

■ إن عملية حرق بعض أعمالي احتجاجا على الأوضاع التي يمر منها الفن التشكيلي هي في الحقيقة أقصى عبارات الاحتجاج التي يمكن أن يقدم عليها فنان تشكيلي، وجاءت عملية الحرق بعد وقفتين احتجاجيتين أمام رواق باب الرواح وكذا وزارة الثقافة، أسبابها يعرفها كل المنتسبين إلى حقل التشكيل المغربي وأهمها الإقصاء الممنهج للفاعلين الجادين، وكذا إصدار القوانين التنظيمية لقانون الفنان.

ولقد قدمت كل المطالب وعددها 20 مطلبا لوزير الثقافة السابق لكن لا شيء تم تفعيله منها، وبالفعل فإن عملية الحرق كانت قاسية ومؤلمة لي بالدرجة الأولى ولأصدقائي النقاد والمتتبعين وكذلك التشكيليين، لأنه من الصعب أن يتخلى الفنان عن جزء أو قطعة منه.

● **العرب:** كيف تقيمون واقع التشكيل المغربي على المستوى الإبداعي وتنوع المدارس الفنية، وهل لا زلتم مقتنعين بأن هذا الفضاء الفني بالمغرب لا يزال يعاني من فوضى ومحسوبية وإقصاء تلك الفئة التي تعيش من وعلى التشكيل، وتعاني من غياب أبسط حقوقها في العيش الكريم؟ وماذا تقترحون لتجاوز هذه المعضلة؟

■ عرف الفن التشكيلي المغربي مقارنة مع بداية الخمسينات من القرن الماضي، تطورا ملحوظا من حيث الكم والكيف، مقارنة بدول لها تاريخ في هذا الباب، فلقد تضاعف عدد الفنانات والفنانين التشكيليين عدة مرات كما تضاعفت معها مجموعة من الأساليب والتقنيات، رغم قلة المعاهد المتخصصة، كما أن النقد الجمالي والمهتمين والمجمّعين عرف تطورا ومواكبة جادة لهذه التجارب الهامة والجادة.

لكن ومع غياب قوانين مؤطرة وغياب تشريعات ونصوص تنظيمية وكذا عدم انخراط وزارة الثقافة في مشروع تشكيلي جاد، تبقى الساحة التشكيلية معرضة لأنواع من الفوضى والتسلط من أشباه الفنانات والفنانين، وهذا يؤثر على تربية الذوق وتقديم أعمال بحثية جادة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ينعكس هذا الواقع سلبا على ضمان الحقوق المجاورة للفنان وتحدّ من حقه في الإبداع الجاد؛ لذلك وجب وبكل إلحاح انفتاح المسؤولين والوزارة الوصية على كل الإبداعات التي تعمل على الرفع من مستوى الفن ببلادنا، كما أن المناظرة الوطنية حول التشكيل المغربي أصبحت ملحة وضرورية: تشمل كل الفاعلين في الميدان من فنانات وفنانين ومجمعين وأرباب القاعات الخاصة.

● **العرب:** نمر إلى تجربتك الفنية، هل يمكن القول إنّ التجريب والدراسة الأكاديمية أعطيا لوحاتك ذلك التميز إلى حد المغامرة التشكيلية خارج ما هو متداول بتحويل اللوحة إلى فضاء للبوح عن صراع التضاد بين الفراغ والامتلاء، وعلى أي أساس تعتمدون في تعميق التجريب التشكيلي عندكم؟

■ أرى أن الدراسة الفنية رسمت لي الطريق الصحيح للعمل والبحث التشكيلي لكن مع مرور الوقت اتضح لي أن ما تلقيناه من أسس فنية سواء بالمعاهد أو المدارس المتخصصة يبقى غير كاف لتطوير أي تجربة في هذا المجال، بل وجب البحث المستمر وتجريب الخامات والتقنيات والتعرف على الفنون العالمية وزيارة المعارض... إلخ.

لذلك كان اشتغالي مسلحا بمحيطي ومجاورة الأجناس الإبداعية الأخرى والإطلاع على الموروث الثقافي والتعرف على المواد والأدوات المختلفة وتجريبها، ثم الاشتغال على تيمات فلسفية خصوصا أنني اخترت طريق المغامرة بالتخلي على سند القماش لأشتغل على سند صلب (الخشب) وهو ما مكنني من تقنية الحرفي المغربي بطرق اشتغاله وموادّه التقليدية، لكن بطرق حداثية وتيمات فلسفية.

التجريب والتجديد

● **العرب:** لوحاتك تعتمد على الفراغ كفضاء يحمل أكثر المعاني غموضا في لوحاتك التي يشملها اللون الأسود كلون وسلطة تتحكم في موضوعاتك، فإلى أي حدّ يعبر الفراغ والأسود وطبيعة المواد والخامات على غير المألوف تشكيليا وجماليا وإنسانيا وهل هي تنفيس عن قلق داخلي ورغبة في الانعتاق من تراكمات لن تعبر أنفاق الداخل إلا عبر اللون والفراغات؟

■ إن الفراغ عموما عرف مجموعة من التأويلات عند فلاسفة كبار أمثال: هايدغر، وبارميندس وأرسطو وغيرهم، والأشياء والإنسان والهواجس التي تحملها داخليا من خلال لوحاتك؟

■ أجيبك بكل صراحة أنه رغم أن التجربة الحالية تطلبت مني وقتا طويلا وسنوات من الاشتغال فهي تبقى في كل مرة مجرد محطة تحيلني إلى أخرى، وليست هدفا في حد ذاته، ففي كل الأجناس الإبداعية قد تكون محطات متميزة عن الأخرى لكن لا أصنفها بنجاحات لأن البحث لا يتوقف بل محكوم عليه بالاستمرار، صحيح أن عملي الحالي ينال إقبالا وإعجابا من الزوار والنقاد والمهتمين لكن في كل معرض أعتبره محطة.

● **العرب:** وارتباطا بالسؤال السابق، تعملون على مزج ما هو تشكيلي بأبعاد فكرية وفلسفية كمحاولة لتجديد الرؤى والمقاربات الجمالية للتشكيل بالمغرب تفاديا للتكرار، فهل هي مجازفة يمكن معها تحقيق مشروعكم الفني وأيضا استقلال تشكيلي ذاتي؟

■ التكرار والاجترار لا يخدم لا الفنان ولا الفن سواء التشكيلي أو غيره من الفنون، فالمبدع يتجدد باستمرار قد يتحول المبدع إلى حرفي artiste artisant، وأرى أن البحث المستمر والتجديد هما السبيل الوحيد لمواكبة ما يجري من تطور وتحولات سريعة داخل البنيات المجتمعية خصوصا مجتمعاتنا العربية.

الفن عالمي

● **العرب:** لقد تم التعريف بالفن التشكيلي المغربي على مستوى الغرب والشرق على يد المؤسسين لهذا الفن، هل تتفق معي أن الفنان التشكيلي مصطفى النافي يقع ضمن الفئة التي تعيد تعريف الهوية الفنية والجمالية والحضارية المغربية، كمدرسة تريد الرقي بالذوق البصري للمجتمع، باعتماد نوع من الحداثة من خلال تقييم المفاهيم وطرح الأسئلة؟

■ إن الفن التشكيلي المغربي كما هو متعارف عليه حاليا لا يتجاوز عمره 70 سنة، فهو في بداياته مقارنة مع بلدان أخرى لها تراكمات وتاريخ تشكيلي لمئات من السنين، صحيح قدم الغربيون الفن التشكيلي المغربي بالفلكلوري أو الساذج، لكن في منتصف الستينات من القرن الماضي ومع ظهور الطلائع الأولى من المتخرجين من المعاهد المغربية بدأت هذه الفئة تفرض نفسها وبالتالي تغيرت نظرة الغرب للتشكيل المغربي.

الفن التشكيلي المغربي عرف مقارنة مع بداية الخمسينات من القرن الماضي، تطورا ملحوظا من حيث الكم والكيف

بالنسبة إليّ وإلى الفنانين الباحثين الآخرين فنحن لا نسعى إلى خلق أسلوب أو مدرسة أو نمط فني معين، فكل من له همّ البحث التشكيلي فهو منخرط في التشكيل العالمي، على اعتبار أن الهوية التشكيلية أصبحت لا تقتصر على ثقافة أو مجتمع.

شخصيا من بين اهتماماتي هو الرقي بالتشكيل المغربي ضمن الحداثة التي يعرفها العالم، لقد أصبح متجاوزا أن نشتغل في دائرة إقليمية ضيقة، البحث يجب أن يسير ما يعرفه العالم من تطورات ورؤى معاصرة؛ الفن الكوني إن صح التعبير.

● **العرب:** من خلال تراكم تجربتكم في التعبير الفني تشكيليا، هل التوجه الفولكلوري باسم الهوية والثقافة الوطنية يمكن أن يخنق تعبيرات تبسط فكرتها وألوانها بعيدا عن أي تصنيف لا يخدم هذا الفن في بعده الحضاري والهوياتي، وهل تمكين الطلبة في الدراسة العليا في المجال الفني خصوصا في مسلك الماستر والدكتوراه قد يعزز الاستقلالية الذاتية والابتعاد عن التنميط، خصوصا وأنتم تعرفون جيدا أن النهوض بالفن التشكيلي لا بد له من مواكبة فلسفية وجمالية للطالب، وأيضا تعميق التصورات البصرية لهؤلاء بما ينتجه الصانع التقليدي والمهندس المعماري من أشكال وإبداعات؟

■ كما سبقت الإشارة ظهور الفنون التشكيلية بالمغرب (الفنون التشكيلية على الحامل) l'art du chevalet هي حديثة العهد، لكن في السنوات الأخيرة عرفت الساحة التشكيلية تطورا ملحوظا، سواء من طرف الفنانين الذين استشعروا ضرورة مواكبة الفنون العالمية، وذلك عن طريق البحث وتطوير أساليب الاشتغال والتيمات، كما أن السنوات الأخيرة عرفت انفتاح الجامعة المغربية على الفنون التشكيلية بخلق مسالك وشعب فنية؛ مما سيمكن الطلبة من إنجاز بحوث ودراسات قد تساهم في تربية الذوق والرقي بالتشكيل بصفة عامة.

الاشتغال على تيمات فلسفية

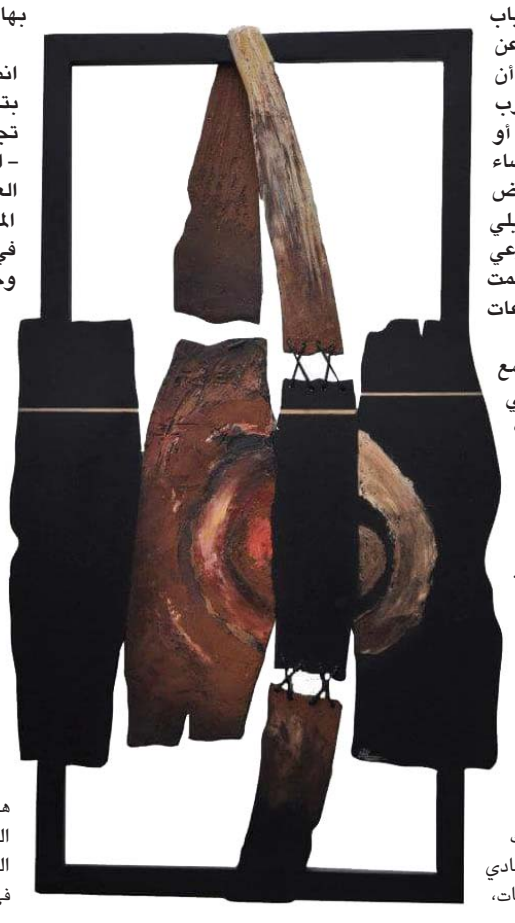

العرب
الأحد 2022/01/23
السنة 44 العدد 12306

كاتبان أرجنتيني وفلسطيني - لبناني يعيدان كتابة رواية «الأمير الصغير»

الروايتان الجديدتان رسائل لأمير صغير تمتد من الطفولة إلى الشيخوخة

فكـرة تأثير النصوص السـابقة في النصوص اللاحقـة قديمة، ومع هذا فلا تـزال تطرح على مائدة البحث والمناقشـة فـي كل حديث يتطرق إلى النظرية الأدبية واشـتغالاتها، وقد وصل هاجـس التأثير عند البعض إلى نفـي نقاء الأنواع، وقد عالج النقاد منذ قدم النظرية الأدبية فكرة التفاعلات والتداخلات بين النصوص وصاغوا مفاهيم متعددة تشـير إلى دلالتها، من مثل: التناص والحوارية والتفاعل والميتا نص وغيرها.

ممدوح فراج النابي
كاتب مصري

نظـر الكثيـر مـن النقـاد إلـى تأثير النصوص السـابقة، ولفتـوا إلى جانبه الإيجابي باعتبار أن عملية التفاعل تكشف عن ثـراء النوع وانفتاحـه، وهو ما منح النص الصِّفـة الإنتاجيّـة، ولكن مع هذه التفاعـلات يبقى النـص الممركز يحتفظ بقيادة المعنى أو ريادته دون سواه، وإزاء هـذه العلاقات المتشـابكة/ المتداخلة بين النصوص الأصليـة والنصوص الوليدة، أو بتعبيـر لوران جيني بـين النصوص الشـرعيّة والأخرى غير الشرعيّة، توالدت على حدود النوع نصوص جديدة تتشعب وتتفـرَّع عـن النـص الممركز، تبـدأ من التقليد إلى المحاكاة الساخرة، فالاقتباس، فالمونتاج، فالانتحال وغيرها من أشـكال التفاعل.

عمليـة التداخل بين النص السـابق مـع اللاحق تشـير أولا إلى ثـراء النص السـابق الذي أثّر بقوة في النص اللاحق الذي يريد أن يكون مسـتقلا وليس تابعًا للنـص السـابق، بمحاولة المبـدع تغيير النماذج كنوع من قتل شـبح الأب بالمعنى الأوديبـي، فالنـص اللاحـق كمـا حدد جينيت له دوافعه الشـخصية التي تدفع بصاحبه إلى هـذه العملية، وقد لا توجد في النص الشرعي/ النص الرئيس.

> الروابط بين الأعمال الثلاثة لا تكمُن في حضور شخصية الأمير في مراحل عمرية مختلفة وإنما في فلسفة الحكاية

ويأخـذ التفاعل النصـي عند جيرار جينيت شـكلاً أكثر تفصيلاً وتحديدًا في الوقـت ذاته، فهـو يقترح خمسـة أنواع مـن العلاقـات يرتبهـا في بنـاء صاعد، حسـب علاقـة ودرجـة حضـور النص اللاحق بالنـص السـابق، ولا يهمنا من هذه العلاقات سوى العلاقة الرابعة التي يسميها بالعلاقة الهيبر نصية أو النصية المتفرعة (المتشعبة)، ويعرفها بأنها علاقة تجمع نصا لاحقا (متفرعا أو متسعا) مع نص سـابق (أصل أو منحسـر)، وهو ما يعني حدوث نوع مـن التماهي الحاصل بين نصين، إما بواسـطة تحويل وتغيير نص سـابق عبـر نص بديـل أو الاكتفاء بتقليـد نص لنص سـابق. ويدخل تحت دائـرة هذا النـوع كل أنـواع المعارضات والمحاكاة الساخرة.

أهـم إشـكالية تواجـه الناقـد وهو يتفحص التفاعـل النصي بين النصوص هي مسـألة الحدود، حـدود نصه (النص اللاحـق - غير الشـرعي) مـع نصوص غيره (النص السابق - الشرعي) من جهة، وحدود النص الإبداعي مع النص النقدي مـن جهـة ثانيـة، إضافة إلى تسـاؤلات تتعلق بأسباب هذا الاستدعاء أو التماهي وكيفيته.

على مدار تاريخ الأدب تعددت محاولة الكُتّـاب على اختـلاف ثقافاتهم ولغاتهم لاستعادة أعمال سـابقة كنوع من القص الشـارح، أو كتابة "متخيل على متخيل"، وقد أخـذت الاسـتعادة أشـكالاً متعدِّدة بعضهـا حرفـي والبعض الآخـر جزئي، أي باسـتعادة شـخصية من شخصيات العمل واسـتثمارها فـي بناء عمل جديـد يتوازى ويتقاطـع مع تيمة العمل السـابق، ولكن في سـياق مختلف عن السياق الذي جرت فيه أحداث الحكاية الأولى وبتفاصيل تتناسـب مع الواقـع الحالي وهو المغزى من عملية الاستدعاء.

ومن هذه الأعمال التي تَناسـل معهـا الروائيون، روايـة "الأمير الصغيـر" لأنطـوان دو سـانت إكزوبيـري التـي ألفها عـام 1943 كإدانـة لواقـع أفجعه مـن جرائم ومآسـي الحرب العالميـة الثانية، ومـا سـببته مـن قتل للمشـاعر وتخريب للقيم الإنسانية. الرواية التـي حظيت بمقروئية كبيرة على مختلف اللغات التي ترجمـت إليها (أكثر من 280 لغـة)، كانت تعـزف على عوالـم البراءة والنقـاء والفطرة في انتقاد تام للشـرور التي حاقت بالإنسـانية بسـبب الأنانية والأطماع وغيرهـا، ومن ثم جعل أنطوان مـن روايتـه أنشـودة للسـلام والمحبة والبساطة.

فلئن كان الخيـال جعل الطفل يتخيّل الخـروف داخـل الصندوق، فإنـه أيضًا هـو الذي ألهـم الكتـاب أن يسـتعيدوا هذا الأمير من جديد فـي مرويات عربية وعالمية، كثيرون حاولـوا تخيُّل ماذا كان سـيحل بالطفل الصغير لو اسـتمر على كوكبنا وكيف سـتكون مراهقتـه وكذلك شـيخوخته، هل القيم التي سعى لغرزها في رحلته الاستكشافية سيكون لها وجود بعـد ما حلّ بالعالم من متغيرات تفوق ما حلّ به من جراء نكبات الحرب العالمية؟

عودة الأمير

الاستعاده الأولى قام بها الأرجنتيني أليخانـدرو غييرمو رومرس تحت عنوان "عودة الأمير الشاب" (الأهلية للنشر 2021، ترجمـة نهى أبوعرقوب)، أما الاسـتعاده الثانيـة فكانـت من نصيب الفلسـطيني - اللبنانـي نبيـل أبوحمد تحـت عنوان "شيخوخة الأمير الصغير" (الدار العربية للعلوم، ناشرون 2021)، وفي الاستعادتين تمّت الاسـتعانة برسـوم توضيحيّة على نحـو ما فعـل إكزوبيري بنفسـه، وكذلك نبيل أبوحمد، أما أليخاندرو فقد استعان بصديقته لوري هاسـتينغز لتقديم رسوم تتلاءم مع طبيعة الشاب ورحلته مع رفيقه فـي الطريق منذ أن عثر عليه على جانبي الطريق.

السـؤال الـذي يتبـادر إلـى قـارئ النصـين: مـا هـي دوافـع العـودة عند الأرجنتيني والفلسطيني - اللبناني؟ ويا ترى مـاذا رأى الأمير الصغير في رحلتي الشباب والشيخوخة؟ وهل ندم على العودة بعدمـا تغيّـر ما تغيّـر، وقد فـارق عالم البراءة والفطرة الذي كان ينشده؟

يجب أن نعترف أن إكزوبيري نفسـه قد هيّأ لهذه العودة، بل حرّض عليها، فهو لم ينازعه شك في عودة أميره الصغير في زمـن غير زمنه، وكأنـه كان يبصر الغيب لحظتها، وقـد تماثل إيمانـه بعودته مع إيمـان بينيلوبي زوجة البطـل الإغريقي أوديسـيوس في الأوديسـة وهي تغزل، بعـودة زوجها مـن الحرب التـي طالت عشـرات من السـنين، لذا نراه في نهاية نصه، وهو يتسـاءل عن مصيره وماذا آل به هكذا: ماذا وقع على كوكبه؟

ومن فرط شـغفه بمعرفة ما سـيكون عليـه مصير هذا الأمير ينفتح خياله على احتمالات عدّة من قبيل "قد يكون الخروف أكل الزهرة!"، ثم ينفي هذا الاحتمال قائلاً "بالتأكيـد لا! إن الأمير الصغيـر يُحكم إغـلاق الغطاء الزجاجي علـى زهرته كل ليلة، ويراقب خروفـه جيدًا". ومرة ثانية يفـرط أكثر من المتوقع في الخيال، ويقول محدثًا نفسـه "قد يحدث أن نسـهو مرة، ويكون هذا كافيا! قد ينسـى ذات مسـاء وضـع الغطـاء الزجاجـي أو قـد يخرج الخـروف ليـلاً مـن دون ضجيـج (...) فتتحـوّل كل الجلاجل إلى بـكاء" (الأمير الصغير: ص 95). ومع فشـله في العثور علـى تخيّل لمصير الطفل، إلا أنه يأمل في العثور عليه، لذلك يمد القراء بمواصفاته بعـد أن يطلب منهـم أن ينتظـروا قليلا تحت النجمـة "فإذا ما قصدكم طفل، وإذا بـدا ضاحكًا، وكان شـعره بلون الذهب"، وعندما يعثرون عليـه، ينصحهم "كونوا إذن لطفـاء! ولا تتركوني في غابة الحزن (...) اكتبوا لي بسـرعة بأنه رجع" (الأمير الصغير ص 96).

جـاءت العـودة علـى نحو مـا آمل إكزوبيـري، ولكـن جاءت في مـكان غير الصحراء الأفريقية التي التقاه فيها ربان الطائرة صدفة، وتجوّل معه، فالتقاه بطل أليخاندرو فـي قارعة الطريق أثناء رحلة سـفره إلى باتاغونيا، أمـا نبيل أبوحمد فجعل العودة عكسية، حيث رائد الفضاء الذي تتعطل سـفينته، يصعد إلى كوكبه بعد حادثة الاصطدام، في مقارنة بين عالم الأرض الـذي ينتمي إليه رائـد الفضاء، والكويكب الصغير الذي يعيش فيه الأمير وقد صار شيخًا.

الفلسفة العميقة

الروابـط بـين الأعمـال الثلاثـة لا تكمُـن في حضـور شـخصية الأمير على اختـلاف المرحلـة العمريـة التـي ينتمي إليها (طفلا، شـابا، شـيخًا) وفقط، وإنما تكمـن فـي الفلسـفة التي سـعى الأمير الصغير لتمريرها فـي النص الأول أثناء تجوالاتـه في الكواكـب المختلفة مع ربان الطائرة، فالفلسـفة هي المصدر الأساسي للحكايـة. الاختـلاف المهـم أن بـين عالم طفل إكزوبيري وعالمي الشـاب والشـيخ فـي ما بعد، أن البسـاطة والبراءة اللتين نشـدهما إكزوبيـري في روايتـه الأصل "الأميـر الصغير" لم يعد لهمـا وجود في خضم هذه الحيـاة المتلاطمـة واللاهثة، وما يميزهـا من عوالم تكنولوجية أذهلت الأميـر عندمـا عاد فـي رحلته مـع نبيل أبوحمد (شيخوخة الأمير الصغير).

من الاختلافات بين النصوص أن نبيل أبوحمـد جعل الطيار رائـد فضاء يصعد إلـى الفضـاء فـي مهمة إصـلاح مرصد على كوكـب القمر، رحلة عكسـية للأمير الصغير الـذي نزل من كوكبه إلى الأرض، والتقى الطيار في الصحراء الذي تعطلت طائرته، ومثلمـا تعطلت طائـرة الطيار، تصطـدم سـفينة الفضاء بجسـم صُلب، وكادت المركبـة أن تتعـرض للخطـر لولا أنها انجذبت إلى الكوكـب الصغير الذي عرفـه لنا من قبل إكزوبيـري بأنه "كوكب لا يزيـد حجمه عن حجم بيت عادي يُدعى 'النجيمـة ب - 602'"، هناك يلتقي بالأمير، ولكن بعد أن صار كهلاً الغريب أنه ما زال مهتمًا بكوكب الأرض، حيث يقوم بتدريس طلابه كل ما هو متعلّق بهذا الكوكب الذي نزل إليه وهو صغير.

وفـي نـص الأرجنتينـي كان سـبب نزول الأمير الشـاب إلى كوكب الأرض هو البحث عـن الطيار بعدما رآه في حلم وقد ركبا معًا الطائـرة، يُحلّقان على منخفض ورأيا الغزلان والخيـول والماعز والأرانب والثعالـب تركـض حـرة، كمـا شـاهدا سـمكات السـلمون المرقط، ونـزلا بعدها إلـى الأرض فوق تلّة مكسـوة بالعشـب، وهنـاك اصطحبه الطيار إلى سـفح التلة حيث قطيـع من الأغنـام البيضاء يترعى مع حملانها، وقال له الطيار "إنها لك، لقد ربيتهـا لك"، وعندمـا أراد معانقة صديقه الطيار، استيقظ وحيدًا على كوكبه المظلم الصامـت وعـاد إلـى الأرض بحثًـا عن الربـان الذي أوهمـه أو خدعه كما أوحت له العشـبة، وأخبرتـه بأنـه لا يوجد في الصندوق خروف، فكانت عودته بحثًا عن الحقيقة الغائبة عنه.

ومـن الاختلافـات بـين النصوص أن مدة إقامـة الأمير على كوكب الأرض كانت ثمانيـة أيام، في حـين كانـت إقامة رائد الفضاء في كوكب الأمير الذي صار شيخًا الذي اسمه "مونو صانيتو" هي ثلاثة أيام على نحو ما فعـل الأرجنتيني أيضًا، وإن كان الأرجنتيني جعل فضاء الرحلة الأرض وبالسيارة.

فلسـفة أكزوبيـري التـي مررها عبر حوارات الطفل الصغير مع الطيار تتجاوز بسـاطة الرواية التي تسرد حكاية الطيار الذي تعطلت طائرته في الصحراء، وفيها يقتـرب منه طفـل صغير هبـط هو الآخر من كوكب صغير إلـى الأرض، يأخذه إلى عوالم أخرى عبر أسـئلته البسـيطة التي تدهـش الطيار، وعبـر رحلة اسـتغرقت ثمانية أيـام يتجول الطيار مع الطفل عبر الكويكبات في محاولة لاستكشـافها. فهو يضمر احترامًا لعالم الأشـياء الصغيرة، حتى أنه يعتقد أن العالم بإمكانه أن يختل توازنـه إذا ما أكل خـروف زهرة في مكان مجهـول من الكوكـب، وبالمثـل الزهرة لا تكف عن إنتاج أشـواكها مـع أنها تعرف أنها لا تحميها، فقيمـة الحياة في العمل، وإن الألـم جزء من الحيـاة، ومن ثمّ يجب ألا نقف عنده.

لكن أهـم درس منحته لنا الحكاية هو نهـم التعلم والمعرفـة؛ فرحلـة الطفل مع الطيار كان الغرض منها الاكتشـاف الذي هـو بدايـة المعرفة، ثم جاء الـدرس الأهم المتمثـل فـي تعزيـز ملكة الخيـال، وهي تلك التـي منحت الطفـل إمكانية العيش على الكوكب وهـو يتطلع إلى النجوم في السماء، أو متخيلاً أنه يقود الخروف، بدءًا من تخيله أن ثمة خروفًا داخل الصندوق، فالخيال هو رديف الأمل، وهو ما اسـتغله نبيـل أبوحمـد فـي الثورة التكنولوجيـة التـي ميزت كوكب الأميـر، فلولا الخيال والعلم ما تحقق منها شيئًا.

وكأن إكزوبيـري يريـد أن يقول لنـا ما دمت تعيش فعليـك بالأمـل، فالأمـل هو وقود الحياة، والذي يجعلك تتشـبث بديمومتهـا، فلولا الأمـل لتوقفـت الحيـاة. هكـذا بـكل بسـاطة طـرح إكزوبيري فلسـفته العبقرية فـي روايـة كتبهـا للصغار فإذا هـي تسـتهوي الكبار والصغـار، لأنهـا لمسـت دواخلهـم وأحاسيسـهم ونقـاط ضعفهم التي يتغاضون عنها، فكان الطفل/ الأمير الصغيـر بمثابـة الناقوس الـذي جعلنا نلتفت إلى داخلنا.

الأمير الشّاب

نظرًا إلى حالـة الانعزال التي قضاها الأمير في كوكبه، تضاءلـت معرفته، ومن ثـمّ كانت الرحلـة مرة ثانيـة إلى الأرض كي يسـتكمل ما جهل بسـبب هذه العزلة التي لم تكسـبه إلا مزيدا من التوقع وعدم الإدراك، فكانت المواجهة بينه وبين العشبة التي كانت بالنسـبة إليه بمثابة الضمير، أو المطرقـة (لو اسـتعرنا تعبير نيتشـه) التي جعلته يلتفت إلى ذاته، ومع الأسـف كاد يكرّر الخطـأ بالبحث عن الطيار الذي أوعزت له العشـبة أنـه خدعه، بأن أوهمه بـأن داخل الصنـدوق خروفًـا، على غير الواقع، حتى يلتقي برفيق الطريق المسافر الذي كشـف عـن فلسـفة عميقـة أراد أن يمررها للأمير الشاب الذي جاء من كوكبه وقـد حدثت متغيـرات كثيـرة، أهمها أن الطيار الذي صاغ فلسفته وغزا تصوراته بالخيـالات قديمًـا، قـد رحـل فـي رحلة مأساويّة، غادر دون أن يعرف أحد إلى أين ذهـب، في تحقّق لنبوءته فـي الرواية عن مصير الأمير الصغير.

اسـتغرقت الرحلة ثلاثة أيّام لوصول الرفيق إلى المدينـة (باتاغونيا) كي يلتقي أصدقـاءه، وقد واكبـت الرحلة مصادفات كان لهـا بالغ الأثر فـي تغيير فكر الرفيق، ثلاثة مواقف كان من شأنها أن تقلب حياة الرفيق رأسًـا على عقب، خاصّة تصوراته للناس. وهو ما يشـير إلـى أن الحكمة ما زالـت ترافق الأمير علـى الرغم من دخوله طور الشـباب. كانت الدهشة المعلم البارز في شـخصية الأمير الشاب طوال الرحلة، فمـا إن اسـتجمع قواه بعـد التعب الذي كان باديـا عليه اطردت أسـئلته هكذا: ما هذه الآلة الغريبة التي نسـافر فيها؟ وأين جناحها؟ كشـفت أسئلته عن حالة البراءة التـي كان عليهـا مـن قبل طفـلاً، فهو لم يعرف مثلا السـيارة ولا الطريـق، وماذا سـيحدث لو خرجت السـيارة عن الطريق الذي تسير عليه؟ وهل هناك طرقات كثيرة في الأرض؟ ماذا تعني كلمة مشكلة؟

رويدا رويدا بدأت تتكشـف عوالم هذا المجهـول، فبداية هو قـادم من مكان ليس فيه طرقات، يهتدون بالنجوم، ثم يكشـف عـن محاولاتـه كـي يصـل إلـى الأرض، ومناورته لحل هذه المشكلة بأن اضطر إلى تقسيم المسافة والتوقف في سبع محطات مـن كويكبـات مختلفـة. وكان الغـرض من هـذه التفصيلة مـا أراد أن يمرره من كيفية حل المشـكلات، وأن على الإنسان أن يكتشف مفاتيحه بنفسه.

ثم راح يستعرض مشاهداته في رحلته، وما تخللها من فلسفة لم تبعد عن تلك التي اتسـم بها الأمير الصغير، فهو إلى الآن لا يعي لماذا يشرب الإنسان لينسى، فالأجدى عنده أن يواجه الإنسان الحقيقة، وعندها سيعرف الإنسان نفسـه، فمعرفة الحقيقة وسـيلة لمعرفة الإنسـان لنفسـه. ويعمم هذا بقولـه إن دخول الإنسـان في صراع مع آخريـن مختلفين عنه: جيـران، أقارب أشرار، ورؤسـاء في العمل، ظلم المجتمع، فـي حقيقـة الأمـر هو صـراع مـع ذاته، والنتيجـة أن الصـراع ينتهي إلى هزيمة هـذا الشـخص، والحكيـم هو مـن يحيا فـي تناغم مـع كل ما هو موجـود. وعلى الإنسان قبل أن يسعى لتغيير أي شيء في العالـم نحو الأفضل، عليـه أولا أن يغيّره في نفسه. ويسوق العديد من الأمثلة، فإذا نظرت في المـرآة ووجدت وجهًا عابسًـا، فيجب أن تبتسـم، عندئذ تتغير الصّورة، والأمر كذلك بالنسبة إلى الجار العدوانيّ، فيجب أن تكون أنت ودودًا أولاً، وهلم جرّا، وفـي النهاية يخلص إلى حكمة مفادها أن ثمـة طريقة واحدة لتغيير العالم، ألا وهي أن تبدأ بنفسك.

اللافـت أن الأمير ليـس وحده هو من يتمتع بفلسـفة، فأيضًا الـراوي أو رفيق الرحلة، فالراوي لديـه الكثير من وجهات النظـر في الحياة، فكمـا يقول "أن تعيش يعنـي أن تتعلّم، وأحيانًا يكـون ما مرّ به الإنسان من ألم ومرض أعظم ثروة روحيّة يحصـل عليهـا، فيجب أن نكـون ممتنين للحيـاة التـي أتاحت للإنسـان أن يطوّر ذاته، بل يـرى إمكانية تغيير القدر، وعلى الإنسـان أن يـزرع النقاء عندها سـيغدو شـفافًا"، ويسـتمر في طرح فلسفته هكذا "تخيّل نفسك سـخيًا وسوف تُغني بيئتك، تجدّد فـإذا بنضارتك تطفـئ الظمأ أينما حللـت، ثِقْ بمُثلك وسـوف تلهم الآخرين، ع كينونتك وسـوف تُوقظ الآخرين، اتخذ هَدفًا لعيشـك وسـوف تُحقق ما جئت من أجله".

عـاد الأمير وقد فقد الصديق الذي كان يجعل النجوم تبتسم، والخروف الذي كان يرافقه في المسـاءات، والزهرة التي كانت تمـلأ حياته بهجة بحيلهـا وجمالها، كما أنـه لن يرى العشـبة التي كانـت حاميته وناصحته، كما فقد كوكبه الصغير بسبب ثوران البراكـين، هكذا عاد أعزل، لا مهرب له إلا البقاء، فالعودة مستحيلة.

> المؤلف يرى أن زمن العزلة لا ينتج فلسفة بل أعظم الفلسفات خلودا تأتي من تجارب البشر والاحتكاك بمشاكلهم

تبدو فلسفة الرفيق أعمق بكثير، وكأن المؤلف يقول إن زمـن العزلة لن تنتج عنه فلسـفة، بل أعظم الفلسـفات خلودًا تأتي من تجارب البشـر والاحتكاك بمشـاكلهم والتعـرض للمفاجآت عندها نسـتخلص العبـر والعظات للآخرين، وهـذا ما فعله الرفيق قائد السـيارة للأمير الشاب الذي كان دومًـا في موضع طرح الأسـئلة، فإذا كان الأمير الشـاب يائسًـا مـن فقدانه كل شيء، وبمعنى أدق يائسًا من فقدان متعة العيش وسـعادته الخاصة، فـإن الرفيق يرشده بألا يحزن فهذا ليس نهاية العالم، فيكفي مـا يمتلكه مـن رغبة فـي التغلب عليها، الدرس الذي يستخلصه الرفيق هو القـدرة على المواجهة، فالأميـر تخلى عن الأمان الظاهري بحثا عن الحل، فالإنسـان إذا ركـن في مـكان لن يجد السـبيل لحل مشـاكله، ويستلهم من رحلة الأمير أنه مع المشـقة والإنهاك اللذين بديا عليه، إلا أنه وصل إلى مكان قاده إلى وسـيط/ شخص استطاع أن يقوده. دوما لدينا ما بوسعنا فعله، حتى لو كنا أنفسنا لا نُصدّق ذلك.

الأمير الصغير شخصية تطرح أهم الأفكار الفلسفية

ستانسلافسكي سر نجاح الدراما السورية

من المسرح خرج رواد الدراما من الممثلين الكبار

يعتقد البعض أن نجاح الدراما السورية متعلق فقط بجودة النص والإخراج أو ربما بكياسة اللهجة السورية وعذوبتها، قليلون فقط يتوقفون ويلتفتون إلى مهارة الممثل السوري وتمكّنه من أدواته التي هي بشكل أو بآخر سبب نجاح الدراما السورية وانتشارها. وفي جردة سريعة لرواد الدراما السورية سنكتشف أن أصولهم جميعا مسرحية سواء كخرّيجين من المعهد العالي للفنون المسرحية أو من المسرح الجامعي، وأن معظمهم قد تتلمذ على يد نفس الأستاذ أو على يد تلامذته، فمن هو ذلك الأستاذ وما هو ذلك المنهج الذي كان السبب في نجاحهم؟

لمى طيارة
كاتبة سورية

حين افتتح المعهد العالي للفنون المسرحية في دمشق عام 1977 كان من أوائل الأساتذة الذين أشرفوا عليه الأستاذ فواز الساجر الملقب بـ"أبوستانسلافسكي" (1948 – 1988)، والذي كان بدوره أحد طلاب يوري زافانسكي تلميذ ستانسلافسكي وصاحب أهم مدرسة مسرحية عالمية وأحد وجوه المسرح السوفييتي.

كان الساجر عائدا حينها بإجازة في الإخراج من الاتحاد السوفييتي وتعاون مع الأستاذ أسعد فضة المجاز من القاهرة لتخريج الدفعة الأولى من طلاب المعهد التي ضمت 26 ممثلا هم اليوم رواد الدراما السورية من أمثال جمال سليمان وأيمن زيدان وفايز قزق وغيرهم.

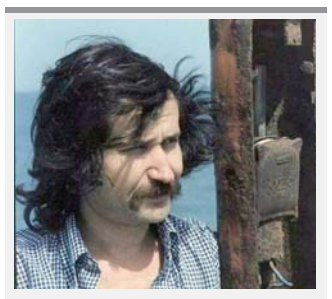

فواز الساجر تتلمذ على يديه الجيل الأول من رواد المسرح وبالتالي الدراما وفْق منهاج ستانسلافسكي

لاحقا وربما بشكل متزامن إلى حد ما وصلت إلى المعهد دفعة من الخريجين، بعضهم مجاز في التمثيل والبعض الآخر في الإخراج وكلهم تقريبا قادمون من دول المعسكر الاشتراكي بلغاريا والاتحاد السوفييتي، نذكر منهم وليد قوتلي وحسن عويتي ونائلة الأطرش وجواد الأسدي ومانويل جيجي وغيرهم، مما يعني أن جيلاً كاملاً من أساتذة المعهد الأوائل كان قد تأسس أيضا على منهج ستانسلافسكي الذي ظل لسنوات المنافس للكثير من المناهج الأوروبية التي ظهرت بعده سواء في ألمانيا أو في فرنسا.

فمن هو ستانسلافسكي ولماذا الحديث عنه مهم حتى يومنا هذا؟

منهج ستانسلافكسي

استحوذ رواد المسرح في الاتحاد السوفييتي السابق وخاصة ستانسلافسكي في منهجيه (التمثيل والإخراج) على اهتمام معاهد المسارح العربية والأجنبية، كما تأثرت به مؤسسات فنية في كل من أوروبا وأميركا وخصصت بعض المعاهد جزءا من تدريسها لتقنيات منهجه وطريقة تطويرها وخاصة في مجال "ستوديو الممثل"، خصوصا في أميركا على يد كل من إيليا كازان ولي ستراسبورغ، إلى جانب العديد من الفرق المسرحية في العالم.

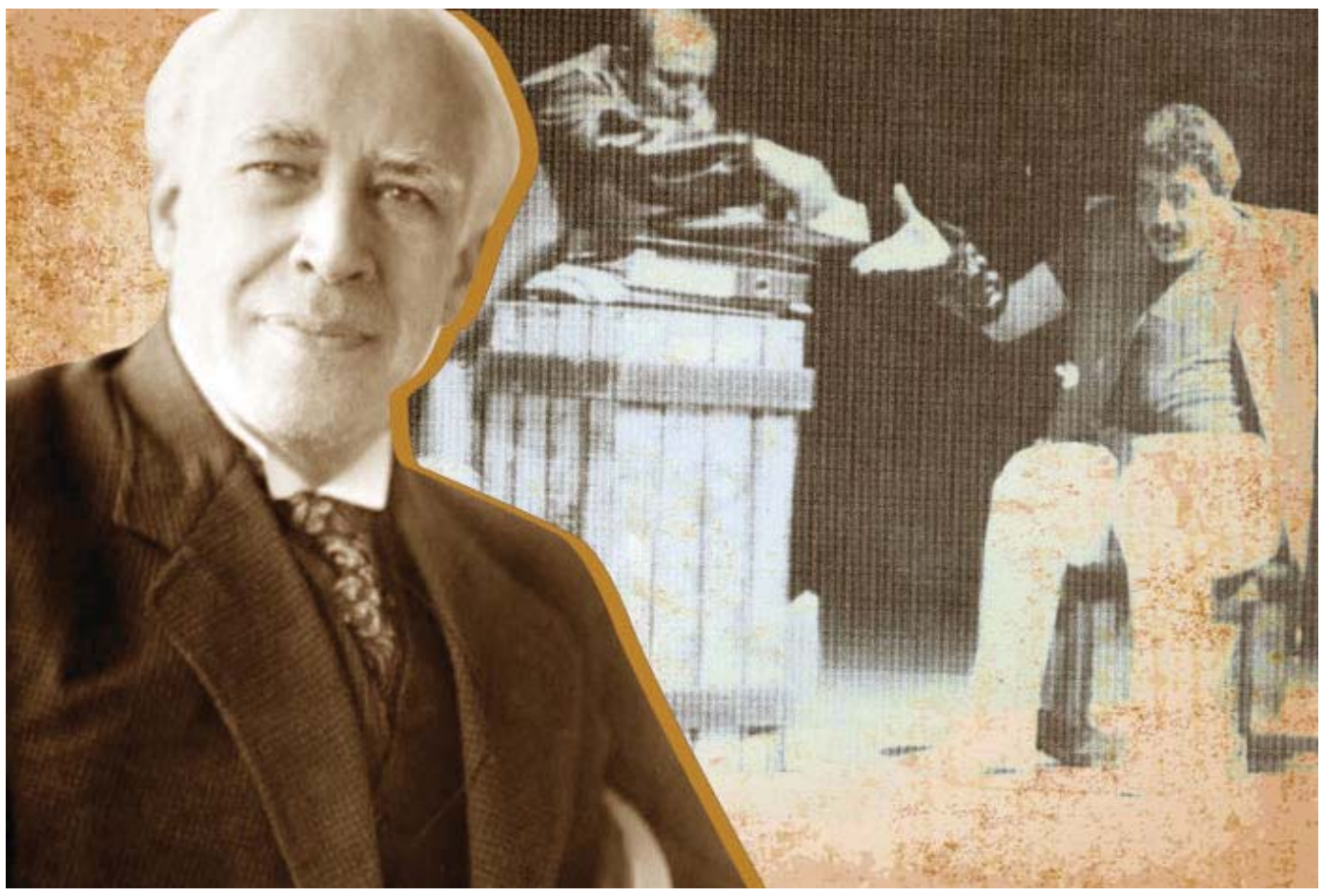

ستانسلافسكي كان وراء تكوين الممثلين السوريين

وكان كونستاتين ستانسلافسكي (1863 – 1938) قد ترك لنا إرثا عظيماً حول تجربته الشخصية في إعداد الممثل، ففي كتابه "إعداد الممثل في المعاناة الإبداعية" الذي ترجمه شريف شاكر وصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، حاول تدوين ملاحظاته الشخصية حول معهد الدراما الذي تخيله وسجل تلك الملاحظات على شكل دفتر مذكرات نظمه الطالب نازفانوف، واحتوى الكتاب على مجموعة كبيرة من الملاحظات التي يجب أن يتحلى بها الممثل ليصبح جاهزاً لعروض الخشبة.

وكان الساجر خلال السنوات الأربع الأولى من فترة تدريسه في المعهد يقوم بمجموعة من التدريبات مع طلبته مطبقا منهج ستانسلافسكي، واكتشف أهمية ذلك المنهج في تطوير المدرسة المسرحية العربية وتحصل لاحقا على شهادة الدكتوراه عن أطروحته "منهج ستانسلافسكي وتطوير المدرسة المسرحية العربية"، ورغم أن ذلك المنهج لم يعتمد كمادة تدريسية بشكل رسمي في المعهد إلا أنه كان ينتقل من أستاذ إلى آخر بالتأثير والاقتناع من خلال التجربة العملية.

لم يكتف الساجر بكونه أستاذا في المعهد العالي للفنون المسرحية، بل كان أيضا صاحب الأيادي البيضاء على بعض النجوم الذين تعاون معهم من مسرح الجامعة، أمثال الفنانين رشيد عساف وسلوم حداد وعباس النوري وبسام كوسا وغيرهم، بمعنى أن الجيل الأول من روّاد المسرح وبالتالي الدراما قد تتلمذ على يديه وفق منهاج إعداد الممثل الخاص بستانسلافسكي.

في مقدمة رسالة الدكتوراه التي أعدها يستشهد الساجر بكنييل التي ترى في منهج ستانسلافسكي "ليس مجرد نظرية علمية لفن التمثيل تكشف أمامنا القوانين الموضوعية للكلام المسرحي فحسب، بل هو أيضا نظام جوهره أن الكلام المسرحي هو الفعل الرئيسي، لذا فهو يخلق سلسلة منسجمة من الأساليب والمهارات التربوية التي تجعل الممثل يمتلك بوعي كلمة الكاتب فيجعلها فعالة ومؤثرة وموجهة إلى هدف أو غاية وممتلئة بالحياة" (كنييل أو كلمة في إبداع الممثل، الطبعة الثالثة، موسكو: 1970، ص 9).

فالساجر كان يرى أن الاهتمام الرئيسي في معاهدنا المسرحية العربية "كان ينصبّ على المقررات النظرية (تاريخ المسرح، والكتابة المسرحية، وعلم الجمال، وعلم النفس، واللغات الأجنبية وما شابه ذلك) وذلك على حساب المقررات المتخصصة المتعلقة بإعداد الممثل جسديا (الحركات المسرحية والرقص والإيماء والمبارزة)، في حين أن الدروس المتعلقة بفن التمثيل والكلام المسرحي تزاح إلى المرتبة الثانية من حيث الساعات المخصصة لها، أضف إلى ذلك أن هذه المادة الرئيسية تقسم في معظم الأحيان على عدد من المدرسين يتناوبون على تدريسها للطلاب في فترات زمنية معينة، الأمر الذي يؤثر سلباً في إعداد الفنان الذي لا يتلقى أساساً منهجاً موحداً" (الساجر، فواز، ستانسلافسكي والمسرح العربي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1964، ص117).

كما أن الممثل في المسرح العربي عموماً يواجه مشكلة أساسية وحقيقية ترتبط بمسألة الازدواجية اللغوية الناجمة عن الاختلاف بين اللغة الأدبية -لغة النص- وبين اللهجات المحلية، الأمر الذي يضع بينه وبين اللغة حاجزا نفسيا وخاصة حين الرغبة في التعبير فتعجز لغته عن التعبير عنه وتعيق بشكل كبير عملية إعداده كممثل وتؤثر سلباً على إبداعاته المسرحية، لذلك يرى الساجر أن حل هذه القضية أو العقدة يكمن في استخدام منهج ستانسلافسكي الذي يهتم بالتواصل والتكييف.

ولحل تلك النقطة بالذات استخدم الساجر طريقة التحليل بالأفعال في الظروف المحلية، ووجد أن عليه أن يرتبط ارتباطا تنظيميا أكثر عمقا والتصاقا بتدريس مقرر اللغة العربية (قواعد النحو والمعاني وقواعد اللفظ)، لأن معرفة اللغة معرفة جيدة تشكل عنصرا أساسيا في إبداع الممثل، "يجب أن يعرف الممثل لغته معرفة تامة، فما نفع المعاناة إذا كان التعبير عنها سيتم بلغة رديئة على المنصة" (ستانسلافسكي ك. س. المؤلفات في ثماني مجلدات، موسكو، إيسكوستفو، 1954 – 1966).

وكان الساجر كما ذكرنا سابقاً قد استشهد في رسالته بمجموعة من التدريبات التي كان يجريها على طلبته في كل عام دراسي بدءاً من السنة الأولى، فيجعل المتدرب يتماهى مع اللغة مهما كان شكلها أدبياً أو شعرياً أو عامياً، بحيث تصبح الشخصية جزءاً منه، وهو التدريب ذاته الذي جعل الممثلين السوريين ينجحون في أداء الأدوار التاريخية بشكل كبير.

كما ركز الساجر على فن الإلقاء، مشيراً إلى أن إعداد الممثل قبل ستانسلافسكي لم يكن ليعطي هذا الفن أهميته، فثمة الكثير من المخرجين العرب يتبعون الأسلوب التقليدي في إعداد النص، وتوجيه الممثلين في بروفات الطاولة نحو لغة صوتية محددة للعرض، بينما البعض الآخر يفعل العكس ويعطي وقتاً أو جزءاً كبيراً من الوقت لتحفيظ النص والتدريب على النطق، كما كان يفعل على سبيل المثال المخرج السوري محمد سعيد جوخدار.

وهذه الطريقة بدورها تؤثر كما يقول الساجر على أفكار الشخصية المصورة في النص، وعلى عواطفها وأهدافها، وبدلاً من أن يشتغل الممثل بمسألة "الفعل بالكلمة" يشتغل بالخطابة وإلقاء النص إلقاءً شكلياً "الأمر الذي بدوره يقتل خيال الممثل، ويمنعه من الفهم، وبالتالي تحقيق الانسجام الحقيقي" (شعراوي- يا، من مفكرة المسرح العربي، القاهرة: مطبوعات الجديد، 1972، ص72)، ولذلك فإن تطبيق منهج ستانسلافكسي عبر التحليل بالأفعال، أي تحليل المسرحية والدور بالأفعال، يساعد في المعالجة العضوية لنص الكاتب حيث يهتم الممثل منذ البداية اهتماماً كبيراً بالأفكار والأفعال التي في الدور، ولا يكتفي بحفظ النص وإنما يندمج كلياً في العرض ويقدمه دون تكلف، وهذا يبدو جلياً في أداء الممثلين السوريين إلى درجة أن الشخصية تصبح جزءاً من كيانهم.

أهمية الارتجال

اعتبر الساجر أسلوب تحليل المسرحية والدور بالأفعال مواصلة طبيعية لمبادئ "الواقع الموضوعي" للإبداع المسرحي وقوانينه، وتطويرا لجميع عناصر نظامه، ويمكن من خلالها تجاوز كل الجوانب السلبية في الأسلوب القديم للتدريب، وفي مقدمتها عطالة الممثل وسلبيته أثناء التدريب (مرحلة بروفات الطاولة) بسبب هيمنة المخرج عليه، وإعطائه التوجيهات والتعليمات التي تقيد الاستقلالية الإبداعية، أضف إلى ذلك أن هذه الطريقة المركبة التي صاغها ستانسلافكسي متعددة الجوانب وتقوم على أساس الربط الوثيق بين عواطف الممثل وأفعاله، بين عقله وقلبه، بين روحه وجسده، منذ الدقائق الأولى في فترة إعداد الدور.

أما النقطة الثالثة التي اعتمدها الساجر في إعداد الممثل فتعلقت بالارتجال، فعن طريق ارتجال الأفعال والكلام يندمج الممثل في جوّ الدور إلى حد يشعر معه بأنه أدرك العالم الجديد الذي يتطلب البحث عن وسائله التعبيرية في ذاته وإخراجها، مؤكداً على أن الارتجال يجب أن يتم أثناء البروفات وليس خلال العرض كما يعتقد البعض، ويحدد أحداث المسرحية وغايتها والعلاقات بين الشخصيات وطبيعة الصدام القائم بينها، وخط فعل كل شخصية، ثم يجري الارتجال على أساس السلوك ومنطق التفكير المدروسين، وهذا بالضبط ما طبقه المخرج العراقي جواد الأسدي في عروضه المسرحية، وخاصةً التي قدمها مع طلبة المعهد في دمشق وأساتذتهم لاحقاً.

يقول الأسدي "إعداد الممثل لستانسلافسكي هو مصدر من المصادر الراسخة في يوميات بروفاتي، لكن كنت دوماً أحفر داخل بنية تعاليمه للوصول إلى إشارات وعلامات حداثية في بناء عمل الممثل، فعلى سبيل المثال أكرّس تلك الخلطة السحرية بين ستانسلافسكي وبين الروح الجيكوفية التي تقوم على الأداء الفلسفي النفسي في عمل الممثل، وفي نفس الوقت أتبع إحساسي في إدارة وإعادة معالجة التمثيل وروح الممثل" (الجيكوفية بحسب الدكتور جواد الأسدي هي التمثيل الماورائي والأداء البارد المحمول على نار ترتقي وترتفع تدريجياً للوصول إلى ذروات التمثيل الحار، وهذا الشكل من التمثيل هو عكس التمثيل البروباغندي المعلن والصريح الذي تكرسه مدرسة المعاناة الستانسلافسكية)، (ورد ذلك في حوار أجريته مع جواد الأسدي عبر الماسنجر بتاريخ 15 سبتمبر 2021).

ويتيح تنفيذ المشاهد بكلمات مرتجلة، كما يرى الساجر، إمكانية أن يغوص الممثل كليةً في عالم الفعل، فيبلغ جميع عناصر الإحساس الفيزيائي الداخلي بالذات، وهو ما يجعل الاهتمام الأساسي منصباً باستمرار على فهم أفكار الكاتب والدخول إلى جوهرها الفعّال ومنطق تطورها، وهكذا يقدم الممثل مشهداً تلو آخر، ويغوص تدريجياً في جو أفكار الشخصية، ويمتلك منطق سلوكها، ويتفهم البواعث التي تجعل الشخصية تنطق بهذه الكلمات، وبتلك الطريقة يقترب الممثل من صيغة التعبير التي اختارها كاتب المسرحية.

يقول ستانسلافسكي "إلى درجة تغدو كلمات الدور الغريبة ضرورية، قريبة، حميمية، وكأنها كلماتي الخاصة، وهي من تلقاء نفسها تطالب بنطقها" (شعراوي – يا، المرجع السابق، ص 83)، فعلى سبيل المثال لو كانت المسرحية مكتوبةً بلغة شعرية أو بلغة عربية فصحى وصعبة بعد الارتجال لن يكون هناك فارق كبير بين لغة الممثلين ولغة شخصيات الكاتب، وتظهر هذه النقطة جليةً في التلون الذي يملكه أغلب الممثلين السوريين، وفي قدرتهم على الانتقال من دور إلى آخر بكل سلاسة ورعونة، تيم حسن وقصيّ خولي نموذجاً.

> منهج ستانسلافسكي يخلق سلسلة منسجمة من الأساليب والمهارات التي تجعل الممثل يمتلك بوعي كلمة الكاتب فيجعلها فعّالة ومؤثرة

أما آخر نقطة ركز عليها الساجر في منهج ستانسلافكسي فهي المعايشة التي ترجمت في مرات عدة عن الروسية بالمعاناة، والتي يرى الساجر أنها من أهم عيوب الممثل العربي "لأنها تركز فقط على تصوير عواطف الشخصية ومشاعرها الداخلية فقط، وتضخّم جانبها النفسي بحجة الكشف عن حياة النفس البشرية، لدرجة يصلون إلى حد تدمير الوحدة الديالكتيكية بين ما هو نفسي وما هو فيزيائي في إبداع الممثل" (المرجع السابق، ص 90).

انتهج معظم أساتذة المعهد، الذين تتلمذوا على يد الساجر، نهجه في إعداد الممثل المرتكز على ستانسلافسكي، ولكن كل بحسب فهمه وإدراكه لأهمية ذلك المنهج من وجهة نظره، ويعتبر فايز قزق واحداً من أهم الأساتذة المستمرين حتى يومنا الحالي في تخريج الدفعات، والذي كان منذ العام 1994 مهتما باختبار مفاهيم نظرية ستانسلافسكي لتطوير التوجيه مع طلاب المعهد، وعجنها العجينة الذاتية، وليس فقط مجرد نقلها نظرياً من كتاب ستانسلافسكي إلى طالب عبر وسيط هو المدرب.

يقول قزق "كنت أرى أن المدرب يجب أن تكون له بصمته ومعرفته وقدرته على فهم ما يمكن أن يكون أبعد من ستانسلافسكي، الذي توفي في 1935، فالعالم تغير وبطبيعة الحال النظريات تغيرت وتطوّرت، كما أنه أثناء وجودي في المعهد قمت بتدريب الطلبة على 'مختبر الارتجال' الذي لم يكن من مقررات المعهد، وذلك عبر مسرحية 'النو'، ومنذ ذلك العرض حتى اليوم قدمت ما يقارب ثمانية مشاريع تخرّج بنفس الطريقة، كان أحدثها مشروع تخرج بعنوان 'شارة' الذي اعتُبر أول مشروع تخرّج يعتمد على الارتجال".

وقزق، على سبيل المثال، لا يعتبر منهج ستانسلافسكي مقدساً، رغم أنه يتحدث عنه مطولاً مع طلبته ويحثهم على قراءته والاطلاع على نظرياته كخزين لتأسيس القاعدة الأساسية التي يمكن من خلالها الانتقال إلى قواعد أخرى، ولكن أكثر ما يهمه أثناء التدريب هو البحث عن جوهر الإنسان في الطالب والانطلاق من خزين الطالب، بدلاً من أن يكون كأستاذ مجرد جسر ومعبر لنظريات الآخرين فهو يخشى احتلال الآخر لنا وجدانياً ونظرياً.

بعد كل ما سبق يتضح لنا أن إعداد الممثل في سوريا، الذي بدأ مع مؤسس المعهد فواز الساجر والمستمر حتى يومنا الحالي، والقائم في جزء كبير منه على منهج ستانسلافسكي، هو أساس نجاح الممثل السوري وتميزه.

الدراما مدينة للمسرح

العرب
الأحد 2022/01/23
السنة 44 العدد 12306

«إيرنا في الحرب» سيرة امرأة متنكّرة في ثوب جندي محارب

الفيلم يرسم صورة أخرى للحرب وجنودها الذين يحاربون بلا هدف ولا قضية

امرأة تجد نفسها مجبرة على التحول إلى جندي

ليست الحرب كلّها صراعا داميا وضحايا وخرابا، بل فيها أيضا جوهر إنساني متوار في الداخل قد لا يجري الالتفات إليه بقدر الانشغال بفظائعها وتعاساتها فضلا عن انتصاراتها المعمّدة بالدماء. والمواقف والقصص الإنسانية كانت حاضرة على الدوام في العديد من أفلام الحرب وخاصة تلك التي تتناول الحربين العالميتين الأولى والثانية، والتي قدمت فيها البشرية عشرات الملايين من الضحايا قبل أن تضع الحرب أوزارها وتنتهي إلى قصص ومرويات وأرشيف حربي ودروس في العلوم العسكرية. وحاد الكثير من الأفلام عن التناول التقليدي للحرب كما هو الحال في فيلم "إيرنا في الحرب" للمخرج هينريك روبن غينز.

طاهر علوان
كاتب عراقي

يهمنا هنا التوقف عند تجربة المخرج الدنماركي هينريك روبن غينز الذي يعود بنا إلى فصول من الحرب العالمية الأولى مستندا إلى رواية كتبها مواطنه إيرلينغ جيبسين، وكلاهما يخوضان في هذه التجربة من خلال أعمق ما في الذات الإنسانية من إحساس بالانسحاق أمام ماكنة الحرب التي لا تبقي ولا تذر، لكن ميزة فيلمه "إيرنا في الحرب" من بين العشرات من الأفلام التي قاربت موضوع الحرب العالمية الأولى أنه مكرّس لما يشبه السيرة الذاتية لامرأة تجد نفسها مجبرة ومضطرة أن تتحول إلى رجل جندي محارب وتخفي حقيقة كونها امرأة في سلسلة مصادفات ومواقف، وكذلك بسبب مشاعر الأمومة الجارفة لكي تنقذ ابنها من براكين الحرب المشتعلة.

المخرج وظف في تلك الأجواء القاتمة الكثير من العناصر المرتبطة بالصورة واستخدام حركات الكاميرا والإضاءة

وهنا نلاحظ تلك الدائرة نفسها التي تتكرر في كل الحروب تقريبا عندما يتقدّم صيادو الضحايا باتجاه القرى والأرياف النائية والضواحي بحثا عن حطب للحرب في صيغة رجال محاربين يتركون أرضهم وعائلاتهم وحياتهم الهادئة ليدخلوا أتون تلك النار المشتعلة، وهو ما يجري مع إيرنا نفسها (تؤدي الدور الممثلة الدنماركية المعروفة تراين دايلهولم) فهي مستعدة أن تمنح بعض النقانق والخبز رشوة لذلك الشرطي الذي انظم لجيش الرايخ ليزج أبناء بلاده في الحرب.

بكل بساطة المرأة الفلاحة بنظرتها الجامدة تحاول رشوة الشرطي ماير (الممثل إيليريش توموسون) بالخبز والنقانق لكي يكف عن زج ابنها الوحيد شبه المصاب بالتوحد كايل (الممثل سيلفيستر بايدر) لكنه يرفض في وقت يحاول إغواء المرأة التي لا تعلن أبدا من يكون والد كايل، سوى أنه ابنها الوحيد فحسب.

مفارقات الحرب والأمكنة

هذه المقدمة ربما نجد مواقف مشابهة لها في قصص الحرب العالمية الأولى وفضائعها، وكان من آخر الأفلام التي شاهدنها عن تلك الحرب هو فيلم "1917" للمخرج المعروف سام مينديس، والذي لا يزال يعرض حاليا من على منصة نيتفليكس، ومع هذا الفيلم يورد موقع روتن توماتو قائمة بأهم 35 فيلما تناولت موضوع الحرب العالمية الأولى وقصصها المأسوية والإنسانية، ويتوج تلك القائمة بفيلم "كل شيء هادئ في الميدان الغربي" للمخرج لويس مايلستون، وهو يعود إلى ثلاثينات القرن الماضي، ويعد واحدا من أهم كلاسيكيات السينما الحربية، وخاصة سينما الحرب العالمية الأولى، وفي موازاة هذا الفيلم يقدم مخرج روائع الفانطازيا بيتر جاكسون المتوّج بالأوسكار والذي أتحف المنجز السينمائي العالمي بأفلام وازنة ومنها السلسلة الشهيرة "ملك الخاتم" و"كينغ كونغ" و"لا ينبغي أن يشيخوا" وغيرها من الأفلام المهمة التي بقيت عالقة في الذاكرة.

وهنا سوف نتوقف أيضا عند فيلم شهير آخر وهو فيلم "لورنس العرب" للمخرج المعروف ديفيد لين ومن إنتاج العام 1962 وحيث الصراع بين الأضداد على أشده إبان الحرب العالمية الأولى وخاصة لجهة تحشيد العرب لصالح الحلفاء وضد الدولة العثمانية التي كانت تتهاوى في ذلك الحين، وبالطبع لن ننسى الحضور المميز لنجوم تلك الحقبة في ذروة عطائهم كعمر الشريف وبيتر أوتول وأيلك جينيس وأنطوني كوين وجاك هاوكينز وغيرهم.

وعلى هذا المسار يمكن مناقشة جوانب ومعطيات مهمة ترتبط بالفيلم الحربي.

ولعل المنطلق الأول الذي يمكن الانطلاق منه هو الجغرافيا المكانية، فالحرب من حيث هي صراع يقوم على فكرة الاستحواذ على المكان كنقطة مفصلية، وهذا الاستحواذ سوف يعني بالنتيجة الاستقواء وقهر الخصم كنتيجة للمعارك.

وهنا في هذا الفيلم تتم الإزاحة المكانية الأولى من خلال ذهاب إيرنا وابنها مرغمين إلى الحرب تاركين من خلفهما المكان الأول والأصلي الذي هو القرية التي تمثل المعطى المكاني الأكثر التصاقا بالإنسان وحياته ثمّ الانتقال إلى المكان الثاني وهو المكان الحربي كالثكنات ومواضع الجنود.

يستخدم المخرج الصورة النمطية للمكان الجديد القائم على فكرة القهر والطاعة الصارمة وهو ما لا تريده إيرنا لابنها، لكنها سوف تشاهد قوة القهر جلية في العقاب الفوري بالقتل لفتى يافع حاول الهروب، وكاد أن يكون مصير ابنها نفسه الذي حرّضته على الهرب وها هي ترتدي زي الجندي وتلبس ابنها ملابس امرأة لكي تهرّبه من المعسكر.

هذه النقطة الفاصلة في الدراما حيث انسحاق من هم أكثر ضعفا، فالابن شبه المصاب بالتوحّد والمرأة التي غادرها قطار الشباب ولم يبق لها ما تتشبث به سوى ابنها اليافع تجد نفسها في وسط مفارقة مريرة سوف تكون مدفوعة إليها بقوة بعد أن وجدت نفسها جندية متنكرة بزي جندي وعلى الآخرين أن يقبلوها من منطلق المشاركة الوجدانية الوطنية، فالكل دنماركيون والكل مساقون عنوة إلى حرب لا تعنيهم.

عبثية الحرب تتجلى هنا من خلال نموذج نمطي يتكرر في العديد من الأفلام من هذا النوع، وذلك من خلال سيطرة الدولة أو الحزب على حياة البشر وسحقهم تحت بطشها وقوتها، وهو ما شاهدناه بشكل أكثر شراسة في سينما الحرب العالمية الثانية بسبب حالة الاستقطاب التي ترتبت على اندفاع ألمانيا النازية وإسقاط الحواضر الأوروبية تباعا، وبشكل لم يسبق له مثيل في التاريخ.

أما لجهة العدوّ من الطرف الآخر فنحن لن نراه ولن يكرس الفيلم أي مساحة له لكن اسم فرنسا والفرنسيين سوف يتم تداوله، ومعلوم أن فرنسا كانت خصما للنمسا في تلك الحرب من منطلق كونها جزءا من قوات الحلفاء التي ضمت كلاً من المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وأيرلندا والجمهورية الفرنسية الثالثة والإمبراطورية الروسية في مواجهة ما عرف بدول المركز وهم كل من الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمساوية المجرية والدولة العثمانية ومملكة بلغاريا.

والحاصل أنه بسبب ذلك التركيز المكاني على تلك الثلة من الدنماركيين المساقين إلى الحرب سوف نشهد تجليات جيل مسحوق مثقل بأزماته وهو يجد نفسه في حالة قسرية لا خيار له فيها، فضلا عن الخضوع لسطوة الخائن ماير الذي صار يعمل بصفته جزءا من قوة المركز وتحديدا الألمان بالخضوع لأوامرهم، وبهذا صار أشد شراسة ضد أبناء بلده الدنماركيين.

على أن التحول في الدراما الفيلمية إنما يتجسد من خلال شخصية إيرنا التي من أجل الحفاظ على ابنها وتهريبه من الحرب سوف تقبل الزواج من ماير مع أنها تمقته، وهو الخط العاطفي الذي اشتغل عليه المخرج في أجواء شديدة القسوة، بينما الجنود في الملاجئ تحت الأرض ويتلقون القصف ويوشكون على الموت بينما ماير يحاول التحرش بالجندية إيرنا.

في موازاة ذلك تختزل دائرة الحرب ومن خلال ثكنات الجنود حالات نفسية كارثية كمثل ذلك الشاب الذي جاء إلى الحرب متطوّعا وباحثا عن عدو يجهله لكي ينتقم منه بسبب مقتل والده وأقاربه، وهنالك الشباب الذين أصيبوا بما يشبه الصدمة وهم يزجون في حرب لم يكونوا يعلمون عن شراستها وقهرها شيئا.

تتحول تلك الثكنة إلى مصهر حقيقي للذوات، حيث أماني إيرنا في إنقاذ ابنها تتلاشى نهائيا وها هي جندية بالفعل، وهي ليست إيرنا بل الجندي سولسوش راسموسن، هكذا أرادت لها الأقدار أن تؤدي تلك المهمة.

الاقتباس عن الرواية

وظف المخرج في وسط تلك الأجواء القاتمة الكثير من العناصر المرتبطة بالصورة واستخدام حركات الكاميرا والإضاءة للوصول إلى أكثر تفاصيل تعبيرية في المشاهد، ومن ذلك مشهد إيهام الضابط الألماني للجنود الدنماركيين بأن الفرنسيين قد استسلموا بينما يقاد الدنماركيون إلى مخابئ وأنفاق تعج بالجرذان والروائح الكريهة، وقد وظف المخرج الأجواء القاتمة والإضاءة المنخفضة للمزيد من التعبير عن الحالة النفسية والشعورية للجنود وهم يغطسون عميقا في قاع الحرب.

ثم يستخدم المخرج ببراعة مشاهد القصف والمعارك الحربية وخاصة بعد نفاد الطعام واضطرار إيرنا إلى المجازفة بنفسها في وسط القصف لكي تذهب لجلب الطعام وإنقاذ الآخرين من الموت جوعا.

> الفيلم يبتعد عن تاريخية الحرب وجذورها وامتداداتها ويكرس مساحته من أجل إيرنا أساسا والخفايا النفسية للصراع الدامي

وأما على الجانب الصوتي فقد برع الإستوني مايكل زيلمر في بناء نسيج تعبيري عميق في مجال الموسيقى التصويرية وكانت تراجيديا الحرب مجسدة في مقطوعاته بشكل متميز، أضاف إلى جماليات المشاهد عمقا تعبيريا آخر لاسيما مع استخدام الطبول والكونترباص والتشيلو وغيرها بشكل متناغم ومؤثر في إطار السياق الفيلمي، وسبق لزيلمر أن أنجز الموسيقى التصويرية للعديد من الأفلام الروائية الطويلة نذكر منها فيلم "الحقيقة والعدالة" وفيلم "العفو والسلام" وغيرهما من الأفلام.

على أن ذلك الحوار المرير ما بين إيرنا والضابط ماير الذي يريد الزواج منها لكنه لا يفي بوعده بإنقاذ ابنها، ثم شكّه بوجود علاقة لها مع شخص آخر، هذه الدائرة الغريبة من العلاقة العاطفية الباهتة يسلط المخرج الضوء عليها ويتخذ منها خطا سرديا ينتهي نهاية غير متوقعة، وذلك بوصول ماير إلى طريق مسدود فهو قد خدم الألمان والتحق بالحرب وجلب جنودا بالوشايات كما فعل مع إيرنا وابنها، وهو يعيش عزلة قاتلة كما أنه لم يفز بقلب إيرنا التي تختلف معه في تشبثها بوطنها وعدم الانجراف إلى الألمان، لهذا يقرر الانتحار بطريقة ما، وهو أن تلتهمه ماكنة الحرب بالظهور المكشوف أمام السواتر الأمامية لتصيبه شظايا القصف أو ينفجر به لغم وفي كل الأحوال تعثر عليه إيرنا في مشهد مؤثر للغاية.

فها هو ماير وقد اخترق عمود من الأرض الحرام جسده وبقي مصلوبا هناك لتنتشله إيرنا وتحقق بينهما ذلك العناق المفقود بعد سقوط جثة ماير عليها.

تبرز بعد ذلك مسألة في غاية الأهمية تتعلق بهذا الفيلم وكونه مأخوذا عن رواية للروائي الدنماركي إيرلينغ جيبسين، وتطرح من خلالها قضية اليوميات التي هي أقرب إلى السيرة الذاتية لإيرنا، ولاحظ أن شكل المعالجة الإخراجية لو أراد لها المخرج وفي مرحلة كتابة السيناريو على طريق المذكرات واليوميات وسرد الشخص الثالث لبدت أكثر جمالية وتعبيرية مما هي عليه. لكن المخرج عمد إلى الزج بالشخصية الرئيسية إيرنا وتركها تواجه مصيرها، وبذلك تقاطع مسارها السردي مع المسار السردي للعديد من الشخصيات حتى بدت ندّا ضعيفا في بعض الأحيان ومجرد امرأة حريصة على إخفاء شعرها وتبديل ملابسها بعيدا عن أنظار باقي الجنود، وبذلك تم تأطير البناء الدرامي في حدود مفردات متكررة تضطلع بها إيرنا ومنها مثلا القيام بأعمال الحراسة والمناوبة حالها حال الجنود الذكور في نمطية لم تحمل معها الكثير من عناصر الجذب والتشويق.

ومن جانب آخر تم ابتسار دورها وما أراده لها المخرج إلى أضيق مساحة ممكنة وحتى حواراتها يلاحظ كم تم اختصارها.

يتحدث المخرج عن المراحل التي مر بها اختياره للرواية وذلك في مقابلة أجراها معه موقع سينما أوروبا، ويقول إن "الرواية التي كتبها الروائي الدنماركي إيرلينغ جيبسين كانت من السعة بحيث أننا لم نأخذ منها سوى ثلث المجريات والأحداث، حيث اشتملت الرواية على شخصيات أخرى ثانوية، وهنالك مستويات سردية متعددة وكان علينا أن نركز على الثيمة الرئيسية وكذلك الشخصيات الرئيسية".

ربما كانت من الجوانب التي تم إغفالها مثلا ولم تظهر إلى النهاية وهي صورة الخصم الذي ظهر أكثر رفقا بإيرنا وهو الخصم الفرنسي، حيث تظهر إيرنا وهي تخدم في المطعم في خدمة الجيش الفرنسي وليشكرها الجنرال على تضحياتها في نهاية ليس فيها ما هو مختلف ولا ما هو متميز.

وبحسب المخرج أيضا كانت الممثلة الرئيسية التي أدت دور إيرنا على تواصل مستمر في أثناء كتابة السيناريو والتحضيرات الأولية للفيلم، وهي التي عايشت الشخصية وهي تولد في مرحلة كتابة السيناريو وتفاعلت معها إلى حدّ كبير.

ومن خلال المقابلة مع المخرج يبدو أنه قد حرص على اقتطاع خطوط سردية بعينها ولهذا فقد ابتعد عن تاريخية الحرب وجذورها وامتداداتها وكرس المساحة الفيلمية من أجل إيرنا لوحدها مع هامش محدد للشخصيات الأخرى الأكثر فاعلية.

الحرب في هذا الفيلم وبنفس مسار رؤية المخرج هي بمثابة آلة كبيرة لا أحد يعرف كيف تعمل وعندما تخرج عن نطاق السيطرة ينتهي بها الأمر إلى أن تقوم بتدمير الأشياء التي كنت تعتقد أنك تقاتل من أجلها، والكثير من الأشياء الأخرى التي نسيت يوما ما أنها كانت لديك.

على أن تحولا دراميا غير متوقع سوف نسمعه من دون أن نتأكد هل كانت إيرنا في حالة هذيانية من جراء الإرهاق والجوع وهي أن الفتى الذي كان طيلة الفيلم هو ابنها الذي تريد أن تنقذه من آلة الحرب الجهنمية لم يكن كذلك، وإنما هو طفل لقيط تم رميه من امرأة مجهولة في القرية أمام دارهم والتقطته جدتها وربته ثم اعتنت به أمها ثم لينتهي الأمر به بين يدي إيرنا التي كرست كل حياتها له ولا تستطيع أن تتخيل وجودها من دونه.

بالطبع سيقود المخرج الأحداث إلى خارج كل هذا السياق لتعبر عن أنوثتها وهي في وسط ثكنة تعج بالجرذان والجوع ولتخوض في علاقة سوف تعلم في ما بعد أنها سوف يتمخض عنها أن تكون حاملا فعلا.

أما ونحن بصدد التحول الأخير الذي تنبأ به الجنود وتوقعوه وهو أنه مع زيادة القصف والمحاصرة سوف يأتي وقت ويشاهدون الجنود الفرنسيين من فوقهم ويطالبونهم بالاستسلام وهو ما سوف يقع فعلا في مشهد مؤثر للغاية تظهر فيه إيرنا وهي غارقة في وسط الماء والأوحال فيما بنادق الجنود الفرنسيين مصوبة إليها، ولننتهي معها وهي تخدم في أحد معسكرات الجيش الفرنسي بعد أسرها.

والحاصل أن الخاتمة التي أراد المخرج أن يتوج بها تلك المأساة والتراجيديا عندما تعود إيرنا من مسعكرات الفرنسيين وكلها أمل، وهي تعود إلى قريتها لترى ابنها بالتبني هناك في انتظارها وهو ما وقع فعلا.

الحرب تحطم الحياة وتقتل المشاعر الإنسانية

المخرج هينريك روبن غينز

- مخرج دنماركي من مواليد 1959.
- تخصص في بداياته بفن الغرافيك لينتقل لدراسة السينما في المدرسة العليا للسينما في كوبنهاغن وهو في سن الثلاثين.
- بعد إخراج عدد من الأفلام القصيرة في التسعينات أخرج أول أفلامه الطويلة في عام 2003 بعنوان "شخص ما مثل هودار".
- ثم تلا ذلك فيلمه "الرجل الصيني" عام 2005.
- حصل على إحدى جوائز مهرجان كارلوفيفاري 2008 عن فيلمه "سعيد بشكل مرتبك".
- هذا الفيلم المأخوذ عن رواية إيرلينغ جيبسين هو فيلمه الروائي الطويل السابع.

العرب
الأحد 2022/01/23
السنة 44 العدد 12306

السفر بسرعة تفوق سرعة الضوء... مستحيل إلى أن يتحقق

تقنيات قابلة للتطبيق نظريا يمكن ترجمتها واقعيا في المستقبل

عرضت أفلام ومسلسلات الخيال العلمي أشياء كنا نعتبرها مستحيلة التحقيق في الواقع، لكن مع التقدم التكنولوجي المذهل استحال ما كنا نصنفه ضربا من الخيال إلى واقع وحقائق قابلة للتطبيق، ويبقى السفر بسرعة تفوق سرعة الضوء كما في مسلسل "ستار تريك" الشهير ممكنا نظريا في انتظار تحقيقه في المستقبل.

سفر يحتاج إلى مصدر طاقة هائل

برلين – عرف ألبرت أينشتاين الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء، وهو واحد من ألمع العلماء في التاريخ، الحدود الفيزيائية للكون عندما عرض نظريته بشأن النسبية العامة قبل أكثر من 100 عام.

وتلخص شاسا فوجيل العالمة الفيزيائية والخبيرة في مجال الخيال العلمي أحد العناصر الأساسية من نظرية أينشتاين قائلة "ليس من الممكن التحرك أسرع من الضوء".

وبعبارة أخرى، لا تستطيع أي مركبة فضائية أن تتسارع "بشكل أسرع من الضوء" اعتمادا على قدرتها الذاتية.

ولكن هل يمكن تحقيق ذلك من خلال حيلة تتعلق بالسفر في الزمن؟

في نهاية الحلقة الأولى من مسلسل "ستار تريك" الشهير الذي أذيع عام 1966 وتدور أحداثه حول مغامرات في الفضاء، أصدر الكابتن كيرك أوامره بالانطلاق "بسرعة وارب واحد". وتعرف موسوعة ويكيبيديا على الإنترنت في الفصل الخاص بمغامرات ستار تريك، والذي يحمل اسم "ميموري ألفا"، معنى هذا المصطلح بأنه "الانطلاق بسرعة تفوق سرعة الضوء".

> الطاقة اللازمة لدفع سفينة فضاء بنصف قطر 100 متر بسرعة الضوء تزيد 100 مرة عن كتلة كوكب المشتري

ويقول عالم الفيزياء المكسيكي ميغيل ألكوبيير إنه توصل إلى ثغرة تتيح السفر بسرعة تفوق سرعة الضوء، على الأقل من الناحية النظرية.

وعندما نتناول بالدراسة فكرة العالم المكسيكي التي يطلق عليها اسم "مشغل ألكوبيير"، وهي دراسة نظرية بالكامل، يتضح أن سفينة الفضاء ليست هي من تتسارع بسرعة الضوء، بل أن الفضاء حولها ينحني بشكل اصطناعي.

ويعني ذلك أن المركبة لا تتحرك بالكاد على الإطلاق، وإنما تسافر في الفضاء داخل ما يطلق عليه اسم "فقاعة وارب".

ويمكن تفسير هذه الفكرة مجازيا بأن مركبة الفضاء تمتطي موجة تطوي الزمن الفضائي، وبالتالي تقصر مسار الرحلة.

وترى عالمة الفيزياء فوجيل أن هذه الفكرة يحيط بها "الكثير من الافتراضات والاستدراكات".

ومن الشروط المسبقة لصحة نظرية ألكوبيير، على سبيل المثال، وجود ما يعرف باسم "الطاقة السلبية"، رغم أنه ليس من الواضح حتى الآن ما إذا كانت هذه الطاقة لها وجود من الأساس، ويفترض خبراء الفيزياء أن دفقات الطاقة السلبية تنبعث على أطراف الثقب الأسود.

وربما لا يجب أن تثبط هذه العراقيل من عزيمة العلماء، ففي نهاية المطاف فإن "الأمور تظل مستحيلة إلى أن تتحقق"، على حد قول الكابتن جان لوك بيكار ربان سفينة الفضاء في مسلسل "ستار تريك: الجيل القادم".

وهناك شيء واضح، وهو أنه إذا كان الإنسان سوف يستطيع يوما ما الوصول إلى النجوم البعيدة دون أن ينقضي عمره خلال الرحلة، فلا بد من اختراع مثل هذا المشغل الذي وصفه ألكوبيير.

وفي جامعة غوتنغن بوسط ألمانيا يتناول باحث آخر هذه الفكرة ولكن بنهج مختلف، يقول عالم الفيزياء الفضائية إيريك لينتز "لا توجد طريقة قابلة للعرض" لإنتاج الطاقة السلبية، وبالتالي فإنه يركز بدلا من ذلك على إيجاد كمية استثنائية من الطاقة التقليدية.

وعلى هذا الأساس يكون السفر في الفضاء إلى النجم "بروكسيما سينتاوري" الذي يبعد قرابة 4.2 سنة ضوئية عن نظامنا الشمسي، أسرع مقارنة بالوسائل المعمول بها في الوقت الحالي، علما بأن الرحلة إلى هذا النجم بسرعة مسبار الفضاء "فويجار 1" سوف تستغرق نحو 75 ألف سنة.

ويكمن التحدي في أن الطاقة اللازمة لمثل هذه النوعية من الدفع في الفضاء سوف تكون هائلة. ويشير لينتز في هذا الصدد إلى "مصدر طاقة هائل".

ويوضح أن "الطاقة اللازمة لدفع سفينة فضاء بنصف قطر 100 متر بسرعة الضوء تزيد 100 مرة عن كتلة كوكب المشتري".

وتشير معادلة أينشتاين الشهيرة "حاصل ضرب الكتلة في مربع سرعة الضوء يساوي طاقته" إلى أن الكتلة يمكن تحويلها إلى طاقة والعكس صحيح.

ومن المعروف أن كوكب المشتري أثقل بواقع 2.5 مرة من باقي كواكب مجموعتنا الشمسية سويا، بما يوازي نحو 318 كرة أرضية، وهذا يعني حسب نظرية لينتز أن مركبة الفضاء التي يزيد نصف قطرها عن 100 متر لا بد أن تزيد كتلتها عن كتلة المشتري أو أن تتصنع ذلك.

ومن الناحية النظرية، فإن ناتج وجود هذه الكتلة الضخمة هو أن ينحني الفضاء أمام المركبة. وبالتالي فإن سفينة الفضاء التي ستنطلق داخل هذا المنحنى، لن تتحرك سوى بشكل محدود، ولكنها سوف تظهر على بعد سنوات ضوئية في مجرة بعيدة.

ولعل هذه النظرية تكون من الأسباب التي تدعو جماهير مسلسل ستار تريك إلى الاحتفال، غير أنه لا أحد يعرف في الواقع كيف يمكن تحقيق هذا الأمر.

وبأي حال من الأحوال، يستطيع أينشتاين أن يرقد في سلام في ظل نظرية لينتز، حيث أنها لن تؤثر على تعريفه بأن الجسم لا يمكنه أن يصل إلى سرعة الضوء اعتمادا على قدرته الخاصة.

لعبة الكلمات على الإنترنت تجتاح العالم

واشنطن – استأثرت لعبة "ووردل" على اهتمام عدد كبير من مستخدمي الشبكات الاجتماعية، وسُجّل إقبال واسع عليها في الأسابيع الأخيرة، وهي تقوم على مبدأ بسيط يتمثل في اكتشاف كلمة كل يوم من خمسة أحرف، وبحد أقصى هو ست محاولات.

وقالت سوزان دروبين (65 عاماً) التي تلعب "ووردل" يومياً إنها "رائعة"، ولاحظت أنها تجعل اللاعب "مدمناً عليها".

وتشرح المرأة المتقاعدة التي تعيش في ميريلاند على الساحل الشرقي للولايات المتحدة أن اللعبة "لا تستغرق الا بضع دقائق"، واصفة إياها بأنها "وسيلة تسلية ظريفة ومدتها قصيرة".

وأفادت صحيفة نيويورك تايمز بأن عدد الذين يحاولون العثور على كلمة اليوم ارتفع من 90 شخصاً في الأول من نوفمبر الفائت إلى أكثر من 300 ألف بعد شهرين في الثاني من يناير الجاري.

ويبدو مبدأ اللعبة سهلاً، ويتمثل في العثور على الكلمة الأنسب المكونة من خمسة أحرف، في ست محاولات كحد أقصى. ويظهر كل حرف في مكانه الصحيح باللون الأخضر، وإذا كان الحرف في غير مكانه يظهر باللون الأصفر.

وينبغي على كل لاعب إيجاد كلمة واحدة يومياً، هي نفسها للجميع، وإذا أخفق في ذلك لا يمكنه إعادة المحاولة إلا في اليوم التالي.

وما لبثت سوزان دروبين التي بدأت تلعب قبل أسابيع أن انضمت إلى الآلاف من هواة "ووردل" الذين ينشرون نتائجهم اليومية على وسائل التواصل الاجتماعي باستخدام وسم #ووردل على شكل ستة خطوط يتضمن كل منها خمسة مربعات ملونة تبيّن عدد المحاولات التي قام بها اللاعب لفك اللغز.

وما يميز "ووردل" أن مصممها وهو مهندس كمبيوتر بريطاني يدعى جوش واردل يعيش في نيويورك، لم يكن يهدف إلى بيعها للجمهور العريض، بل أرادها ببساطة وسيلة للترفيه، وقرر عدم تحقيق أرباح من خلال هذه اللعبة.

وقال جوش واردل لصحيفة نيويورك تايمز إن المستخدمين "يستمتعون بوجود هذه اللعبة المسلية على الإنترنت". وطمأن بأن "ووردل" لا تُقدم على "أي أمر يثير الريبة في ما يتعلق ببيانات اللاعب الشخصية".

ولا تظهر أي إعلانات على الموقع، لكن البعض سبق أن حاولوا نسخ المبدأ، وكسب المال من خلاله.

ورأى منسق الأبحاث في مركز "غايم لاب" لدراسات الألعاب الرقمية في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (إم.آي.تي) مايكل جاكوبسون أن "ووردل" تساعد في تمرير الوقت، كما في حالات "انتظار حافلة" على سبيل المثال.

ورأى جاكوبسون أن نجاح اللعبة يعود جزئياً إلى سهولة نشر اللاعب لنتائجه على شبكات التواصل الاجتماعي.

وقال "تشعر بالفخر (بعد حل اللغز)، وما عليك سوى النقر على زر المشاركة الصغير، مما يتيح لك التباهي قليلاً، وهو ما نحب أن نفعله عادة".

أما عالمة النفس المتخصصة في ألعاب الفيديو رايتشل كويرت فاعتبرت أن الأمر يقع تحت نظرية المقارنة الاجتماعية، لجهة أن كل فرد يرغب في تقويم نفسه مقارنة بالآخرين.

واعتبرت أن "حصر إمكان اللعب بمرة واحدة يومياً يمنح إحساساً بالندرة النفسية".

وقالت "هذا ما يجعلك ترغب في العودة واللعب يوما بعد يوم".

وللعبة ميزة أخرى هي أنها في متناول الجميع بشرط أن يتقن المستخدم اللغة الإنجليزية. لكنّ هذا الشرط لم يعد قائماً، إذ سرعان ما تم توفير نسخ منها بلغات أخرى نظراً إلى شعبيتها الواسعة.

وتم تحويل "ووردل" أخيراً إلى الفرنسية وسمّيت "سوتوم". وهذه التسمية مؤلفة من أحرف كلمة "موتوس" بالاتجاه المعاكس، و"موتوس" لعبة تلفزيونية معروفة كانت تعرض على قنوات مجموعة "فرانس تلفزيون" العامة.

وعلى موقع "سوتوم"، ينبغي على المستخدم كما في "ووردل" ايجاد كلمة اليوم في ست محاولات فقط.

لكن جوناثان ماغانو الذي تولى مهمة تحويل "ووردل" إلى "سوتوم" أوضح، أنه لم يشأ الاستعانة بكل خصوصيات النسخة الإنجليزية.

وصمم مهندس الكمبيوتر الثلاثيني "سوتوم" في يوم واحد. وبعد أربعة أيام فقط من إطلاق اللعبة، بدأت النتائج الإيجابية تظهر على موقع "سوتوم".

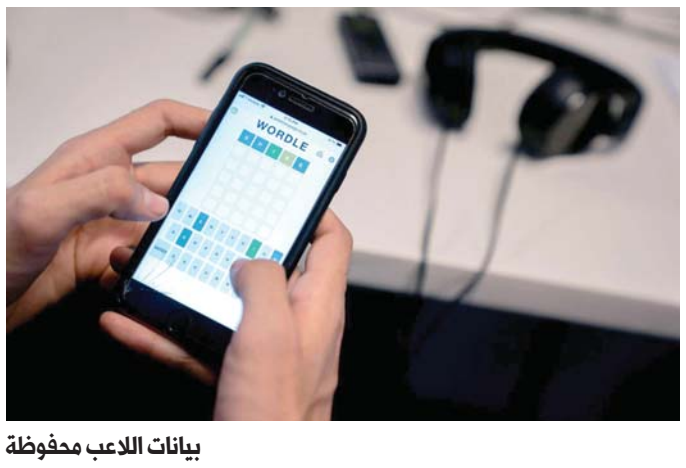

بيانات اللاعب محفوظة

مايكروسوفت تركب قطار الميتافيرس

باريس – شكّل إعلان مايكروسوفت عن نيتها الاستحواذ مقابل نحو 69 مليار دولار على شركة "أكتيفيجن بليزارد" الأميركية العملاقة لألعاب الفيديو التي أصدرت ألعاباً واسعة الشعبية منها "كاندي كراش" و"كول أوف ديوتي" و"وورلد أوف ووركرافت"، نقطة تحوّل مهمة، إذ أظهر أن الميتافيرس لم يعد مجرّد مفهوم، بل تحوّل إلى ساحة مبارزة بين الشركات العملاقة في القطاع الرقمي.

ويصف البعض الميتافيرس بأنه مستقبل الإنترنت، وهو عبارة عن عالم افتراضي ثلاثي الأبعاد يمكن للجميع فيه التفاعل في ما بينهم باستخدام الأقنعة وأجهزة الاستشعار وغيرها من الملحقات القادرة على إغراق البشر في عالم موازٍ للعالم المادي.

وأتت مايكروسوفت على ذكر الميتافيرس مرتين في بيانها الصحافي الذي أعلنت فيه عزمها على شراء "أكتيفيجن بليزارد"، أهمهما قول رئيسها ساتيا ناديلا إن دور ألعاب الفيديو "سيكون مهماً في تطور منصات الميتافيرس".

ويذكّر بعض الخبراء بأن الميتافيرس لا يزال في الوقت الراهن مفهوماً غير واضح المعالم، وأنه لا يمكن أن يكون وحده سبباً لصفقة ضخمة بحجم شراء "أكتيفيجن بليزارد".

وقال رئيس تحرير مجلة الواقع الافتراضي والمعزز "ايميرسيف واير" توم فيسكي "سنرى كيف يتطور كل ذلك إلى الميتافيرس، لكن الوضع ليس كذلك بعد".

ورأى أن النظر إلى قرار مايكروسوفت يجب أن يكون على أنه "خطوة استراتيجية ضمن قطاع صناعة ألعاب الفيديو". لكن آخرين يعتبرون أن رهان مايكروسوفت مزدوج في الواقع، إذ يتيح للشركة تعزيز مكانتها في سوق ألعاب الفيديو، ووضع بيادقها على ما قد يكون ثورة رقمية جديدة.

وستكون مايكروسوفت بذلك سائرة على خطى فيسبوك التي غيرت اسمها إلى "ميتا" تعبيراً عن الأهمية التي توليها لهذه التقنية الجديدة التي تعتبر قمة التكنولوجيا.

إلا أن تصور الميتافيرس يختلف بين الشركتين العملاقتين.

فمفهوم الميتافيرس بالنسبة إلى فيسبوك هو حصول التفاعلات في مساحة واحدة.

أما مايكروسوفت فتطرح مفهوماً لميتافيرس أكثر تعدداً.

وقال ساتيا ناديلا للصحافيين بعد الإعلان عن الاستحواذ على "أكتيفيجن" إنه "عندما نفكر في ما يمكن أن يكون الميتافيرس، نعتقد أن الأمر لن يقتصر على ميتافيرس واحد مركزي".

وأوضح أستاذ التسويق الرقمي في جامعة وست اسكوتلند ثيو تزانيديس أن كل شركة تنطلق في تعريفها للميتافيرس حسبما هو في الواقع حالياً.

فهدف فيسبوك هو أن تعزز بواسطة التقدم التكنولوجي منصة موجودة أصلاً هي شبكتها الاجتماعية التي تضم نحو ثلاثة مليارات مستخدم.

أما مايكروسفت فستضطر من جهتها إلى "شراء كميات كبيرة" من الملكيات الفكرية الحالية لتجميعها معًا بطريقة متماسكة باستخدام البنية التحتية السحابية (الحوسبة غير المادية) وخدمات الأعمال.

> الميتافيرس العالم ثلاثي الأبعاد لم يعد مجرّد مفهوم، بل تحوّل إلى ساحة مبارزة بين الشركات العملاقة في القطاع الرقمي

وقال ثيو تزانيديس "لن أتفاجأ إذا ظهر تعاون صامت" داخل مايكروسوفت.

ولم تكشف الشركات العملاقة الأخرى في سيليكون فالي بعد عن استراتيجياتها في ما يتعلق بالميتافيرس، إذ بقيت "غوغل" و"أمازون" و"آبل" بعيدة من الموضوع، أقله علناً.

ولاحظ توم فيسكي أن "أمازون" معروفة بالتخطيط الدقيق لتحركاتها، وربما تعمل بالفعل على الموضوع، في انتظار اللحظة المناسبة للإعلان عن نواياها.

وأبدى المحلل في شركة الأبحاث الأميركية "ثيرد بريدج" سكوت كيسلر اعتقاده بأن مايكروسوفت خططت لعملية الاستحواذ فيما كان منافسوها غارقين في مشاكل قانونية وتنظيمية حول العالم.

وهذا الواقع يجعل معركة تحديد الميتافيرس محصورة في الوقت الراهن بين عملاقين وعدد من الشركات الصغيرة التي يتخصص كل منها في جانب واحد من العالم الافتراضي المستقبلي.

وأشار توم فيسكي مثلاً إلى شركة "يونيتي" المتخصصة في الحلول ثلاثية الأبعاد وإلى شرطة تصميم ألعاب الفيديو "إبيك".

ولفت إلى أن "مهندسين يعملون بهدوء" بعيدا عن النقاشات "لبناء الأسس" لما سيكون عليه الميتافيرس مستقبلاً.

الميتافرس مجال الصفقات الضخمة

العرب
الأحد 2022/01/23
السنة 44 العدد 12306

متلازمة التعب المزمن تحد من القدرة على ممارسة الرياضة

النشاط المنتظم أفضل طريقة لمعالجة المتلازمة

تؤكد الدراسات العلمية أهمية ممارسة التمارين الرياضية المعتدلة في تخفيف أعراض متلازمة التعب المزمن. ويعتقد الكثيرون أن هذه المتلازمة تحد من قدرتهم على ممارسة الرياضة لأن لديهم مستويات منخفضة من التحمل والقوة، وينصحهم الخبراء بالحرص على عدم بذل مجهود أكثر من اللازم.

ممارسة الرياضة باعتدال تقلل من الإجهاد

واشنطن - تسبب متلازمة التعب المزمن إحساسًا بالتعب بشكل مستمر إلى درجة تمنع من القيام بالمهمات اليومية العادية، وهنالك أعراض إضافية أخرى لكن الإعياء الحاد المستمر لستة أشهر على الأقل هو العَرَض الأساسي لمتلازمة التعب المزمن.

وقد يشكك البعض في قدرتهم على ممارسة بعض التمرينات الرياضية في الوقت الذي يُعانون فيه من التعب. ويؤكد الخبراء أن ذلك ممكن شريطة مباشرة التمارين رويدا رويدا والحرص على عدم بذل مجهود أكثر من اللازم، ومن المهم أن يتذكر البعض أن التمارين الرياضية تُحسّن من الشعور العام.

ويعتقد الكثيرون أن ممارسة التمارين ستجعلهم أكثر إرهاقا، ولكن العكس صحيح تماما. وهناك العديد من الدراسات التي تظهر أن النشاط البدني يمكن أن يقلل من التعب وأمراض خطيرة مثل السرطان.

> من يعانون من متلازمة التعب المزمن لديهم مستويات منخفضة من التحمل، مما يحد من قدرتهم على التدرب

ومن ناحية أخرى، يمكن أن تكون ممارسة التمارين سببا آخر في الشعور بالتعب المتواصل بالفعل، حيث تشير الأبحاث إلى أن الذين يعانون من متلازمة التعب المزمن لديهم مستويات منخفضة من التحمل والقوة، مما يحد من قدرتهم على ممارسة الرياضة. ومع ذلك، يجب عليهم التحدث إلى مختص صحي إذا كانوا يعتقدون أنهم قد يكونون مصابين بهذه المتلازمة.

وأثبتت الدراسات أن ممارسة الرياضة الهوائية الخفيفة (Aerobics) كالمشي وغيرها تُساعد الأشخاص الذين يُعانون من متلازمة التعب المزمن على الشعور بالنشاط والحيوية مما يخفف الشعور بالتعب.

وهنالك أشخاص يتجنبون الرياضة البدنية لأنهم يتخوّفون من أن تزيد وضعهم سوءا، لكن العكس هو الصحيح، فالراحة المطلقة تضر باللياقة البدنية.

وكشفت دراسة بريطانية مهمة أن الذين يعانون من "متلازمة الوهن العضلي المزمن" أو ما يعرف بمتلازمة التعب المزمن، ينبغي عليهم ترك الكسل وممارسة الرياضة إذا أرادوا تخفيف حدة حالاتهم.

فقد بيّنت الأبحاث أن العلاجات التي تشجع النشاط المنتظم هي أفضل طريقة لمعالجة هذه المتلازمة، لكن العديد من المرضى يخشون أن يسبب لهم هذا الأمر المزيد من التعب والألم.

ويشار إلى أن متلازمة التعب المزمن تعتبر الآن مرضا معروفا يؤثر في نحو 250 ألف شخص في بريطانيا، وهي حالة يعاني المصابون بها من إرهاق شديد وألم في المفاصل وصداع ومشاكل في الذاكرة، ومع ذلك لا يزال الأطباء يجهلون سببها أو كيفية علاجها.

وتوصلت الدراسة إلى أن كثيرا من المرضى بهذه الحالة كانوا يخشون ممارسة الرياضة، لكن بمجرد تشجيعهم على أن يكونوا أكثر نشاطا من خلال علاجات سلوكية بدأت تظهر عليهم علامات التحسن.

ووفق المراكز الأميركية للتحكم بالأمراض والوقاية فإن المصابين بمتلازمة التعب المزمن يصبحون غير قادرين على العمل بنفس الطريقة التي كانوا يعملون بها قبل أن يمرضوا.

وهذه الحالة تغير قدرة الأشخاص على القيام بالمهام اليومية، مثل الاستحمام أو تحضير وجبة. وغالبا ما تجعل من الصعب الاحتفاظ بوظيفة والذهاب إلى المدرسة والمشاركة في الحياة الأسرية والاجتماعية.

ويعرّف المتخصصون متلازمة التعب المزمن على أنها اضطراب معقد ينشأ عنه إرهاق شديد يستمر لمدة ستة أشهر على الأقل ولا يمكن تفسيره تفسيرًا كاملاً بحالة مرضية كامنة. وقد يزداد الأمر سوءًا مع النشاط الجسدي أو الذهني، غير أنه لا يتحسن مع الراحة.

وتشمل الأعراض الأخرى المحتملة النوم غير المريح وصعوبات في الذاكرة والتذكر والتركيز واضطرابات تزداد سوءًا مع الانتقال من وضعية الاستلقاء أو الجلوس إلى الوقوف. وتُعرَف هذه الحالة المرضية أيضًا باسم التهاب الدماغ والنخاع المؤلم للعضل.

ولا يوجد سبب معروف بعدُ لمتلازمة التعب المزمن، رغم وجود العديد من النظريات التفسيرية لها، والتي تتراوح بين الإصابة بالعدوى الفايروسية إلى الإجهاد النفسي. ويعتقد بعض الخبراء أن متلازمة التعب المزمن قد تكون ناجمة عن مجموعة من العوامل مجتمعة.

ولا يوجد اختبار معين بإمكانه تأكيد تشخيص الإصابة بها. وقد يحتاج الأفراد إلى مجموعة متنوعة من الاختبارات الطبية لاستبعاد المشكلات الصحية الأخرى التي لها أعراض مشابهة. ويُركز علاج متلازمة التعب المزمن على تحسين الأعراض.

ونشر أحد الأطباء دراسة تشير إلى علاج متلازمة التعب المزمن من خلال ممارسة التمارين الرياضية، حيث ركز في بحثه على الرعاية النفسية التكميلية للمرضى الذين يعانون من حالات طبية معينة.

وقال الطبيب "يهدف بحثي إلى فهم الجوانب النفسية للأمراض الطبية وعلاجاتها، وتطوير تدخلات جديدة لتلك التي تتكامل مع الرعاية الطبية وتقييمها في تجارب سريرية صارمة".

وقام فريق البحث بتجنيد 641 مريضا لإجراء التجربة، وهي عينة كبيرة. وخضع المرضى للرعاية الطبية القياسية، بالإضافة إلى علاج "PACE"، حيث حصل جزء من المرضى على علاج حديث أو روتين معين من التمارين الرياضية.

وبعد عام قام المرضى الذين مارسوا التمارين الرياضية أو العلاج بممارسة التحدث المطلق، بتقييم التعب لديهم وأدائهم البدني مقارنة بغيرهم.

وادعت الدراسة أن العلاج الحديث السلوكي والمعرفي والممارسة الرياضية أساليب آمنة ومعتدلة الآثار، ولكنها تصطدم ببعض الصعوبات كصعوبة المشاركة في الأنشطة التي قام بها المريض قبل إصابته لمدة 6 أشهر على الأقل، والأعراض التي تزداد سوءا بعد المجهود البدني أو العقلي أو العاطفي، وقلة النوم ومشاكل الوظيفة الإدراكية، وتغير إيقاع القلب وضغط الدم عند محاولة الوقوف.

ومن جهة أخرى غالبا ما يشعر مرضى السرطان بالتعب المزمن، ولكن في الحقيقة تساعدهم التمارين المستمرة على الشعور بالراحة.

ويمكن أن تساعد التمارين الرياضية في مد الجسم بالقوة والطاقة مع مرور الوقت، ويُعد العلاج التدريبي المتدرج المعروف أيضًا باسم "جات" إحدى الطرق التي يمكن أن تساعد بها التمارين الأشخاص المصابين بمتلازمة التعب المزمن، وتزداد شدة التمارين والحركات تدريجيًا لمساعدة جسم المريض على التكيف معها ومساعدته في الشعور بمزيد من النشاط.

حِمية سيرتفود تؤثر إيجابا على عملية التمثيل الغذائي

برلين - قالت خبيرة التغذية الألمانية أندريا دانيتشيك إن حِمية "سيرتفود" (Sirtfood Diet) هي نظام غذائي نباتي يقوم على الأغذية التي تعمل على تنشيط إنزيمات "السرتوين" في الجسم، والتي تتمتع بتأثير إيجابي على التمثيل الغذائي والتحكم في عملية الشيخوخة.

وأوضحت دانيتشيك أن هذه الأغذية تشمل الفواكه الحمضية والخضروات الخضراء والكرنب ومنتجات الصويا، وكذلك التوابل مثل الكركم والفلفل والثوم، بالإضافة إلى الدهون عالية القيمة مثل زيت الزيتون، مع تجنب السكر والدقيق الأبيض قدر الإمكان.

وأضافت دانيتشيك أن هذه الحِمية تَعد بإنقاص الوزن بفضل تقليل السعرات الحرارية، غير أنه لم يتم إجراء أبحاث علمية كافية عن مدى فعاليتها.

وتعتمد هذه الحمية على مجموعة من سبعة بروتينات موجودة في الجسم ثبت أن لها مجموعة متنوعة من الوظائف، إذ تحسن من عملية التمثيل الغذائي في الجسم وتساعد على تقليل الشهية وتخفف من حدة الالتهابات الموجودة في الجسم، وتساهم في الحفاظ على الكتلة العضلية، كما أنها تزيد من معدلات حرق الدهون.

وقد تكون بعض المركبات النباتية الطبيعية قادرة على زيادة مستوى هذه البروتينات في الجسم، وقد أطلق على الأطعمة التي تحتوي عليها اسم "الأطعمة التالفة". ولا تعتمد حمية سيرتفود على تجنب أنواع محددة من الطعام بل إضافة عناصر غذائية تعمل على زيادة البروتينات السبعة التي تساهم في عملية إنقاص الوزن، ومن أبرز تلك الأطعمة الكرنب، الفراولة، البصل، الصويا، البقدونس وزيت الزيتون.

ويتكوّن نظام سيرتفود الغذائي من مرحلتين على مدى 3 أسابيع. وتدوم المرحلة الأولى 7 أيام، وتتضمن تقييد السعرات الحرارية والكثير من العصير الأخضر. وخلال الأيام الثلاثة الأولى يحدد معدل السعرات الحرارية بـ1000 سعرة. ويُوصى بشرب ثلاثة عصائر خضراء يومياً بالإضافة إلى وجبة واحدة.

وفي الأيام من الرابع إلى السابع، يرتفع معدل تناول السعرات الحرارية إلى 1500 سعرة، ويتضمن ذلك شرب كوبين من العصير الأخضر يومياً، وتناول وجبتين إضافيتين غنيتين بالمأكولات البحرية.

> هذه الحمية تعتمد على مجموعة من سبعة بروتينات موجودة في الجسم ثبت أن لها مجموعة متنوعة من الوظائف

أما المرحلة الثانية فتستمر لمدة أسبوعين، وخلال مرحلة الصيانة هذه، يجب أن تستمر المرأة في إنقاص وزنها بثبات.

ولا يوجد حدّ معيّن للسعرات الحرارية لهذه المرحلة، ويمكنها تناول ثلاث وجبات غنية بأطعمة سيرتفود وعصير أخضر واحد يومياً.

وبعد الحمية يمكن تكرار هاتين المرحلتين بقدر ما تريد المرأة لفقدان المزيد من الوزن.

ويُنصح بتضمين النظام الغذائي المعتاد وجبات تعتمد على أطعمة سيرتفود بانتظام، كما يُنصح بالاستمرار في شرب العصير الأخضر كل يوم. وبهذه الطريقة يصبح نظام سيرتفود الغذائي بمنزلة تغيير في نمط الحياة، أكثر من نظام غذائي لمرة واحدة.

ويشكل العصير الأخضر جزءا مهما من حمية سيرتفود، إذ يُوصى بتناوله مرة إلى ثلاث مرات يومياً.

خطر تعرض الترقوة للكسر يرتفع مع التقدم في العمر

برلين - قالت الجمعية الألمانية لطب الحوادث إن كسر الترقوة يعدّ من الإصابات الشائعة خاصة لدى الأطفال والشباب نظرا إلى أن الترقوة لا تصبح صلبة تماما حتى عمر 20 عاما تقريبا، علما بأن الترقوة عبارة عن عظم يقع بين لوح الكتف في الظهر وعظم القص في منتصف الصدر.

وأضافت الجمعية أن خطر تعرض الترقوة للكسر يرتفع مع التقدم في العمر نظرا إلى ضعف العظام.

وتتعرض الترقوة للكسر بسبب السقوط والاصطدام والإصابات الرياضية، مشيرة إلى أن أعراض الكسر تتمثل في تورم الكتف وعدم القدرة على تحريكه أو الشعور بألم عند تحريكه وظهور كدمات عليه.

وفي الحالات البسيطة يتم علاج كسر الترقوة بواسطة مسكنات الألم مع ارتداء حمالة للذراع. وبعد إزالة الحمالة، قد يوصي الطبيب بتمارين إعادة تأهيل إضافية أو علاج طبيعي لاستعادة قوة العضلات وحركة المفاصل والمرونة.

وفي الحالات الصعبة مثل إزاحة الترقوة يتم اللجوء إلى الجراحة لتثبيت الترقوة بواسطة الشرائح والمسامير.

والترقوة المكسورة أو عظمة الترقوة المكسورة هي إصابة رياضية شائعة تحدث بشكل عام عند الاصطدام بالكتف أو السقوط على ذراع ممدودة، وقد تكون هذه الكسور جزئية أو كاملة وغالبًا ما تتطلب إصلاحًا جراحيا أو تثبيتا أثناء التئامها.

وكل كسر فريد من نوعه، لذلك من المهم أن يعمل الرياضي عن كثب مع طبيبه ومعالجه الطبيعي لتصميم برنامج إعادة تأهيل لكسر الترقوة يكون خاصًا بإصابته ومستوى لياقته ونمط حياته.

وبشكل عام، تم تصميم جميع برامج تمارين إعادة التأهيل لمساعدة الرياضي على استعادة النطاق الكامل للحركة ثم قوته الكاملة للسماح بالعودة إلى ممارسة الرياضة بأمان وسرعة.

وعظمة الترقوة، هي العظمة البارزة أسفل العنق وأعلى الصدر، وتعتبر واحدة من علامات الجمال لدى النساء.

الترقوة لا تصبح صلبة تماما إلى حدود سن العشرين

الخضراوات تفيد في إنقاص الوزن بشكل دائم أكثر من مثبطات الشهية

دوسلدورف (ألمانيا) - حذرت خبيرة التغذية أنجيلا كلاوزن من أن بعض مثبطات الشهية أو العلاجات التي يتم الإعلان عنها لسد الشهية أو حرق الدهون وإنقاص الوزن قد تكون ضارة، فضلا عن أنها لا تفيد في إنقاص الوزن بشكل دائم.

وأوضحت عضو مركز استشارات المستهلك بولاية نوردراين فستفالن الألمانية أن إنقاص الوزن عن طريق مدرات البول مثلا، وإن كان له تأثير سريع في إنقاص الوزن عن طريق التخلص من السوائل، إلا أنه في النهاية لا يعني التخلص من الدهون، بالإضافة إلى أن المواد التي تقلل من الشهية مثل الغلوكومانان قد تتسبب في انسداد معوي، إذا لم يتم شرب سوائل كافية معها، وعلى الرغم من أن هذه العلاجات تشعر المرء بالشبع، إلا أن الجوع سيعاود هجماته مرة أخرى بعد توقف مفعول العلاج، وهو ما يعرف بتأثير اليويو.

ونصحت الخبيرة الألمانية بتقليل الاعتماد على مثل هذه العلاجات واستبدالها بالخضروات والحبوب الكاملة الغنية بالألياف الغذائية، والتي تمد الجسم بالعناصر الهامة لعملياته الحيوية على العكس من مخفوق الحمية الغذائية عن طريق المساحيق، بالإضافة إلى أن العديد من المكملات الغذائية تحتوي على نسبة عالية من السكر والسعرات الحرارية.

ولا يقتصر مصطلح مثبطات الشهية على الأدوية التي يتمّ تناولها من أجل تخفيض الشهية، بل يمكن أن يشمل الأطعمة والمتمّمات الغذائية والطرق الغذائية التي تُساعد الشخص في إيقاف الشعور بالجوع لديه، وبعض الطرق تُقدّم فعالية أكبر من غيرها، إلّا أنّ شركات الأدوية المستعملة في هذا المجال يمكن أن تدّعي تقديم فائدة هائلة في إيقاف الشهية، إلّا أنّ الفائدة المرجوة منها لا تُعدّ معروفة بشكل كامل، كما أنّ بعضها له آثار جانبية خطيرة.

ويمكن للراغبين في إنقاص الوزن استعمال مثبطات الشهية الطبيعية نظرا إلى أنها لا تمثل خطورة على الصحة.

ومن مثبطات الشهية الطبيعية فاكهة الكمثرى لأنها غنية بالماء والألياف، فهي تخفف من الرغبة في تناول الحلويات وتطيل الشعور بالشبع في الأمعاء، حيث أن هضمها بطيء.

وكذلك الشاي الأخضر لأنه غني بالفلافونويد والبوليفينول ومضادات الأكسدة والكافيين، وهي مواد تنشط عملية التمثيل الغذائي وتقلل الالتهاب في الجسم وتساعد على حرق الدهون، والشوفان لأنه غني بالألياف التي تزيد بشكل طبيعي من الشعور بالشبع وتحسن الجراثيم المعوية، بالإضافة إلى تحفيز إنتاج هرمون السيروتونين.

بالإضافة إلى ذلك، تساعد الأطعمة الحرارية أيضا على زيادة التمثيل الغذائي وتعزيز حرق الدهون مثل الفلفل والقرفة والقهوة.

العرب
الأحد 2022/01/23
السنة 44 العدد 12306

ضغط الدم يغلي في عروق الشباب العربي

الجزائريون يعجزون عن كبح السيل الهائل للقلق الذي يغمرهم ويتسبب في ارتفاع ضغطهم

مرض ارتفاع ضغط الدّم الشـرياني من الأمراض التي شهدت ارتفاعا رهيبا فـي المجتمع الجزائري وخاصة لدى الشـباب الذين لا تتعدى أعمار بعضهم الثماني عشرة سنة وبنسب إصابة وصلت إلى ثلاثة أضعاف مقارنة بالنسب المتعارف عليها عالميا، وهذا بخلاف المعتقدات الطبية السّـائدة لدى الكثيرين بأن هذا المرض لا يصيب إلا كبار السِّن.

الشباب مستهدفون

الجزائر - قـال أخصائيون إن "مرض ارتفـاع ضغط الدم الشـرياني يسـجل انتشـارا بوتيـرة متسـارعة بالجزائـر ويسـجل منحى تصاعديا كبيرا". وحذّر الطبيـب المختـص فـي أمـراض القلب منصـف بلمولـود من انتشـار مشـاكل ارتفاع ضغط الدم وسـط شباب الجزائر، وخاصة أولئـك الذين لا تتعدى أعمارهم 18 سـنة، وهي نسـبة تصل إلـى ثلاثة أضعاف مقارنة بالنسبة المتعارف عليها عالميا، مشـيرا إلـى أن ارتفـاع الضغط الدموي هو أكثر أمراض القلب والأوعية الدموية شـيوعا فـي الجزائـر، وبلغت نسبته بين الشباب 25 في المئة.

وقـال المديـر العـام لـ"سـانوفي الجزائر" رأفت حنـين إن ارتفاع الضغط الدموي يختلف انتشاره وفقا للدراسات التي أجريت على السكان البالغين، حيث تبين الدراسـات أن نسـبة الانتشار بين البالغـين الجزائريـين وصلـت إلى 23.6 فـي المئـة، وبلغت 62 في المئـة في الفئة العمرية بين 60 و69 عاما.

وأضـاف المديـر العـام لسـانوفي الجزائر أن "هذا المرض المنتشـر بشـكل كبيـر في العالـم يعتبر من أهم مشـاكل الصحة العمومية في الجزائر".

> **القلق النفسي المرضي منتشر بدرجة كبيرة لدى الرجال في الجزائر، وخاصة عند الشباب بنسبة تتجاوز 85 في المئة**

وذكـر البروفيسـور سـليم بن خدة الأخصائـي فـي أمراض القلـب وعضو المؤسسـة الجزائرية للضغط الشـرياني (صحة) أن دراسة بينت أن 35 في المئة من الجزائريين (أكثر من 18 سـنة) مصابون بمرض ضغط الدم الشرياني، مضيفا أن هذا الداء قد انتشـر بفعل تغير العادات الغذائية ومشـاكل التلوث وقلة الأنشطة البدنية لدى السكان الجزائريين والقلق. ويقـوم هـذا المـرض الـذي لا توجد له أعراض بتدمير أجهزة الجسد الحساسة على غرار القلب والكلى والكبد.

ويؤكد مختصون أن هذا الداء مرتبط بالضغـوط النفسـية وأن الجزائريـين وخاصة الشباب يعيشون حالة من القلق والتوتـر والضغوط الناجمـة على يبدو مـن الأوضـاع الاجتماعية والسياسـية والاقتصادية للبلد.

ويعد القلق في الوقت الراهن مشكلة واضطرابا ذائع الانتشـار ومتغلغلا في المجتمعـات، فيما يعتقـد كثير من علماء النفـس المعاصريـن أن عصرنـا الحالي هو "عصر القلـق"، حيث تمثل الأمراض والاضطرابات النفسـية التـي يتعرض لها الإنسـان ظاهـرة جديـرة بالاهتمام والتساؤل.

الجزائري «المتنرفز»

قلـق، توتـر، فغضـب و"نرفـزة" واضطـراب تتبعه أزمة قلبية أو سـكتة دماغيـة.. هـي حالـة طالما تكـررت عند الجزائريـين، لاسـيما في المـدن الكبرى حتـى أن الجزائريـين باتـوا يُعرفـون بالشعب القلق و"المتنرفز"، وتُسبّب هذه الحالـة المضطربة العديد مـن الأمراض المستعصية المزمنة والقاتلة، كما يتدخل القلـق في التركيبـة الجوهرية لنحو 90 في المئـة من الأمراض التـي يصاب بها الجزائريـون، وفق ما أعلنـه مختصّون نفسـانيون وأطباء في ملتقيـات علمية عديدة.

ويعجز الجزائريون عن كبح السـيل الهائل للقلق الذي يغمرهم ويجرفهم في أحيـان كثيرة إلى حالات يرفضونها رغم محاولاتهـم العديدة لتغيير نمط حياتهم والتهوين مما يتعرضون له من مشـاكل، إذ يرغب أغلب من تشجّعوا لزيارة طبيب نفسي لعرض حالاتهم عليه، في تلقينهم طرقـا وحلـولا للتخلص مـن عصبيتهم وقلقهم الزائد، لاسـيما وأنهم قد يصلون إلـى مرحلـة اللاوعـي بمـا يقولونه أو يقترفونه لحظة قلقهم وغضبهم.

وقسّـم علماء نفس بجامعة الجزائر القلـق إلى 3 أقسـام العـادي والمرضي واللصيق بالنفس البشـرية وهذا الأخير يعد شـفرة نفسـية في كل البشر ويشعر صاحبه بالبحث عن النجاحات الدنيوية والأخروية لتحريـك النفس نحو تحقيق أهداف إنسانية.

أما القلق العادي الذي يلازم صاحبه لأكثـر مـن 3 أيـام فيدخـل إلـى مرحلة انتقالية لأمراض نفسـية منها التوترات والانفعالات المرضية والهيجان وربما قد يقود إلى الاكتئاب والعزلة وقد يصل إلى درجة الانتحار.

وعرّف القلـق المرضي بأنـه التطوّر النفسـي والمرضـي لمحيـط الإنسـان المعيشـي من الضغوط النفسية السلبية التـي تولـد إرهاصـات مرضيـة إذا لم تعالـج ممـا يجعل الإنسـان قلقـا جدا لأتفه الأسـباب، وقد تكون لها إسقاطات على الجانب العضوي في شـكل أمراض عضوية نتيجة الضغط النفسـي السلبي ومنهـا ضغط الـدم ومختلـف الأمراض القلبية.

ويأسـف علمـاء نفـس جزائريـون لانتشـار القلق النفسـي المرضي بدرجة كبيرة لـدى الرجال في الجزائر، وخاصة عند الشـباب بنسـبة 85 في المئة، بسبب الضغوط التي يعيشـونها، وهي نسـبة مرشـحة للارتفـاع إذا لم تعالـج نتيجة المحيـط الاجتماعـي السـلبي، كمـا أن النسـاء أيضا يعانين من المشكلة بدرجة أقـل، تناهز نسـبتها 43 فـي المئة وهي نسـب فـي مجملهـا مرتفعـة مقارنـة بالمجتمع الغربي.

ويؤكد البروفسور احسن شيبان أنه لا بديل عن التوعية لإيقاف زحف "القاتل الصامـت"، كمـا يسـمى، إضافـة إلـى التأسيس لثقافة صحية حول هذا المرض وسـط تلاميذ المدارس عـن طريق إدراج مقـررات حـول حفظ الصحـة العمومية ضمن المناهج الدراسية.

وقال شـيبان إن عاملَي التحسـيس والوقايـة يمثـلان أحسـن حـل لإيقاف الانتشار الواسـع لمرض ارتفاع الضغط الـذي يوصـف بالقاتـل الصامـت؛ لأنه ليسـت له أعراض واضحة، فـي الوقت الـذي تكون تعقيداته ثقيلة على الصحة؛ لأنه يسـبب الشـلل الدماغـي، القصور القلبي وحتـى القصور الكلـوي، وكلها أمراض تؤدي إلى الوفاة.

ويؤكـد مختصون أن سـبب تفشـي القلق لدى الشـباب هو البطالة، وحسب أحدث بيانـات حكومية جزائرية صدرت في مارس 2021، فإن نسبة البطالة بلغت نحـو 12 فـي المئة، بينما تتعـدى 20 في المئة لدى الشباب.

وصـدر لمجموعـة مـن الباحثـين الجامعيـين عـن دار الخلدونيـة كتـاب "الشـباب الجزائـري البطـال: دراسـة نفسـية اجتماعيـة". وقـال المؤلفون إن ما أثـار الانتبـاه لموضـوع البطالة في الجزائر هـو تـأزم الوضعية النفسـية والاجتماعيـة للشـباب. وأضافـوا أنّ الجزائري يعيش حالـة قلق دائم يتطلب منـه ذلك السـعي للتقليل منـه والتحكم في نفسـه قدر الإمكان، ناصحا بضرورة ممارسـة الرياضـة حيـث تعد أحسـن وسـيلة للتخلـص مـن كل الاضطرابات وذلـك بمعدّل 30 دقيقـة يوميا على الأقل وفق ما أجمع عليه المختصون.

شيشة ودهون

ضغط الدم آخذ في الانتشار في بلدان منطقة الشرق الأوسط وشـمال أفريقيا، وليس ثمة ما يشـير إلى أنه سينخفض، فهو يغلي مع فقاعات الشيشة (النرجيلة) بمقاهي ميدان التحرير في مصر، ويصعد على وجبات "الملصوقة" المقلية في شارع الحبيـب بورقيبة في تونس. فالناس من كل المشـارب والطبقـات يتأثـرون بقدر واحـد. ودون تغيير جذري، سـيتكبدون ثمنا بشريا واقتصاديا باهظا.

ويقـول البنـك الدولـي فـي تقرير نشـر على إحدى مدوناتـه إن التوترات المتصاعدة في الشـرق الأوسـط وشمال أفريقيا ليسـت فقـط مرادفـا للتغيرات السياسـية في المنطقة، بل إنها توترات جسـمانية أيضـا بالمعنـى الحرفـي للكلمـة. فارتفاع ضغط الـدم الناجم عن أنظمـة غذائيـة مترعة بالدهـون وغنية بالصوديوم (الموجود في الحلوى المحلية مثل الكنافة وفي المخللات "الطرشـي")، وفي التبغ (الشيشـة والسجائر)، وحياة الاسترخاء، يسـهم في وفاة ما يقرب من نصف مليون شخص في المنطقة سنويا.

وعلى مسـتوى العالـم، يؤثر ارتفاع ضغط الدم على أربعة من بين كل عشـرة أشـخاص بالغين، ولا تسـتثنى من ذلك بلدان المنطقة. ففي عام 2010 أصاب ضغط الدم شخصا واحدا من بين كل شخصين فـي بعض بلـدان المنطقـة مثـل ليبيا. وترتفع معدلات ضغط الـدم بين الرجال بنفـس المسـتوى عند النسـاء باعتباره أول المخاطر المسـببة للوفاة بين النساء وثانيها بين الرجـال. وما يثير المزيد من القلق، أن تفشـي هذا الـداء لم يتوار مع مـرور الوقـت. وخـلال العشـرين عاما الماضية ظل ارتفاع ضغط الدم ثابتا عند مسـتواه باعتباره ثاني أكبر الأسـباب المؤديـة إلى الوفـاة والإعاقة في المنطقة (نتيجـة أساسـا للمخاطـر الناجمة عن التغذيـة). وإذا لـم يتـم الإسـراع بفعل شـيء، فلا يتوقع أن يبرح المرض ترتيبه الثاني قريبا.

ضغط الدم يواصل ارتفاعه

وعواقـب ارتفـاع ضغـط الـدم في منطقة الشـرق الأوسط وشـمال أفريقيا خطيرة ومثيرة للقلـق والجزع. وإذا لم يتم علاجه، فإنه يؤدي إلى انسـداد في الأوعيـة الدمويـة والسـكتة الدماغية، وهما مـن الأسـباب الرئيسـية للوفاة والإعاقـة في المنطقـة. كمـا أن التكلفة الاقتصاديـة لارتفاع ضغـط الدم هائلة. وقـدرت دراسـة أجريـت عـام 2007 ما يتكبـده إجمالـي النـاتج المحلـي من خسائر نتيجة الإصابة بأمراض القلب والشرايين والسكري في مصر بحوالي 100 مليون دولار. وهذا الرقم زاد بنسبة 125 في المئة بحلول عـام 2015. ونظرا للوضـع المالي المتأزم في مصر، فإن هذا ببساطة شيء لا يُحتمل.

إلا أن هذا الأمر يمكن تفاديه. فارتفاع ضغـط الدم ليس قابلا للمنع والعلاج فقط، بل إن منح الأولويـة للتدخلات ينطـوي أيضا على خفض للتكلفة. ويمكن الحد من الإصابة بضغط الدم من خـلال تخفيض جرعات الملح (الاسـتغناء عن الطرشـي)، واتباع نظام غذائي متـوازن (تجنب الإفراط في تنـاول الحلوى)، والإقلاع عـن التدخين (التوقف عن تدخين الشيشة والسجائر)، وممارسة الرياضة بانتظام (الاستعاضة بالمشـي عن ركوب السـيارة). ومن شأن الرصـد المبكـر والفحص المنتظـم، رغم ندرتهما في أغلب بلدان المنطقة، أن يحد من الأعراض والمضاعفات بشـكل فعال. وثمة خيـارات كثيرة للعـلاج من بينها توفير الأدوية بأسعار معقولة.

وتظهـر الأبحـاث أنـه مـن الأوفـر لحكومـات بلـدان المنطقـة أن تقدم هذه الأدويـة مقدما، حتى للفئات التي تواجه مخاطر متوسـطة وعالية، من أن تتحمل في ما بعد تكاليف العناية المركزة.

> **التوترات المتصاعدة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ليست فقط مرادفا للتغيرات السياسية، بل إنها توترات جسمانية أيضا**

ويتساءل مراقبون عن سبب تواصل ارتفـاع ضغط الـدم في بلـدان المنطقة؟ ربما هناك أسباب منهجية تتعلق بالنظم الصحية. فنظرا لمستويات الدخل لديها، فإن حكومات المنطقة لا تنفق سوى النزر اليسـير على الرعاية الصحية مما يؤدي إلى تحمل المرضـى لأغلب التكاليف. في حـين تتحمل الأسـر فـي بلـدان المغرب والمشـرق حوالي 40 في المئة من تكاليف الرعايـة الصحيـة، ممـا يضطرها إلى التغاضـي عن هذه الرعايـة أو مواجهة الفقر بسـبب التكاليف الطبيـة. ويزداد ذلـك تعقيـدا بعـدم اسـتجابة الأنظمة الصحيـة لاحتياجـات المرضـى فضلا عـن ابتلائها بارتفاع مسـتوى الفسـاد وانخفاض مستوى الثقة.

وفي مـا يتعلق بأمراض ضغط الدم خاصة، فإن المنطقة لم تستثمر في الحد مـن مسـببات المـرض. ورغـم أنها من الموقعين على الاتفاقية الإطارية لمكافحة التبـغ، فإنها لم تتخذ الإجراءات الفعالة لمكافحـة التبـغ، فالضرائب علـى التبغ منخفضـة، والقليـل من البلـدان لديها تشـريعات تمنع التدخـين، وليس هناك سـوى بلدين اثنـين هما اللـذان أطلقا تحذيرات قوية على علب السجائر (وهي التي وجد أنها فعالة للغاية في تقليص المدخنـين للتدخـين). وتحـد التقاليـد الاجتماعيـة والثقافيـة وعـدم توفـر السـاحات العامة من ممارسة الرياضة بانتظام، وهو ما انعكس بشكل واضح على معاناة السيدات في المنطقة من أعلى معدلات للسمنة في العالم. وعلاوة على ذلك، يجعل ضعف المتابعة ونقص البيانات الموثوقة من الصعوبة بمكان على الأجهزة الصحية تتبع معدلات تفشي المرض والتعامل معه بالشكل اللائق.

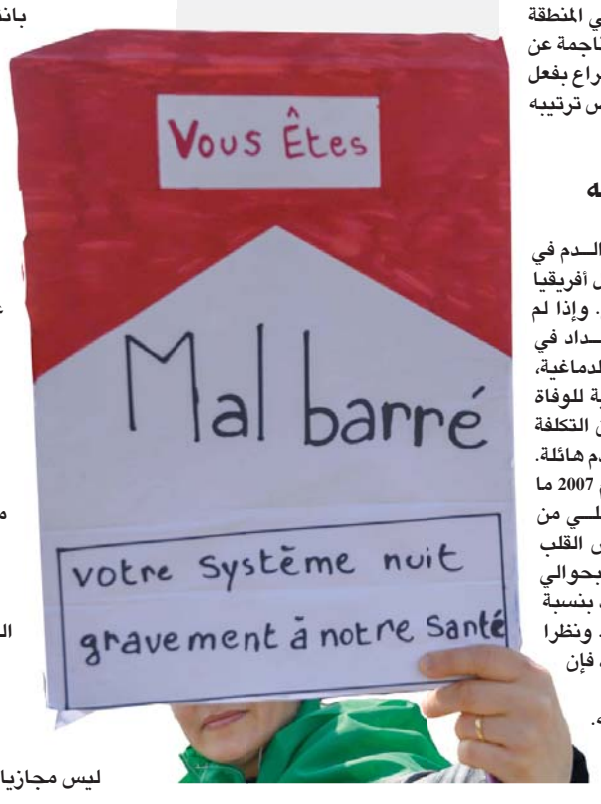

وتشكل رداءة الوقاية والرصد لارتفاع ضغط الدم وإدارته مؤشرا على العديد من الفجوات في أنظمة الرعاية الصحية في المنطقة. ويقول البنك الدولي ينبغي أن تؤدي إقامة أنظمة عادلة وقابلة للمساءلة إلى المساعدة في تخفيض ضغط الدم المتصاعد، ليس مجازيا فقط، بل فعليا أيضا.

القلق يجمعنا

حياة غير صحية تقصر العمر

العرب
الأحد 2022/01/23
السنة 44 العدد 12306

صدمة الكان تزعزع ثقة الجزائر وبلماضي في قفص الاتهام

وداع محاربي الصحراء يضع مصر وتونس أمام اختبار صعب

لعنة الأبطال تضرب مجددا مع خروج الجزائر

يعيش الاتحاد الجزائري لكرة القدم في الآونة الأخيرة حالة من عدم الاستقرار انعكست بالسلب على أداء المنتخب الأول الذي سجل مشاركة مخيبة في نهائيات أمم أفريقيا الجارية بالكاميرون. وودع منتخب الجزائر حامل اللقب البطولة القارية بعدما أخفق في تحقيق أي فوز. ورغم أن مسؤولية الأداء الضعيف في البطولة القارية تقع على عاتق اللاعبين والجهاز الفني بقيادة المدرب جمال بلماضي، إلا أن الاتحاد الجزائري يتحمل جزءا كبيرا من المسؤولية، خاصة في ظل الفوضى والمهازل التي يعيشها أخيرا.

الجزائر - حللت وسائل الإعلام الرياضية الجزائرية خروج منتخبها حامل اللقب من الدور الأول لكأس الأمم الأفريقية لكرة القدم بعناوين مثل "هزيمة منطقية" و"سقوط الملوك"، وذلك إثر الخسارة القاسية أمام كوت ديفوار 1 – 3، في وقت اعتبر رئيس البلاد أن "هذا هو منطق كرة القدم"، متمنيا حظا أوفر لمنتخب بلاده الذي يستعد لخوض الدور الحاسم من تصفيات مونديال قطر 2022.

وعلق موقع "دي زد فوت" المتخصص على خسارة الجزائر أمام كوت ديفوار، معتبرا أنها "هزيمة منطقية ثقيلة تقضي على آمالنا في بلاد الكاميرون"، مضيفا "انتهى الأمر بالغرق في وجه الأفيال الذين سيطروا بشكل كامل".

وتابع الموقع "علينا الآن أن نداوي جراح هذا الفشل حتى لا تفوتنا مسيرة التصفيات"، حيث يأمل منتخب "محاربي الصحراء" في التعويض والتأهل إلى كأس العالم عبر التصفيات الأفريقية التي وصلت إلى دورها الأخير الحاسم الذي تجرى قرعته السبت في دوالا. وتصدر عنوان موقع "لا غازيت دو فينيك" المتخصص بكرة القدم بـ"سقوط الملوك"، لكنه دعا الفريق أيضا إلى "إعادة رص الصفوف" في الدور الحاسم من تصفيات كأس العالم. وغرد الرئيس عبدالمجيد تبون بعد وقت قصير من خسارة "محاربي الصحراء" الذين توجوا باللقب في النسخة الأخيرة عام 2019 على حساب السنغال، بقوله "هذا هو منطق كرة القدم.. يبقى الكبير كبيرا، فلا تيأسوا، نشجعكم ونقف وراءكم، اليوم وغدا.. حظا أوفر في المقابلات القادمة".

ووصل المنتخب الجزائري إلى المسابقة القارية من دون هزيمة في 35 مباراة، إلا أنّ هذا الإنجاز النوعي تحطّم في الكاميرون بخسارة صادمة أمام غينيا الاستوائية. ونقلت وكالة الأنباء الجزائرية عن وزير الشباب والرياضة عبدالرزاق سبقاق "دعمه" لفريق "جعل الفرح والفخر للجزائريين" طوال ثلاث سنوات. ورأى سبقاق أنّ هذه الهزيمة "الفادحة" لا تقلل بأي حال من "قيمة" هذا الفريق وأن هذا الإقصاء "لا يعني بأي حال من الأحوال نهاية مسيرته". وكان المنتخب الجزائري، بطل أفريقيا عام 1990، أُقصي من الدور الأول أيضا عام 1992 في السنغال بعد هزيمته 0 – 3 أيضا أمام كوت ديفوار التي تُوجت في ما بعد باللقب.

آخر مسلسل المهازل والأخطاء الساذجة التي وقع بها الاتحاد الجزائري ما حدث عقب نهاية المواجهة ضد كوت ديفوار بعدما فضل كل اللاعبين المحترفين المغادرة إلى باريس، للالتحاق بأنديتهم، وعدم الانتظار للعودة في طائرة المنتخب. ولم يتوقف الأمر عند هذا، حيث اضطر اللاعبون، وبعض من أفراد الجهاز الفني المقيمين بفرنسا، إلى الانتظار لوقت طويل في بهو المطار للصعود إلى الطائرة، فيما تعرض بعضهم لمواقف محرجة، على غرار رياض محرز الذي اضطر للوقوف في طابور لتأكيد حجزه مع الخطوط الجوية الفرنسية!

لعنة الأبطال

تاريخيا، كان من الصعب جدا على المنتخبات الاحتفاظ بالألقاب الدولية الكبرى، ولم ينجح أي فريق في الدفاع عن لقب كأس العالم منذ البرازيل عام 1962، فيما كانت إسبانيا في عام 2012 الدولة الوحيدة التي احتفظت بلقب كأس أوروبا. وفي القارة الأفريقية تبدو الأمور أسوأ أيضا لأن منتخبا بطلا وحيدا نجح في تجاوز دور المجموعات منذ أن توجت مصر باللقب الثالث توالياً عام 2010، وهو المنتخب الكاميروني في النسخة الماضية عام 2019 لكن مشواره انتهى في الدور ثمن النهائي. والأسوأ من ذلك أن مصر فشلت حتى في التأهل إلى نهائيات عام 2012 بعد تتويجها باللقب قبلها بعامين، على غرار نيجيريا التي غابت عن نهائيات 2015 بعدما توجت بلقب النسخة التي سبقتها.

وكان المدرب الفرنسي لكوت ديفوار باتريس بوميل مساعدا لمواطنه هيرفيه رينارد حين قاد الأخير زامبيا إلى الفوز باللقب القاري عام 2012، وهو رأى أنه "من الصعب دائما النجاح في الدفاع عن اللقب لأنها كأس مرغوبة من الجميع وعندما فزنا بها عام 2012 مع زامبيا، ألهمنا الكثير من المنتخبات للسير على خطانا". وتابع "زامبيا كانت منتخبا رائعا ولكن لا يمكن القول إنه سيكون من المنافسين للفوز في كل مرة. الكل يريد أن يذهب بعيدا ولا نعرف من سيفوز به (اللقب)". ومنذ رفع عدد المنتخبات المشاركة في النهائيات إلى 16 قبل قبل ربع قرن من الزمن، كان اللقب من نصيب منتخب من شمال القارة كلما أقيمت كأس الأمم الأفريقية في شمال أفريقيا.

لكن منتخبات شمال أفريقيا عانت في كثير من الأحيان في أماكن أخرى من القارة، باستثناء مصر التي فازت في غانا عام 2008 وأنغولا في 2010. وأشار بلماضي في أكثر من مناسبة إلى الظروف الصعبة كسبب لمعاناة فريقه خلال مبارياته في دوالا، العاصمة الاقتصادية للكاميرون، نتيجة ارتفاع الحرارة والرطوبة. وبعد بداية مخيبة حيث ابتعد المشجعون بأعداد كبيرة بسبب قواعد فايروس كورونا المطبقة في المباريات، ازداد الحضور بشكل ملحوظ ووصل إلى 30 ألفا في مباراة دوالا الخميس.

ويبدأ الدور الإقصائي الأوّل الأحد حيث تلعب نيجيريا، الوحيدة التي فازت بجميع مبارياتها الثلاث في دور المجموعات، مع تونس في إحدى أقوى مباريات ثمن النهائي. ولا يزال البلد المضيف، المغرب، كوت ديفوار، مصر محمد صلاح، وسنغال زميله في ليفربول الإنجليزي ساديو مانيه في البطولة أيضا، لكن توسيع المشاركة في النهائيات سمح أيضا لمنتخبين صغيرين بالتواجد في الأدوار الإقصائية. وفي مشاركتها الأولى على الإطلاق في البطولة القارية، حققت جزر القمر المفاجأة وتأهلت إلى ثمن النهائي بفوزها في الجولة الأخيرة على غانا الفائزة باللقب أربع مرات.

وبمنتخب مصنف في المركز 132 عالميا وبتشكيلة مكونة بغالبيتها من الهواة، تتحدى جزر القمر في ثمن النهائي المنتخب الكاميروني المضيف. ورغم أنها المنتخب الأدنى تصنيفا في البطولة وتحتل المركز 150 عالميا، تأهلت غامبيا إلى ثمن النهائي وفي رصيدها سبع نقاط. وكشف مدربها البلجيكي توم سانتفييت أنه "عندما وصلت في يوليو 2018، لم تكن غامبيا قد فازت بمباراة تنافسية منذ خمس سنوات. لم يكن هناك أمل. كان الفريق في المركز 172 عالميا. قلت إنني هنا لأؤهل غامبيا وكان الجميع يعتقد أني مجنون".

اختبار صعب

أسدل الستار على منافسات دور المجموعات ببطولة كأس الأمم الأفريقية المقامة حاليا في الكاميرون. وتنطلق منافسات ثمن النهائي الأحد، وستكون لقاءات المنتخبات العربية صعبة وقوية. ويصطدم المنتخب المصري بكوت ديفوار، أما تونس فستواجه نيجيريا. ويلتقي منتخب المغرب ضد مالاوي، أما جزر القمر فستواجه الكاميرون صاحبة الضيافة.

وبعدما شهدت البطولة مشاركة قياسية للكرة العربية، حيث مثلتها 7 منتخبات في مرحلة المجموعات، فقد حجزت 4 مقاعد فقط بدور الـ16، حيث يتعلق الأمر بمنتخبات مصر والمغرب وتونس وجزر القمر، فيما ودعت الجزائر وموريتانيا والسودان المسابقة من دور المجموعات. وتصدر المنتخب المغربي ترتيب المجموعة الثالثة برصيد 7 نقاط، متفوقا بفارق نقطتين على أقرب ملاحقيه منتخب الغابون، فيما حقق منتخب جزر القمر تأهلا تاريخيا للدور المقبل بفضل فوزه التاريخي 3 – 2 على منتخب غانا في ختام مبارياته بالمجموعة.

وتواجد منتخب جزر القمر في المركز الثالث برصيد 3 نقاط، ليصبح ضمن أفضل 4 ثوالث في المجموعات الست بالدور الأول، تاركا منتخب غانا، الذي يمتلك 4 ألقاب في المسابقة، في قاع الترتيب برصيد نقطة واحدة، ليخرج من مرحلة المجموعات في البطولة للمرة الأولى منذ نسخة عام 2006 بمصر في مفاجأة مدوية، ليواصل منتخب (النجوم السوداء) تراجع نتائجه في النسخ الأخيرة للمسابقة. وفي المجموعة الرابعة، صعد المنتخب المصري، صاحب الرقم القياسي في عدد مرات الفوز بالبطولة برصيد 7 ألقاب، للدور المقبل، بعدما احتل المركز الثاني في ترتيب المجموعة برصيد 6 نقاط، بفارق 3 نقاط خلف منتخب نيجيريا (المتصدر)، فيما احتل منتخب السودان المركز الثالث برصيد نقطة واحدة، لكنه عجز عن التواجد ضمن أفضل ثوالث، ليفشل في استكمال مشواره في البطولة التي توج بها عام 1970 على ملاعبه.

> منتخب الجزائر كرر سيناريو نسخة البطولة عام 1992 بالسنغال عندما خرج من الدور الأول دون تحقيق أي فوز

وجاءت الصدمة الكبرى للكرة العربية من المنتخب الجزائري الذي تذيل ترتيب المجموعة الخامسة برصيد نقطة واحدة، بعد تعادله سلبيا مع سيراليون وخسارته 0 – 1 أمام غينيا الاستوائية و1 – 3 أمام كوت ديفوار، ليصبح أول حامل للقب يخسر مباراتين بمرحلة المجموعات منذ المنتخب الكاميروني في نسخة المسابقة عام 1990 التي استضافتها الجزائر. وبذلك، كرر منتخب الجزائر سيناريو نسخة البطولة عام 1992 بالسنغال، عندما خرج من الدور الأول دون تحقيق أي فوز بخسارته 0 – 3 أمام كوت ديفوار وتعادله 1 – 1 مع الكونغو، حيث كانت المجموعة تضم 3 منتخبات فقط حينها، ليفشل في الحفاظ على لقبه، الذي أحرزه في النسخة السابقة عام 1990.

أما المنتخب التونسي الفائز بالبطولة عام 2004، فواجه سوء حظ بالغ خلال البطولة، بدءا من خسارته المثيرة للجدل 0 – 1 أمام نظيره المالي في الجولة الأولى للمجموعة السادسة، والتي تلتها مطاردة فايروس كورونا للعديد من عناصره الأساسية، ليأتي تأهله لدور الـ16 بشق الأنفس، بعدما تواجد ضمن أفضل ثوالث. واحتل منتخب تونس المركز الثالث في المجموعة برصيد 3 نقاط، متأخرا بفارق 4 نقاط خلف منتخبي مالي وغامبيا، اللذين احتلا المركزين الأول والثاني على الترتيب، فيما تذيلت موريتانيا الترتيب بلا رصيد من النقاط، عقب خسارتها في جميع مبارياتها.

مواجهة عربية

سيكون 3 من ممثلي الكرة العربية في الأدوار الإقصائية أمام اختبارات قاسية بدور الـ16، حيث تشهد صداما للمنتخب المصري مع منتخب كوت ديفوار، متصدر ترتيب المجموعة الخامسة، الذي توج باللقب عامي 1992 و2015، وستكون المواجهة أشبه بنهائي مبكر في البطولة. وفي المقابل، سيكون المنتخب المغربي في مواجهة أسهل كثيرا بالدور المقبل أمام منتخب مالاوي، الذي اجتاز مرحلة المجموعات في البطولة للمرة الأولى، بعد تواجده ضمن أفضل ثوالث، حيث احتل المركز الثالث بترتيب المجموعة الثانية برصيد 3 نقاط، خلف منتخبي السنغال وغينيا.

وفي حال اجتياز المنتخبين المصري والمغربي عقبة دور الـ16، فمن المنتظر أن يشهد دور الثمانية مواجهة عربية مرتقبة بينهما، لتكون الأولى بينهما بعدما سبق أن التقيا بنفس الدور بنسخة عام 2017 في الغابون، حين حسم منتخب الفراعنة المواجهة لصالحه بالفوز 1 – 0.

وسيتعين على منتخب تونس خوض مواجهة غاية في الصعوبة بدور الـ16 ضد منتخب نيجيريا متصدر ترتيب المجموعة الرابعة الأحد.

> البطولة شهدت مشاركة قياسية للكرة العربية، مثلتها 7 منتخبات في مرحلة المجموعات، حجزت 4 مقاعد بدور الـ16

ويعد منتخب نيجيريا، الفائز باللقب أعوام 1980 و1994 و2013، هو الوحيد بين المنتخبات الـ24 التي شاركت في دور المجموعات، الذي حقق العلامة الكاملة، بفوزه في جميع مبارياته الثلاث بالدور الأول.

وفي حال تأهل تونس لدور الثمانية، فسوف تكون على موعد مع مواجهة أقل ضراوة نسبيا، ضد الفائز من مباراة منتخبي بوركينا فاسو والغابون. أما منتخب جزر القمر فسيكون على موعد مع منتخب الكاميرون، المدعم بعاملي الأرض والجمهور، في دور الـ16، حيث يحلم بمواصلة مفاجآته أمام منتخب (الأسود غير المروضة)، متصدر ترتيب المجموعة الأولى برصيد 7 نقاط، الذي فاز باللقب 5 مرات كان آخرها في نسخة المسابقة عام 2017. وفي حال تحقيق منتخب جزر القمر المفاجأة وصعوده لدور الثمانية، فمن المقرر أن يلتقي مع الفائز من مباراة غينيا، صاحبة المركز الثاني في المجموعة الثانية وغامبيا، التي احتلت المركز ذاته بالمجموعة السادسة.

كما يشهد دور الـ16 مواجهة سهلة نسبيا لمنتخب السنغال، متصدر ترتيب المجموعة الثانية، الذي مازال يبحث عن لقبه الأول في البطولة، حيث يلتقي مع منتخب الرأس الأخضر (كاب فيردي)، صاحب المركز الثالث بالمجموعة الأولى. ومن المقرر أن يلعب الفائز من السنغال وكاب فيردي في دور الثمانية مع الفائز من لقاء منتخب غينيا الاستوائية، صاحب المركز الثاني بالمجموعة الخامسة والمنتخب المالي.

العرب
الأحد 2022/01/23
السنة 44 العدد 12306

صراع النسور يطبع مواجهة تونس ونيجيريا في أمم أفريقيا

بوركينا فاسو تتحدى الغابون على بطاقة دور الثمانية

تنطلق الجولة الثانية من بطولة أمم أفريقيا المقامة بالكاميرون على وقع مواجهة ثأرية بين منتخبي تونس ونيجيريا فيما يتحين منتخب الغابون مفاجأة الدورة الفرصة للعبور إلى دور الثمانية كأول إنجاز له في تاريخه.

مواجهة صعبة

جاروا (الكاميرون) - تستهل تونس اليوم الأحد سباق الأدوار الإقصائية في أمم أفريقيا بمواجهة هامة وضعها تصنيفها أمام النسور النيجيرية التي تبدو في أوج عطائها، فيما يلاقي منتخب الغابون نظيره منتخب غينيا الاستوائية على بطاقة الدور ربع النهائي.

وسيكون منتخب تونس أمام تحد جديد في مشواره بالبطولة التي يدخلها برهان المنافسة على اللقب لكن شاءت الأزمة الصحية أن تبعثر أوراق نسور قرطاج.

ورغم سوء الحظ الذي يطارد منتخب نسور قرطاج منذ انطلاق البطولة، لكنه يرفع راية التحدي أمام منتخب النسور الخضراء المحلقة أملا في نيل ورقة الترشح لدور الثمانية واستمرار المشوار في المسابقة التي توج بها عام 2004.

وبدأ الحظ العاثر يطارد منتخب تونس منذ لقائه الأول في المجموعة السادسة بالدور الأول، الذي خسره 0 – 1 أمام منتخب مالي، والذي شهد أحداثا مثيرة للجدل كان بطلها الحكم الزامبي جاني سيكازوي الذي أدار المباراة بعدما أنهى اللقاء قبل موعد انتهاء الوقت الأصلي وسط دهشة الجميع.

> منتخب نيجيريا قدم أوراق اعتماده كأحد المرشحين للفوز باللقب القاري بعدما حقق العلامة الكاملة بمرحلة المجموعات

وتواصلت متاعب منتخب تونس في البطولة بعدما أصيب عدد من لاعبيه بفايروس كورونا قبل مباراته مع نظيره الموريتاني في الجولة الثانية للمجموعة، لكنه كسب الرهان في النهاية بعدما تغلب 4 – 0 على المنتخب الملقب بـ"المرابطون".

وسرعان ما تلقى منتخب تونس صدمة أخرى قبل مباراته ضد غامبيا بعدما أصيبت دفعة جديدة من اللاعبين بعدوى كورونا من بينهم وهبي الخزري وعلي معلول وغيلان الشعلالي، ليتأثر الفريق بتلك الغيابات المؤثرة بطبيعة الحال ويتلقى خسارة في الثواني الأخيرة 0 – 1 أمام منافسه الذي يشارك للمرة الأولى في أمم أفريقيا لكنها لم تكن مؤثرة في بلوغه دور الـ16 بعدما حل في المركز الثالث برصيد 3 نقاط ليتواجد ضمن أفضل 4 ثوالث في المجموعات الست بالدور الأول.

ولم يقف سوء الحظ عند هذا الحد بالنسبة إلى المنتخب التونسي بعدما أهدر ثلاث ضربات جزاء في مبارياته الثلاث بالدور الأول حيث كان تسجيلها كفيلا بتحسين ترتيبه في المجموعة والابتعاد عن هذا الصدام المبكر ضد منتخب نيجيريا.

وأهدر وهبي الخزري ركلة جزاء أمام مالي قبل أن يتكرر الأمر مع يوسف المساكني وسيف الدين الجزيري في مباراتي موريتانيا وغامبيا على الترتيب.

وتأكد غياب حمزة المثلوثي والحارس فاروق بن مصطفى عن لقاء نيجيريا لأسباب انضباطية، حيث تلقى ظهير أيمن الزمالك المصري الإنذار الثاني في مواجهة غامبيا، التي شهدت حصول حارس مرمى الترجي التونسي على بطاقة حمراء رغم جلوسه على مقاعد البدلاء في المباراة.

ويأمل المنتخب التونسي في تعافي لاعبيه المصابين بكورونا قبل مباراة نيجيريا التي تأتي بعد 72 ساعة فقط من لقاء غامبيا حتى يصبح بإمكانهم تعزيز صفوف الفريق قبل تلك المواجهة الهامة أمام متصدر ترتيب المجموعة الرابعة.

وقدم منتخب نيجيريا الذي يمتلك 3 ألقاب في البطولة، أوراق اعتماده رسميا كأحد المرشحين البارزين للفوز باللقب القاري، بعدما جذب الأنظار إليه خلال لقاءاته بالدور الأول، حيث كان هو المنتخب الوحيد من بين المنتخبات المتأهلة للأدوار الإقصائية الذي حقق العلامة الكاملة بمرحلة المجموعات عقب فوزه في جميع مبارياته.

ودائما ما تتسم مواجهات المنتخبين التونسي والنيجيري بالإثارة والندية، وهو ما تكشفه لغة الأرقام الخاصة في تاريخ مواجهاتهما المباشرة، حيث التقيا في 19 مباراة، حقق كل منتخب 6 انتصارات على الآخر، فيما فرض التعادل نفسه على 7 لقاءات.

ورغم ذلك، فإن تاريخ لقاءات المنتخبين في أمم أفريقيا والتي بدأت بنسخة المسابقة التي جرت بغانا عام 1978 ينحاز للنسور الخضراء، ففي 5 مواجهات جرت بينهما حققت نيجيريا 4 انتصارات كان آخرها في مباراة تحديد المركزين الثالث والرابع بالنسخة الماضية التي أقيمت بمصر عام 2019، حينما فازت 1 – 0.

ومن المقرر أن يلتقي الفائز من تلك المباراة التي تقام بملعب رومدي أدجيا بمدينة جاروا في دور الثمانية مع الفائز من مباراة بوركينا فاسو والغابون التي تقام الأحد أيضا.

وبدوره يقص منتخبا بوركينا فاسو والغابون شريط منافسات الأدوار الإقصائية وذلك عندما يلتقيان الأحد في أولى مباريات دور الـ16 للمسابقة القارية.

وبعدما عجزا عن التأهل إلى النسخة الماضية للبطولة التي أقيمت بمصر عام 2019، أظهر المنتخبان البوركيني والغابوني الكثير من رباطة الجأش خلال مشاركتهما في النسخة الحالية للبطولة بعدما اجتازا دور المجموعات عن جدارة ليحدوهما الأمل في مواجهة الأحد لمواصلة مغامرتهما في المسابقة.

وصعد منتخب بوركينا فاسو إلى دور الـ16 بعدما احتل المركز الثاني بترتيب المجموعة الأولى برصيد 4 نقاط بفارق 3 نقاط خلف منتخب الكاميرون (المتصدر)، مستفيدا من تفوقه بفارق المواجهة المباشرة على منتخب الرأس الأخضر (كاب فيردي) صاحب المركز الثالث الذي تساوى معه في نفس الرصيد.

ويتطلع منتخب بوركينا فاسو لعبور عقبة نظيره الغابوني بعدما سبق أن تغلب عليه 3 – 0 وديا قبل أسبوع فقط من انطلاق البطولة.

وحجز منتخب الغابون مقعده بدور الـ16 عقب حلوله في المركز الثاني بترتيب المجموعة الثالثة برصيد 5 نقاط بفارق نقطتين خلف منتخب المغرب المتصدر.

بيب غواردیولا يؤكد ولاءه التام للسيتي

لندن - كشف بيب غواردیولا مدرب مانشستر سيتي أنه قد يتخذ قرارا بخصوص مستقبله في نهاية الموسم الجاري، لكنه أكد بوضوح أنه لن "يخدع" ناديه متصدر الدوري الإنجليزي الممتاز لكرة القدم.

ويرتبط المدرب الإسباني، الذي تولى المسؤولية في 2016، بعقد حتى نهاية موسم 2022 – 2023.

وقال غواردیولا للصحافيين قبل مواجهة ساوثهامبتون في الدوري أمس السبت "ليس جيدا بما يكفي لأفكر في المدى البعيد".

وأضاف "يتحدد مستقبلي دائما بناء على النتائج، لذا سنلعب ضد ساوثهامبتون وسنحصل على بعض الراحة، وبعد ذلك في نهاية الموسم سنرى ما سيحدث".

وتابع "لقد منحني (النادي) كل شيء، لذا لا يمكن أن أخدعه أو أفعل أي شيء خاطئ نحوه".

ويسير غواردیولا نحو قيادة سيتي لإحراز لقب الدوري للمرة الرابعة في خمس سنوات، كما توج بكأس الرابطة وكأس الاتحاد أربع مرات. ويتصدر سيتي الدوري بفارق 11 نقطة عن أقرب منافسيه بعد 22 جولة.

وقال المدرب الإسباني "اتخذنا معا القرارات بخصوص حضوري إلى هنا وتمديد التعاقد في مناسبتين، وسنفعل الأمر ذاته الآن. يتعلق الأمر بمشاعر النادي نحوي، وحول شعوري لنفسي وللنادي".

وأضاف "أشعر أني في حالة جيدة وأشعر بالراحة. عندما لا أملك الطاقة وأشعر بالإرهاق والتعب، فإني أكون متأكدا من الرحيل، لكن في الوقت الحالي لديّ مشاعر إيجابية".

وكان مانشستر سيتي قد حسم صفقة هجومية جديدة في الساعات القليلة الماضية، بعدما أتم اتفاقه مع أحد المواهب البارزة في الملاعب الأرجنتينية.

ووفقا لصحيفة "أوليه" الأرجنتينية فإن المان سيتي توصل إلى اتفاق بالفعل مع ريفر بليت بشأن التعاقد مع لاعبه جوليان ألفاريز.

> غواردیولا أكد أنه قد يتخذ قرارا بخصوص مستقبله بنهاية الموسم لكنه أعلن بوضوح أنه لن يخدع ناديه متصدر الدوري الإنجليزي

وأشارت إلى بلوغ قيمة الصفقة 15 مليون جنيه إسترليني، لكن الاتفاق تضمن بقاء صاحب الـ21 عاما مع فريقه الحالي حتى نهاية الموسم على الأقل.

وعلى الأرجح، سينتقل ألفاريز إلى صفوف الفريق السماوي الصيف المقبل، وهناك احتمال لإبقاء ريفر بليت عليه حتى نهاية العام.

ويرغب العملاق الأرجنتيني في الاحتفاظ بلاعبه حتى الانتهاء من مشواره في كأس ليبرتادوريس، التي تنتهي في نوفمبر القادم، لينتقل بعدها إلى ملعب الاتحاد في يناير 2023.

ويأتي ذلك رغم حاجة السيتي الماسة إلى مهاجم جديد، لعدم امتلاكه رأس حربة صريح ضمن صفوفه هذا الموسم.

مواجهات صعبة للمنتخبات العربية في التصفيات الأفريقية المؤهلة للمونديال

دوالا (الكاميرون) - أسفرت قرعة المرحلة النهائية للتصفيات الأفريقية المؤهلة لبطولة كأس العالم لكرة القدم، المقررة في قطر هذا العام، والتي جرت السبت بمدينة دوالا الكاميرونية على هامش بطولة كأس الأمم الأفريقية المقامة حاليا بالكاميرون، عن مواجهات صعبة للمنتخبات العربية ممثلة في مصر والجزائر وتونس، فيما جاءت متوازنة للمنتخب المغربي.

وأوقعت القرعة المنتخب المصري في مواجهة مع نظيره السنغالي لتشهد مواجهة مرتقبة بين محمد صلاح وساديو ماني، لاعبي فريق ليفربول الإنجليزي.

كما يلتقي منتخب الجزائر مع المنتخب الكاميروني، فيما يواجه المنتخب المغربي منتخب الكونغو الديمقراطية، ويلاقي منتخب تونس منتخب مالي في مواجهة متجددة بينهما، بينما يلعب منتخب غانا مع المنتخب النيجيري.

وتم تقسيم المنتخبات العشرة المتأهلة للمرحلة النهائية إلى مستويين، بناء على التصنيف العالمي للمنتخبات الصادر عن الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) في نوفمبر الماضي، بواقع خمسة منتخبات في كل مستوى، على أن يلتقي كل منتخب من المستوى الأول مع أحد منتخبات المستوى الثاني في مباراتين ذهابا وعودة، خلال الفترة من الرابع والعشرين إلى التاسع والعشرين من مارس القادم، لتتأهل في النهاية خمسة منتخبات ممثلة عن القارة السمراء في المونديال.

وخلال القرعة، تم وضع منتخبات المستوى الأول، الذي ضم السنغال وتونس والمغرب والجزائر ونيجيريا في وعاء واحد، فيما ضم الوعاء الآخر منتخبات المستوى الثاني، الذي ضم مصر والكونغو الديمقراطية والكاميرون وغانا ومالي.

وتقام مباريات الذهاب على ملاعب منتخبات المستوى الثاني، فيما تُجرى لقاءات الإياب الحاسمة بملاعب منتخبات المستوى الأول.

يذكر أن مونديال قطر سيقام في الفترة من الحادي والعشرين من نوفمبر حتى الثامن عشر من ديسمبر المقبلين.

مواجهة متجددة لكن بنكهة مونديالية هذه المرة

خارطة أفريقيا الكروية تغيّرت.. ماذا عن العرب!

الحبيب مباركي
كاتب تونسي

حين كنا صغارا وإلى زمن ليس ببعيد ظللنا على الدوام مولعين بنجوم الرياضة الشعبية. يجرفنا تيّارهم لنستمتع بهم لعبا ومشاهدة. كان الواحد منا يجد مبتغاه في إلصاق صورهم على كراساته المخصصة لحصة الرياضة عندما يكون الطقس ممطرا أو متى تعذر القيام بهذا النشاط المدرسي. كرة القدم ليست فقط بنجومها الذين سطعوا في سماء العالمية على غرار نجوم هولندا رود غيليت وماركو فان باسطن، مرورا بإيطاليا بمشاهيرها الكبار من أمثال روبرتو باجيو، فرانشيسكو توتي وباولو مالديني وأندريا بيرلو والقائمة تطول وليس أخيرا ألمانيا التي أنجبت من النجوم ما لا تستطيع الذاكرة الكروية أن تغفل عنهم أمثال الحارس الأسطورة أوليفر كان وميرلوسوف كلوزه وماتياس زامر ومايكل بالاك وغيرهم الكثيرون.

أفريقيا أيضا كان لها نصيب من هذه الفئة اليافعة التي كانت تغني المستمتعين بالفرجة متى حل حدث قاري أو عالمي خصوصا. شاهد الكثيرون الرقصة الشهيرة للأسطورة روجي ميلا وتغنى آخرون بلمسات جورج وياه وليس آخرهم صامويل إيتو الذي صال في جل الملاعب الأوروبية وترك الأثر الطيّب في نفوس الجماهير العاشقة للمساته في برشلونة الإسباني وإنتر ميلان الإيطالي وغيرهما من الأندية التي لعب لها في تجربته الاحترافية.

نبقى في القارة السمراء وما أحوجنا لسرد ملامح هذه الفئة العتيدة من اللاعبين الذين غازلوا الجميع بلمساتهم ونشطوا بأبهى صورة. الأفارقة الناشطون في أوروبا كانوا يمثلون الاستثناء قياسا بالإضافة التي كانوا يقدمونها للأندية الأوروبية المنافسة على الألقاب الكبرى مثل دوري الأبطال والدوري الأوروبي وكأس العالم للأندية. لكن زخمهم تراجع في السنوات الأخيرة ليسطع نجم عرب القارة السمراء في سماء إنجلترا وإسبانيا وفرنسا وغيرها من الدوريات الكبرى.

نشاط هذه الدوريات يتركز أساسا حول العرب الناشطين هناك وبدرجة أقل حول اللاعبين الأفارقة. دوري إنجلترا على سبيل المثال لا الحصر يضم أبرز النجوم في صفوفه وظل في السنوات الأخيرة محور تنافس بين أبرز لاعبين هما نجم مانشستر سيتي الجزائري رياض محرز ولاعب ليفربول المصري محمد صلاح اللذين خطفا الأضواء من باقي اللاعبين في القارة الأفريقية، طبعا دون أن ننسى السنغالي ساديو ماني الذي يمثل قوة هجومية ضاربة رفقة صلاح.

إسبانيا أيضا لها نصيب الأسد من لاعبي المنتخب المغربي موزعين بين أندية إشبيلية وبرشلونة وفالنسيا، حتى أن المدرب البوسني وحيد خليلوزيتش يجد صعوبة كبيرة مع أي استحقاق تتحدد بموجبه الوجوه الممثلة لمنتخب الأسود.

> كرة القدم رهان يجب أن تخوضه البلدان العربية بتركيز أكبر على البنى التحتية. وحده المغرب من يسير في هذا الاتجاه والنتيجة مرئية بما يحققه منتخب الأسود

اليوم الخارطة الكروية لأفريقيا تغيّرت. نعم تغيّرت. لكنها تغيرت لفائدة تلك المنتخبات التي كانت إلى الأمس القريب غائبة عن الصورة التي رسمها المشاهد الأفريقي أو الغربي للعبة الشعبية. منتخبات مثل غينيا الاستوائية والغابون والنيجر وبوركينا فاسو وإثيوبيا اشتد عودها اليوم وباتت تراهن بجدية على بلوغ أدوار متقدمة ولمَ لا الفوز بلقب البطولة. لا بل إن الصدمة تبقى ماثلة في عقول الكثيرين بانتكاسة قوية تعرض لها المنتخب الجزائري خلال حملة الدفاع عن لقبه، أين اكتفى بنقطة يتيمة من ثلاث مباريات تذيل بها ترتيب المجموعة الخامسة.

يعكس التحول الحاصل في هذه المنتخبات تخطيطا محكما وعملا قاعديا تقوم به هذه البلدان تماشيا مع التحولات الاقتصادية الحاصلة فيها. أفريقيا تحولت كثيرا ويجب أن يواكب هذه التحولات تغيير في مسارات العديد من القطاعات أولها الرياضة، كونها مستقطبة للعديد من المشاريع الاستثمارية في هذه البلدان. في الجانب الآخر متى يفكر العرب في أن الرياضة هي انعكاس لمستوى التطور الاقتصادي الذي بلغته هذه الدولة أو تلك..

كرة القدم رهان صعب يجب أن تخوضه البلدان العربية بتركيز أكبر على توفير البنى التحتية والاستثمار الموجه للنهوض بهذا القطاع الحيوي. وحده المغرب من يسير في هذا الاتجاه والنتيجة مرئية سواء على مستوى الرصيد البشري المتوفر لمنتخب الأسود أو على مستوى النتائج التي يحققها هذا المنتخب في السنوات الأخيرة.

العرب
الأحد 2022/01/23
السنة 44 العدد 12306

شابة سعودية تستثمر في الألعاب الإلكترونية

لم يعد للرجال اختصاص أو مجال يتميزون به عن النساء، فسيدة الأعمال السعودية نور الخضراء شابة تستثمر في الألعاب الإلكترونية التي تعد حكرا على الشباب، وعلى الرغم من صعوبة المغامرة فقد نجحت في بعث شركة للألعاب التي افتتنت بها منذ صغرها.

شغف الطفولة

الرياض – تخوض سيدات الأعمال في السعودية مغامرات في صناعات جديدة، ويحققن تقدما جيدا رغم المجتمع المحافظ، ومن بينهن رائدة الأعمال نور الخضراء التي تشق طريقها في قطاع تطوير الألعاب التي عشقتها منذ الصغر. وبدأت اللعب وهي في السادسة من عمرها، ونما شغفها بعد أن ترك لها شقيقها الذي غادر للدراسة في الخارج منجما من الألعاب.

تقول نور "الألعاب تساعدك على الإيمان بالفوز وعدم الاستسلام أبدًا. بصفتك لاعبا، تصبح عملية البحث عن حل متأصلة فيك"، مضيفة "التحديات تصبح فرصا. اللعبة لا تُصنع أبدا لكي تخسرها مهما كانت صعوبة ذلك، فمن المفترض أن تربح وتجد طرقا إبداعية وذكية للقيام بذلك. هذه العادة تستمر معك طوال الحياة".

وبدأت نور رحلتها في تطوير الألعاب أثناء دراستها للحصول على درجة البكالوريوس في الفنون الجميلة، وتخصصت في تصميم ألعاب الفيديو في أكاديمية جامعة الفنون.

وواصلت تعليمها وحصلت على درجة الماجستير في ريادة الأعمال التكنولوجية من جامعة سنترال لانكشاير في إنجلترا، وبدأت شركتها "ويجيك" لألعاب الفيديو في عام 2016.

وأرادت في البداية أن تبدأ شركتها في السعودية، ونظرًا إلى وجود عدد من المستثمرين الذكور أكثر من الإناث، لم يكن ذلك منطقيًا لرائدة الأعمال الشابة، لذلك اختارت بريطانيا بدلاً من ذلك حتى حان الوقت المناسب.

وأضافت "أنظر إلى نفسي وأقول رائعا، هذه شركات يجب احترامها وتقديرها لما قدمته لمجتمع الألعاب على مر السنين، وأنا محظوظة لأنني دخلت في شراكة معها".

وفي عام 2018، مهدت الخضراء طريقا آخر وانضمت إلى "روبوريس"، أول مركبة سباق سيارات ذاتية القيادة.

وفي عام 2019 أطلقت "روبونيتكا"، وهي منصة تعلم المراهقين كيفية برمجة الروبوتات من خلال ألعاب الفيديو في السعودية.

وقالت الخضراء "لقد طورت بعض ألعاب الفيديو عندما كنت في الجامعة ثم انتقلت لاحقا إلى تطوير لعبة روبونيتكا مشروع الكوكب الأحمر".

وقالت "كنت أعمل على المشروع في الفترة التي سبقت ظهور جائحة كوفيد، وكان المشروع مرتبطا ارتباطا وثيقًا بالذكاء الاصطناعي حيث كان الهدف منه هو تعليم الجيل القادم كيفية برمجة الروبوتات المستقلة".

وأضافت "كنا نهدف إلى منح الناس إمكانية الوصول لبأهدافهم، وتمكينهم من صنع مستقبلهم بدلاً من مجرد البقاء في أيدي زوكربيرغ وماسك".

ولتعزيز مكانتها في صناعة الألعاب، أطلقت قناة على اليوتيوب حيث تقوم بمراجعة الألعاب والأجهزة التقنية، فضلاً عن تقديم النصائح التعليمية حول دخول هذا القطاع، وأخبار الألعاب، واللحظات المضحكة في الصناعة.

وقالت نور "عادة ما أراجع أحدث الألعاب عند طرحها. أركز على كل ما يجعل اللعبة جيدة مثل تطوير الشخصية وآليات اللعبة وخط القصة".

وكونها امرأة تشارك في صناعة تطوير الألعاب ساعدها ذلك على كسر النمطية حول مواصفات جنس اللاعبين.

وأكدت "لطالما أحببت ألعاب الفيديو، حيث عملت في صناعتها لأكثر من سبع سنوات في تخصصات متعددة، لكن كونك امرأة في عالم هذه الألعاب كان أمرًا نادر الحدوث، حتى في الولايات المتحدة".

وأضافت "أتذكر أنني كنت الفتاة الوحيدة في الفصل، وأحيانا كنت أشعر بعدم الارتياح في البداية، ولكن بعد ذلك صار الأمر عاديا بالنسبة لي".

وتابعت قائلة "في البداية شعرت أنه كان علي العمل بجد لإثبات نفسي، ثم توقفت لأترك عملي يتحدث عن نفسه".

وختمت حديثها "المرأة أثبتت نفسها في كافة المجالات التي كانت حكراً على الرجال سابقا.

العراق يسترد قطعا أثرية من ملياردير أميركي

بغداد – أعلنت السلطات العراقية السبت استرداد 5 قطع أثرية يعود تاريخها إلى عصر ما قبل الميلاد كانت مهربة إلى الولايات المتحدة.

ووفق بيان للمتحدث باسم الخارجية العراقية أحمد الصحاف "تسلم سفير العراق لدى الولايات المتحدة فريد ياسين 5 قطع أثرية كانت قد سُرقت خلال الأعوام الثلاثين الماضية".

وأفاد البيان بأن "قطعتين أثريتين تم استردادهما من الملياردير الأميركي مايكل شتاينهارت، إحداهما عبارة عن لوحة عاجية لأبي الهول مجنح برأس بشرية يعود تاريخها إلى ما بين عامي 701 – 800 ق.م".

وأوضح أن "القطعة الثانية التي تم استردادها من شتاينهاردت هي عبارة عن وعاء به زهرة صدفية، يعود تاريخها إلى العصر الآشوري الحديث (911 – 612 ق.م)".

وأضاف الصحاف أن "القطع الأثرية الثلاث الأخرى تشمل مجموعة من المخطوطات واثنتين من العلب الأسطوانية ذات أغطية منفصلة"، حسب البيان ذاته.

وفي ديسمبر الماضي قالت السلطات القضائية في مانهاتن في بيان لها، إن الملياردير مايكل شتاينهارت سلّم 180 قطعة أثرية مسروقة تقدّر قيمتها بنحو 70 مليون دولار، ووافق على حظر مدى الحياة على اقتناء الآثار.

ووجد المحققون أن شتاينهارت، أحد أكبر جامعي الأعمال الفنية القديمة في العالم، كانت بحوزته القطع الأثرية المنهوبة التي تم تهريبها من 11 دولة من قبل 12 شبكة إجرامية.

وفي صيف 2021 أعلنت بغداد عن استرداد 17 ألفا و338 قطعة أثرية كانت مهربة إلى الولايات المتحدة واليابان وهولندا وإيطاليا.

وتعود أغلب عمليات نهب آثار البلاد، إلى فترة اجتياح القوات الأمريكية عام 2003، حينما تعرضت آلاف القطع الأثرية للنهب، بينها 16 ألف قطعة من متحف بغداد.

وتسبب الاجتياح بسلسلة عمليات نهب، استغلتها عصابات التهريب الدولية العصابات المنظمة التي تقوم بالتفتيش عن القطع الأثرية، وتقوم بتهريبها إلى خارج البلاد في ظل الانفلات الأمني وغياب الدولة.

«أوم» صوت الصحراء المغربية يصدح في إكسبو دبي

دبي - موسيقى البلوز الممزوجة بصوت الأسلاف، والتي تمثل ثقافة المناطق الجنوبية في المغرب، أبهرت الفنانة المغربية أم الغيث، المشهورة بـ"أوم"، وفرقة أمنات عيشاته، زوار إكسبو 2020 دبي، خلال حفل فني على مسرح دبي ميلينيوم.

وأطربت "أوم" مع فرقة أمنات عيشاته الحضور بمجموعة من الأغاني الفلكلورية، مزجت فيها بين الفن الأصيل والعصري مع حرصها على نشر التراث الحساني من خلال كلمات أغانيها ولباسها التقليدي.

وقد ثبّتت خطواتها بتدرّج بدأ مع ألبومها الأول "سول أوف موروكو" أو "روح الصحراء"، وتواصل مع الثاني "زرابي" لتتألق بالنجاح مع الألبوم الثالث "دابا" الذي صدر في أغسطس 2019.

واستطاعت "أوم" تمثيل الثقافة الغنية للصحراء المغربية من خلال بصمتها الخاصة، ووضع لمساتها على المزيج الموسيقي الذي قدمته، والذي يجمع بين الموسيقى العربية وتراث الصحراء المغربية مع الموسيقى الغربية التي تتجلى بإيقاعات "السول" الأميركية، والموسيقى الرقمية، مع حرصها على إدخال الإيقاعات الأفريقية.

وتكتب "أوم" وتُلحّن أغانيها وتذهب فيها إلى أعماق روحها وذاكرتها مستعينة بزاد موسيقي واسع وزاخر، حيث تقول "نريد أن نظهر للجمهور تنوع الثقافة المغربية، ومدى حداثتها، وكذلك التغيير الكبير الذي يمكن أن تحدثه الموسيقى داخل المجتمع".

وللفنانة أيضًا أسلوب خاص جدا والرائع في ملابسها كالعمامة والملحفة، إذ أن المغنية ترتدي إكسسواراتها برشاقة. ومن خلال إطلالتها تعبّر عن كل ما تحبه وهي أفريقيا، البحر الأبيض المتوسط، الأمازيغ، العروبة.

وتملك "أوم" الفنانة المغربية ذائعة الصيت على المستوى الدولي قاعدة جماهيرية كبيرة وفية لأغانيها، فرغم غيابها عن أضواء الإعلام إلا أن أغانيها حققت في السنة قبل الماضية 3.9 ملايين مرة استماع على «سبوتيفاي» فقط.

فلسطينيون يسبحون في عزّ الشتاء

غزة (فلسطين) – شارك العشرات من الفلسطينيين صباح السبت في ممارسة السباحة ببحر مدينة غزة رغم انخفاض درجات الحرارة.

وتأتي ممارسة السباحة ضمن فعالية دعا إليها تجمّع يُطلق على نفسه اسم "عشاق وهواة السباحة في غزة"، الذي يضم فلسطينيين من فئات عمرية مختلفة بعضهم تجاوز الـ70 عاما.

وقال محمد مُهرة (40 عاما)، المتحدث باسم التجمّع، إن هذا الفريق من "هواة السباحة والمنقذين، يتواجدون بشكل شبه يومي على شاطئ بحر غزة في فصل الشتاء خاصة في أوقات المربعانية (الأربعينية التي تتميز بالبرد القارس) للسباحة".

وأضاف "بدأ هذا التجمّع بشخص واحد، ووصل عددهم اليوم إلى 150 شخصا".

وأوضح مُهرة أن عدد المشاركين في فعالية السباحة يتراوح بين 50 إلى 60 شخصا، وأحدهم تجاوز الـ77 عاماً أطلقوا عليه اسم الأمير، قائلا "ما هانت عزائمهم وهمتهم تناطح السحاب".

وبيّن أن توجّه هذا التجمّع للسباحة في البحر رغم برودة المياه، يأتي لعلمهم بـ"أن السباحة في الطقس البارد تؤدي إلى زيادة تدفق الدم في الأوردة والشرايين والشعيرات الدموية من أجل تدفئة الجسم، ما يساعد على تحسين الدورة الدموية وتقليل المخاطر الصحية الناتجة عن ضعفها".

وتتراوح درجة حرارة الجو بين 9 و15 درجة مئوية، حيث سبق وأن حذّرت دائرة الأرصاد الجوية الفلسطينية من خطر تشكّل الصقيع في ساعات الصباح الباكر يومي السبت والأحد.

صباح العرب

عدلي صادق

من صور الابتلاء

من موقع الموالاة، كتب أحد موظفي السلطة الفلسطينية المتقاعدين، تغريدة ينتقد فيها تجاهل قناة بلاده التلفزيونية الرسمية، وفاة اثنين من قادة أمن منظمة التحرير قبل تأسيس السلطة. فجاءت ردود الأفعال المسجلة في ذيل التغريدة، جامعة للطيف الوطني كله، ما يعني أن جميع من طالعوا السطور القصيرة، يُضمرون الموقف نفسه، وإن كان أكثرهم، يستنكف عن تسجيل آرائه، لتحاشي قلة عقل الرقيب السلطوي، الذي يتقصى التعليقات، ويبني عليها مواقف زجرية أو تدابير إقصائية.

القناة التي يقصدها صاحب التغريدة، تعكس مزاج "المحنك" رئيس السلطة، في الاستذكار والتجاهل، وفي التأسي والتغاضي. فالقائم على وسائل إعلامه، واحد من ضاربي الطبل، ولا علاقة له بالمهنة لا بالتأهيل ولا بالثقافة والخبرة. لذا ستكون أيّ وسيلة إعلام، شفافة في تظهير الأحوال الجوية لفخامة رجل في عقده التاسع.

في بدايات عهد "المحنك" كان بمقدورنا تذكير وسائل الإعلام بواجبها حيال الرجال الذين أعطوا أعمارهم للعمل الوطني، حتى عندما تتجاهله "المقاطعة". وأذكر عندما توفي زميلنا المرحوم فؤاد البيطار، الذي تسلمت منه السفارة في رومانيا؛ تجاهلت وسائل الإعلام الفلسطينية خبر وفاته، وهو من مؤسسي شبكة السلك الدبلوماسي الفلسطيني، ومن أوائل السفراء في أفريقيا مع المرحوم شفيق الحوت. يومها، اتصلت بالتلفزيون وأرسلت صيغة النعي فظهر جزء منها على شريط الأنباء أسفل الشاشة، وبالطبع فتحنا له بيت عزاء. وعندما اشتد ساعد "المحنك" بقوة الأمن التي طلبها من بوش بحضور شارون، كما أسلفنا في تغريدة سابقة عن مذكرات الأخير؛ توفي عبدالله الحوراني، وكان صديقاً قديماً لفخامة الرجل غير الفخم، وكان عضواً سابقاً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير في عز أيامها، ومديراً عاماً للثقافة في المنظمة أيام لم تكن هناك سلطة. وبسبب نقد المرحوم "أبومنيف" لصاحبه القديم، تجاهل الأخير وفاة الرجل القامة، الذي ترك بصماته في كل موقع شغله في حياته. عندئذٍ، تولت عائلة الحوراني إقامة بيت العزاء، ودفن الحوراني في مقبرة أردنية، ولم يؤتَ بجثمانه لكي يُسجّى في "المقاطعة" ويُشيّع منها.

الواحد منا، يستغرب استغراب بعض الإخوة عندما يتكرر هذا السلوك الذي تمتد من خلاله غريزة البغضاء، من فرسخ الحياة إلى فرسخ الموت.

عندما تكون الكراهية والمقت الشديدان، هما بوصلة إنسان من عامة الناس البسطاء؛ ينحصر الضرر في ارتداد سلوكه عليه. لكن الشخص الذي يتحمل مسؤوليات عامة؛ ينعكس سلوكه على رعاياه.

معلوم أن أفدح الابتلاءات، يقع عندما تؤول السلطة إلى حاكم مستبد، يكون في الأصل رعديداً. ولعل من أسوأ تداعيات الاستبداد وانعكاساتها شديدة الضرر، نمو التطرف وتفشي اليأس الذي يدفع الناشئة إلى الانتحار. فلم يكن مجتمع المسلمين عبر التاريخ، يعرف ظاهرة الانتحار، وإن كان هذا المجتمع نفسه، ظل يُنتج أسباب التقاتل لأبسط التعارضات الفقهية، ما جعل القتلى يموتون بشفاعة واجبات إيمانية مظنونة. علماً بأن الرسول الكريم عليه السلام، حث على الصبر وعلى تمسك المرء بما يعتقد، على الرغم من الابتلاء حين قال "الرجل يُبتلى على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً اشتد به بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض، وما عليه خطيئة"!.

العابدون في الأراضي الفلسطينية المحتلة، يمرون بمرحلة ابتلاء مزدوج، إذ لديهم سلطة ومستوطنون من أصوليي دين آخر، يساندهم جيش دولتهم، بينما "المحنك" الفلسطيني الذي يحكم بغريزته، يتمادى في العوار.